

بَيِّنَاتُ الْهِدَايَةِ

رَحْمَةُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ
أَبِي حَامِدٍ الْغَسَّالِيِّ
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

مُحَقَّقُ نَصُوصِهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثُهُ وَخَلَقَ عَلَيْهِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ مُحَمَّدُ الدَّرَوَيْشُ

دار حنا دار
بيروت

أَبُو حَامِدٍ الْغَسَّالِيُّ

بَيِّنَاتُ الْهِدَايَةِ

دار

WID-LC
Mid East
BP
188
G439
1998x

بِذَاتِ الْهَيْلَةِ

بَدَائِيَةُ الْهَدَايَةِ

لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ
أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

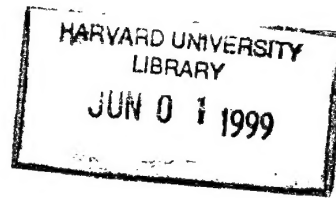
حَقَّقَ نَصُوصَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ مُحَمَّدُ الدَّرَوَيْشِيُّ

دار طاهر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

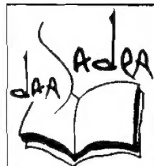
الطبعة الأولى

1998



جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة ١٨٦٣



دار صادر

COPYRIGHT © DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

هاتف وفاكس 01.448827 / 04.922714 / 04.920978 (+961) Tel & Fax

مقدمة الحق

الحمد لله ذي الطول والآلاء، وصلى الله على سيد المرسلين والأنبياء، وعلى آله وصحبه الأتقياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن معالجة النفوس أمرٌ لا بُدَّ منه للإنسان، الذي يشبه المملكة، التي تحتاج إلى إصلاح وإعمارٍ، لكي ترتقي بها إلى أعلى المستويات، فكيف يكون ذلك: أياكون إعمارها باتباعنا الأساليب الملتوية التي تلهينا عن أوامر الخالق؟ أم بانحرافنا عن الجادة التي خطها لنا ربنا في كتابه المجيد، ونييه المصطفى الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه.

فإذا أردنا إعمار مملكتنا بالفطرة الإنسانية التي فطرنا الله عليها، فيجب علينا أن نهذب مملكتنا - أي: نفسنا - الأمانة بالسوء، وذلك بوضعها على الطريق السليم، والمنهج القويم، باتباع أوامر مَلِكِ المملكة وسيدها الرب العظيم، ورئيس مملكته النبي الأمين، والإنتهاء عما نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عنهما.

ونعمل جاهدين بأن لا يكون لشيطان المملكة المتمثل بالنفس التأثير البالغ علينا، بأن ننحرف عن الجادة، فإذا أطمعنا ندمنا وكان بوارنا، وإذا انفككنا عنه كان فوزنا وفلاحنا، فهو جادٌ بإغوائنا، قال تعالى على لسانه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. نحن جميع أفراد الإنسانية، لكن هل إغواؤه يكون للناس أجمعين؟ لا، لأنه قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾.

فإذا هو جادٌ لإغوائنا وإغواء المملكة التي جهد الإنسان في إعمارها والترقي بها ورفع مستواها، ليكون نتيجة ذلك في الآخرة من الذين قال عنهم رب العالمين: ﴿نَارٌ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

فإني إن أردت إعمار مملكتي، فإني أعمرها بكباح جهاح نفسي، وإرضاخها لأوامر المولى تبارك وتعالى، ويجعل شيطان مملكتي مبعداً عنها، لكي لا يوسوس لها بالهروب من منفاها والعودة إلى المملكة للفتك بها وبإفسادها، وبإغرافها عن الطريق القويم.

فتهذيب نفسي هو أساس مملكتي، وهو عمودها وذروة سنامها.

فبلزومنا طاعات ربنا، وتبعنا عن وسواس شيطاننا، نعمل النفوس، وترتقي.

فإني إذا أردت اليوم متابعة مملكة الآخرين لوجدت أن المسلم اليوم في جميع أنحاء المعمورة قد أصبح مقهوراً مستذلاً من قبل شيطان الكفر والإباحية، فبعد أن كنا متبعين أصبحنا تابعين.

لماذا أصبح واقعنا هكذا؟ وقد كنا سادات العالم قرونًا، غدهم بحضارتنا، وبقيمنتنا، وبأحلامنا، فكانوا يحتنون حنوناً في معاملاتهم.

أهو من مغريات الدنيا التي انكبنا عليها، أم من أنايية الذات، أم من تركنا الكتاب والسنة اللذين هما عصمة أمرنا، فإن استقمنا عليهما سعدنا وأفلحنا.

لقد تهاونا في ديننا فضعنا، لقد تهاونا بالذي إن تمسكنا بهما فلا نضل أبداً.

لقد اتبعنا دول الغرب الذين هدموا الأخلاق وأشاعوا المنكرات، وأنكروا الفضيلة، ها هم اليوم يخططون من وراء الكواليس إلى إزالة عقدة نفسية في صدورهم اسمها: القرآن الكريم وسنة النبي العظيم.

فهم يعلمون أن الحق والصدق هو بهذا الكتاب المنير، الذي ينير البصائر، ويدفع الوسوس، لكن شيطان مملكتهم أغواهم وأضلهم عن الجادة الصحيحة، إلا ما رحم الله، فمنهم من أبعد شيطانه ونفاه عن مملكته ليصبح نقياً طاهراً سليم الفطرة، بعودته إلى الصراط المستقيم، لكنهم قوبلوا بالعداوة من قبل أعداء الإسلام، لأن شيطانهم اللعين قد أغوى نفوسهم فاتبعوه منقادين لوسوسه وأهوائه.

وإننا اليوم لنشاهد بأعيننا فساد شبابنا وفتياتنا، وإغرافهم عن الطريقة السليمة باتباعهم الغرب بأفوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم، فقد جعلوهم القدوة والمثل، ونسوا أن قدوتنا ومثلنا

الأعلى هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، النبي الكريم الذي زرع في قلوب أصحابه والأجيال المتلاحقة حب الكتاب والسنة والسير عن نهجهما لكي يفلحوا في الدنيا والآخرة، لقد هذب أنفسهم بأن راضهم في بستان القرآن وأهله، في مزرعة الطاعات واجتناب المعاصي، بتركهم حظيرة الكفر، فكانوا قدوة بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم اهتدت بهم الأمم والشعوب بأخلاقهم وتصرفاتهم وأحوال معاشهم.

حذارِ حذارِ أخي الشاب المسلم من أساليب الإغواء التي تقدم بأثوابٍ براقَةٍ وفيها يكمن الخطر. فإذا أردت أخي المسلم أن تعود إلى الصفاء والنقاء فعليك بالكتاب والسنة وتهذيب نفسك، وإني أقدم لك كتاباً يكون سبيلاً لك في تهذيب نفسك هو: **بداية الهداية** لحجة الإسلام الإمام الغزالي الذي راض نفسه وجاهدتها، وطرده شيطان الرعونة، ولبس زي الأتقياء، فأتج لنا زبدة مصنفاته في هذه الرسالة التي هي بحق بداية للمبتدي بوضعه على بداية الطريق للرجوع السليم إلى الجادة، فبالعمل بمضمونه تصلح مملكتك، وترتقي نفسك، وترتفع همتك إلى الاستزادة من هذا المحيط الذي لا ينفد.

فهذه رسالة **بداية الهداية** ترسخُ أعمدة بناء المملكة وتقوِّمُ أساسها.

هي رسالة إذا طالعها القارئ وجدها صغيرة الحجم، كبيرة الفائدة، تصل الماضي بالحاضر بالمستقبل، مليئة بالفوائد والكنوز التي بين صفحاتها وأسطرها، مليئة بما يرجعك إلى الطريقة الحقة، والنور المبين، مليئة بلؤلؤ وضياء، يريدك فقط أن تنهل من معارفه وعلموه لتزدي شيطانك وبال أمره الذي أقسم بإغوائنا، لكسك بمجاهدته تقذف به إلى القاع فلا يستطيع أن يقربك ويوسوس لك.

فأصلح مملكتك، وخف على رعبتك - التي هي أعضاء جسمك - من النار، فإنك مسؤول عنها يوم المعاد، فلا تبطش بيدك ظلماً ولا تأكل بها المال الحرام، ولا تمس برجلك إلى المساوىء والأذوار، ولا تنظر بعينك إلى المحرمات فتدخل النار، ولا تتكلم بسوء فتوهيه سبعين خريفاً في نار السموم، واحفظ فرجك عن الزنا كي لا يكون سبباً في دخولك نار الجحيم المقيم.

رحم الله مؤلف هذه الرسالة، وأدخله الجنة، وحشره وإيانا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

كما أنني أشكر فضيلة العلامة الشيخ، الناقد عبد الله محمد الدرويش الذي زرع فيَّ حبَّ متابعة الطريق في سبيل العلم، وحثني عليه في مجال تحقيق التراث الإسلامي، فيسر لي ما أحتاج إليه من مصادر ومراجع تعيني على عملي هذا من خلال مكتبته العامرة المليئة بالمصنفات القديمة والحديثة، ونهني إلى الأخطاء كي أستدركها وأصححها. فجزاه الله عنا كل خير، وجعل هذا العمل في صحيفته يوم القيامة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق:

خادم العلم الشريف

عبد الحميد محمد الدرويش

١٩ صفر ١٤١٩ هـ.

١٤ حزيران ١٩٩٨ م

التعريف بكتاب بداية الهداية

هو كتابٌ قلما يستغني عنه عالمٌ أو متعلم، فهو أول ما يعطى لطائفة العلم الشرعي كي يروض نفسه لتحمل مشاق الطريق، ويذكر نفسه بمتابعة رئيس المملكة والأصحاب والتابعين وتابعي التابعين، فيكفي نفسه مؤونه تحفظه إلى أن يلج قبره الذي هو صندوق عمله في الدنيا، معبرة إلى الآخرة ليحاسب بما علم وعمل.

فقد اعتنى به العلماء قديماً وحديثاً ودرس في المعاهد الشرعية والإسلامية للطلبة والمريدين أمثال جامع الأزهر الشريف، وجوامع أخرى في جميع مدن العالم الإسلامي. وقد قسمه مصنفه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الطاعات.

القسم الثاني: في اجتناب المعاصي.

القسم الثالث: القول في آداب الصحة والمعايشة مع الخالق سبحانه والخلق.

فهو جامعٌ بحق لحفظ النفس ولغوائها، وصون الأعضاء وحفظها، وإتمام الأخلاق وصيانتها.

وهو من الكتب التي صحح العلماء نسبتها إليه، ومما يثبت صحة نسبة هذا الكتاب لمؤلفه:

١ - الإحالات التي أشار فيها المصنف لمؤلفاته الأخرى.

٢ - عزو المصنفين لهذا الكتاب ومنهم ابن الصلاح حيث قال:

من تفردت الغزالي في بداية الهداية في سنة الجمعة بعدها: أن له أن يصلحها ركعتين، وأربعاً، وستاً، قال: فأبعد في ست وشد^(١).

(١) - نقله ابن السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة المؤلف: (٢٨٧/٦).

٣- العبارات التي نقلت من الكتاب ممن بعده من أمثال الحافظ الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (٣٣٨/١٩) قال:

أخبرنا محمد بن عبد الكريم، أخبرنا أبو الحسن السخاوي، أخبرنا حطلبا بن قمرية الصوفي، أخبرنا سعد بن أحمد الإسفراييني بقراءتي، أخبرنا أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الطوسي قال:

اعلم أن الدين شطران: أحدهما: ترك المناهي، والآخر فعل الطاعات، وترك المناهي هو الأشد، والطاعات يقدرُ عليها كل أحد، وترك الشهوات لا يقدرُ عليها إلا الصديقون، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه». انتهى.

وهذا النصُّ بحروفه في بداية القسم الثاني من هذا الكتاب.

ونستفيد مما نقله الحافظ الذهبي أن هذا الكتاب مروى عن مؤلفه بالسند المتصل، وهذه أقوى الأدلة على صحة نسبه له.

ولأهمية الكتاب اعتنى به العلماء فشرحه:

- عبد القادر بن أحمد الفاكهي المتوفى ٩٨٢هـ.

- محمد بن عمر النووي الجاوي المتوفى سنة ١٣١٦هـ. وهو شرحٌ نفيسٌ على

هذه الرسالة.

وقد وقع بين يدينا منه نسخة قديمة محفوظة في مكتبة العلامة الشيخ الناقذ عبد الله محمد الدرويش حفظه الله تعالى. وقد استفدنا منه بالملاحظات الهامة التي ستجدها في حواشي الكتاب إن شاء الله تعالى.

وترجم إلى اللغات العالمية كالإنكليزية والألمانية.

وقد طبع طبعات كثيرة بعضها جيد وكثيرٌ منها يعرزه الضبط والتحقيق.

فأحببت أن أرفده ببعض الفوائد والضبط للنص لكي يسهل على القارئ تناوله والاستفادة من معارفه ولأنال الشرف العناية بهذا السُّفر القيم.

عملي في هذه الرسالة:

١- ترجمة المصنف.

٢- ضبط النص بالشكل.

٣- إثبات الفوارق بين النسخ المطبوعة.

٤- عزو الآيات إلى أماكنها.

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها.

٦- إضافة فصول وجدها متممة للكتاب موضوعة في حواشيه، منتقاة من كتاب

أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن البصري الماوردي الشافعي.

٧- وضع عنوان للأبواب بين ٦ و ٢.

٨- التنبيه على أخطاء قد شذ بها الإمام الغزالي في المذهب الشافعي.

٩- تبين الأحاديث التي انفرد بروايتها الغزالي دون غيره.

١٠- فهرس الآيات القرآنية.

١١- فهرس الأحاديث والآثار.

١٢- فهرس موضوعات الكتاب.

الإمام الغزالي في سطور

اسمه: زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي.

لماذا أطلق عليه الغزالي: قال الإمام الذهبي: قرأت بخط النووي رحمه الله: قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، وقد سئل: لم سمي الغزالي بذلك، فقال: حدثني من أثنى به، عن أبي الحرم الماكسي الأديب، حدثنا أبو الثناء محمود الفرضي قال: حدثنا تاج الإسلام ابن خريس، قال لي الغزالي: الناس يقولون لي الغزالي، ولست الغزالي، وإنما أنا الغزالي منسوب إلى قرية يقال لها: غزالة، أو كما قال.

وقال الذهبي أيضاً: قوهم: الغزالي، والعطاردي، والخبازي، نسبة إلى الصنائع بلسان العجم، جمع ياء النسبة والصيغة

مولده: ولد في طوس سنة ٤٥٠هـ.

أخوته: للغزالي أخٌ واعظ مشهور، وهو أبو الفتح أحمد، له قبول عظيم في الرعظ.

أولاده: قال الإمام الذهبي: ولم يُعقب إلا البنات.

مذهبه: المذهب الذي سار على نهجه هو مذهب الإمام الشافعي.

علمه: قال الذهبي: صاحب التصانيف والذكاء المفرط.

العلوم التي برع فيها:

١- الفقه.

٢- أصول الفقه.

٣- الكلام والجدل. قال أبو بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة،

وأراد أن يتقيأهم فما استطاع.

٤- المنطق.

رحلاته: لقد جال حجة الإسلام في أسقاع الأرض رحلةً في طلب العلم فقد رحل إلى: نيسابور، وبيت المقدس، وبغداد، وجرجان، والإسكندرية (مصر)، ومكة المكرمة.

شيوخه: من شيوخه الذين حصل العلم على أيديهم وصحبهم في أسفاره:

١- إمام الحرمين: أبو المعالي الجويني.

٢- نصر بن إبراهيم، وهو من الذين صحبهم إلى دمشق.

٣- أبو علي الفارمذي.

٤- القاضي أبو الفتح الحاكمي الطوسي.

٥- محمد بن أحمد الخواري.

٦- أبو سهل الخفصي.

٧- أبو نصر الإسماعيلي وأخذ عنه التعليقة بجرجان.

تلاميذته وتشجيعه هم:

١- أبو العباس أحمد الخطيبي.

٢- أسعد الميهني.

٣- أبو بكر بن العربي.

٤- أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي الدمشقي

الشافعي الفرضي. قال الإمام الذهبي^(١): جمال الإسلام، الشيخ الإمام العالم، مفتي الشام،

أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح، السلمي الدمشقي الشافعي

الفرضي. قال الغزالي فيما حكاه ابن عساكر أنه قال: خلّفت بالشام شاباً إن عاش كان له

شأن، فكان كما تفرس به، ودرس بحلقة الغزالي مدة، ثم ولي تدريس الأمانة في سنة أربع

عشرة... لازم الغزالي مدة في مقامه بدمشق، وهو الذي أمره بالتصدر بعد شيخه نصر

وكان يثني على علمه وفهمه.

زهده ومنهجه: أدى نظره في العلوم وممارسته لأفانين الزهديات إلى رفض الرئاسة،

والإنابة إلى دار الخلود، والتأله، والإخلاص، وإصلاح النفس.

وغلب عليه الخلوة وترك التدريس، ولبس الثياب الخشنة، وتقلل في مطعمومه.

المناصب التي وليها: ولاه نظام الملك تدريس نظامية بغداد.

(١) - سير أعلام النبلاء (١٩/٣١ - ٣٢).

بَدَايَةُ الْهِدَايَةِ

لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ
أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

ودرس في نظامية نيسابور، وكانت تعقد له حلقات في الزاوية الغربية من الجامع الأموي والتي سميت بعد ذلك بالزاوية الغزالية.

شهادة العلماء له: قال ابن النجار: بلغني أن إمام الحرمين قال: الغزالي بحرٌ مغرق، وإلكيا أسدٌ مطروق، والخوافي نازٌ تحرق.

قال السلفي: سمعت الفقهاء يقولون: كان الجويني يقول في تلامذته إذا ناظرُوا: التحقيق للخوافي، والجريان للغزالي، والبيان للكنيا.

وقال: قرأ أبو المعالي (المنحول للغزالي) فقال: دفتني وأنا حي، فهلا صيرت الآن، كتابك غطّي على كتابي.

الاعتراضات التي عورض بها: أهم ما اعترض به عليه عدم عنايته بالحدث النبوي الشريف في بداية طلبه للعلم. ولذلك اعتنى في آخر حياته بقراءة كتب السنة فقرأ سنن أبي داود والمولد لابن أبي عاصم ومات وصحيح البخاري على صدره رحمه الله تعالى. مصنفاته: له الكثير من المصنفات وأهمها:

إحياء علوم الدين وأيهما الولد وبداية الهداية والمنقذ من الضلال والوجيز والبسيط والوسيط في الفقه الشافعي. وتهافت الفلاسفة والمنحول والمستصفى في علم أصول الفقه.

ونسب إليه كتب ليست من تأليفه، وإنما وضعت باسمه لترويج. من أمثال: (المضنون به على غير أهله) كما قال ابن الصلاح.

وفاته: قال عبد الغافر الفارسي: توفي يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين مئة، وله خمسون سنة، ودفن بمقبرة الطابيران، قسبة بلاد طرس.

مصادر ترجمته:

لقد أفرده القدماء والمحدثون بترجمات مطولة، ومن الذي أخذنا الترجمة عنهم:

- تبين كذب المفتري لابن عساكر: ص ٢٩١ - ٣٠٦.

- المنتخب من السياق لعبد الغافر الفارسي ص ٧٣ - ٧٥ (١٦١).

- سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩ - ٣٤٦.

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ، حُجَّةُ الْإِسْلَامِ، وَبَرَكَةُ الْأَنَامِ، أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ الطُّوسِيُّ، قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَنُورَ ضَرِيحَهُ آمِينَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ (رَسُولِهِ وَعَبْدِهِ) ^(١)، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ. أَمَّا نَعْدُ:

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْحَرِيفُ الْمُقْبِلُ عَلَى (اِقْتِبَاسِ الْعِلْمِ) ^(٢)، الْمُظْهِرُ (مِنْ نَفْسِهِ) ^(٣) صِدْقَ الرُّغْبَةِ، وَفَرْطَ التَّعَطُّشِ إِلَيْهِ، أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ الْمُنَافَسَةَ وَالْمُبَاهَاةَ، وَالتَّقَدُّمَ عَلَى الْأَقْرَانِ، وَاسْتِمَالَةَ وَجْهِهِ النَّاسِ إِلَيْكَ، وَحَمْلَ حُطَامِ الدُّنْيَا، فَأَنْتَ سَاعٍ فِي هَذِهِ دِينِكَ، وَهَلَاكٍ لِنَفْسِكَ، وَيَسَّعَ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ، فَصَفَقْتُكَ خَاسِرَةً، وَتَجَارَتَكَ بَاطِلَةً، وَمَعْلَمُكَ مُعَيَّنٌ لَكَ عَلَى عَصِيَانِكَ، وَشَرِيكَ لَكَ فِي خُسْرَانِكَ، وَهُوَ كِبَائِعُ سَيْفٍ مِنْ قَاطِعِ طَرِيقٍ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، كَانَ شَرِيكًا لَهُ فِيهَا» ^(٤).

وَأِنْ كَانَتْ رِيَّتُكَ وَقَصْدُكَ يَتَنَبَّهٌ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ الْهِدَايَةِ دُونَ مُحَرِّدِ الرُّوَايَةِ فَابْتِشِرْ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَبْسُطُ أُجْنِحَتَهَا إِذَا مَشَيْتَ، وَجِيئَانُ الْبَحْرِ تَسْتَغْفِرُ لَكَ إِذَا سَعَيْتَ ^(٥).

وَلَكِنْ يُبَغْيِي لَكَ ^(٦) أَنْ تَعْلَمَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ الْهِدَايَةَ ^(٧) هِيَ تَمَرَّةُ الْعِلْمِ لَهَا بَدَايَةُ وَنَهَايَةٌ، وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَلَا وُصُولٌ إِلَى نَهَائِهَا إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامٍ ^(٨) بِدَائِهَا، وَلَا عُثُورٌ ^(٩) عَلَى بَاطِلِهَا إِلَّا بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى ظَاهِرِهَا ^(١٠).

الكبرى (٢٢/٨) وفيه: (مكتوب على جبهته) بدل: (مكتوب بين عينيه). وأبو نعيم في الحلية: (٧٤/٥). والزبيعي في نصب الراية: (٣٢٦/٤).

(١) - اقتبس المصنف عبارته من قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أُجْنِحَتَهَا رِضَاءً لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضَلَ الْعَالَمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلَ الْقَمَرَ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنْ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنْ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَحَدٌ بَحْطًا وَافِرًا». أخرجه الترمذي (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء.

(٢) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٤): (ولكن ينبغي) أي يطلب (لك) العبادة مع العلم وإلا كان علمك هباءً منثوراً، فإن العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فيجب عليك أولاً أن تعرف المعبود ثم تعبد وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفاته ذاته وبما يجب له وما يستحيل في نفعه فربما تعتقد فيه وفي صفاته شيئاً مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباءً منثوراً وذلك أن تعرف أن لك إلهاً عالماً قادراً مريداً حياً متكلماً سميعاً بصيراً منفرداً بالقدم عن كل محدث واحد لا شريك له متصفاً بصفات الكمال منزهاً عن النقصان والزوال ودلالات الحوادث....

(٣) - أي: سلوك الطريقة إلى الله تعالى.

(٤) - أي: إثبات.

(٥) - أي: لأعلم. وفي نسخة: (لا عبور) بالباء الموحدة أي: لا مرور.

(٦) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٥): ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر، والحقيقة باللولو فلا يتحصل اللولو إلا من البحر ولا يتوصل إلى لجة البحر إلا بالسفينة.... قال أبو علي الدقاق: العبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودية لخاص الخواص.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - أي: الاستفادة من المعلم وفي نسخة: (اقتناص العلم) بالنون ثم الصاد، أي: اصطیاد فحينئذ شبه العلم بالصيد في كون كل يحتاج إلى الحيلة والسياسة. (مراقى العبودية ص ٣).

(٣) - في نسخة: (من نفسك) بالخطاب. (مراقى العبودية ص ٣).

(٤) - لم أجد في مصادر التخریج بهذا اللفظ. وإنما بلفظ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ». أخرجه ابن ماجة (٢٦٢٠) عن أبي هريرة. بإسناد ضعيف. وانظر الجامع الصغير: (٨٤٩٧) بتحقيق شيخنا. وأخرجه البيهقي في السنن

وَمَا أَنَا مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِبِدَايَةِ الْهَدَايَةِ لِتَحَرِّبَ بِهَا نَفْسَكَ، وَتَمْتَحِنَ بِهَا قَلْبَكَ.
فَإِنْ صَادَقَتْ قَلْبَكَ إِلَيْهَا مَا يَلَا، وَنَفْسَكَ بِهَا مُطَارَعَةً وَلَهَا قَابِلَةً، فَذُنُوبُكَ التَّطَلُّعُ^(١) إِلَى
النَّهَائِيَّاتِ، وَالتَّغْلُّغُ فِي بَحَارِ الْعُلُومِ.

وَإِنْ صَادَقَتْ قَلْبَكَ عِنْدَ مُوَاجَهَتِكَ إِيَّاهَا بِهَا مَسُوفًا، وَبِالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا مَمَاطِلًا؛
فَاعْلَمْ **(أَيُّهَا الطَّالِبُ)**^(٢): أَنَّ نَفْسَكَ الْمَائِيَّةَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ هِيَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ
بِالسُّوءِ^(٣)، وَقَدْ انْتَهَضَتْ مُطِيعَةً لِلشَّيْطَانِ اللَّعِينِ، لِئِذْلِكَ يَحْتَلِ غُرُورُهُ، فَيَسْتَدْرِجُكَ
بِمَكِيدَتِهِ إِلَى غَمْرَةِ الْهَلَاكِ^(٤)، وَقَصْدُهُ أَنْ يَرْوِّجَ عَلَيْكَ انْتِشَرًا فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ حَتَّى
يُلْحِقَكَ **(بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)**^(٥)، الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا **[الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]**. وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَلَوُّ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَضْلَ الْعِلْمِ
وَدَرَجَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ^(٦)، وَيُلْهِيكَ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «مَنْ أَزْدَادَ عُلَمَاءُ وَلَمْ يَزِدْ هَدًى لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»^(٧).

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ
بِعِلْمِهِ»^(٨).

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا
يَخْشَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(٩).

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ
بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ، وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ
وَنَأْتِيهِ»^(١٠).

فَيَا لَكَ يَا مُسْكِينُ أَنْ تُدْعَى لِتَزُورِيهِ، **(فَكَيْدُكَ)**^(١١) يَحْتَلِ غُرُورُهُ، فَوَيْلٌ لِلْحَاحِلِ حَيْثُ لَمْ
يَعْلَمْ سَرَّهُ وَاحِدَةً، وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عِلْمُ أَلْفَ مَرَّةٍ.
وَاعْلَمْ أَنَّ^(١٢) النَّاسَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ^(١٣) عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:

(١) - أخرجه الطبراني في الصغير (٥٠٨). والبيهقي في الشعب: (١٧٧٨) عن أبي هريرة رضي
الله عنه.

(٢) - أخرجه أحمد (٢٥٥/٣) عن أنس رضي الله عنه. وفيه: (قول لا يسمع) بدل: (دعاء لا
يسمع). وأخرجه الحاكم (١٠٤/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) - أخرج أحمد (١٨٠/٣) رقم (١٢٨٥٦) عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «مررت ليلة أسري بي على قوم تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءُ؟ قَالَ:
هَؤُلَاءُ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا
يَعْقِلُونَ؟».

(٤) - في نسخة: (وتدلي).

(٥) - في نسخة من المطبوع: (رحمك الله أن).

(٦) - ونذكر هنا في هذا المجال ما يكون سبباً في تقصير طالب العلم، وخير ما قيل في ذلك وجمع
جميع تلك الأسباب الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٧١ - ٧٨): ولذلك أسباب فاسدة،
ودواعٍ واهية؛ فمنها: أن يكون في النفس أغراضٌ تختصُّ بنوعٍ من العلم، فيدعوه الغرضُ إلى قصد
ذلك النوع، ويعيدُ عن مقدماته، كرجل يؤثر القضاء، ويتصدى للحكم، فيقصِدُ من علم الفقه إلى
أدب القاضي، وما يتعلق به من الدعوى والبيّنات. أو يحب الاتسام بالشهادة، فيتعلم كتاب الشهادات،

(١) - في المطبوع: (والتطلع).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - قال تعالى: **(إِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ)** **[يوسف: ٥٣]**.

(٤) - أي: شدته.

(٥) - أي: الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً فتألوا هلاكاً.

(٦) - وهي أقوال الصعابة والتابعين. قال الربيع: العلماء سرج الأزمة فكل عالم مصباح زمانه
يستضيء به أهل زمانه. (مراقي العبودية ص ٥).

(٧) - أخرجه الديلمي في الفردوس (٥٨٨٧) عن علي بن أبي طالب بلفظ: «من ازداد علماً ولم
يزد في الدنيا زهداً لم يزد من الله عز وجل إلا بُعداً». وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٨٤٢٣)
بإسناد ضعيف جداً. بتحقيق شيخنا. وأورده العجلوني في كشف الخفاء: (٢٤٠٢) وقال: ... وقال
المسحاوي: وفي لفظ: «ثم ازداد للدنيا حباً ازداد من الله غضباً». وانظره أيضاً في إتحاف السادة
المثقفين: (١٢٣/٣ و ٤٤٧/٨). والدرر المنتشرة: (١٤٥). وكنت العمال: (٢٩٠١٦). وعناصر المقاصد
الحسنة: (٩٩٣).

لئلا يصير موسوماً بجهل ما يعاني، فإذا أدرك ذلك ظن أنه قد حاز من العلم جمهوره، وأدرك منه منهوره، ولم ير ما بقي منه إلا غامضاً، طئيئ غناءً، وعويصاً، استخراجاً فناءً؛ لتصور حمته على ما أدرك، وانصرافها عما ترك، ولو نصح نفسه لعلم أن ما ترك أهم مما أدرك؛ لأن بعض العلم مرتبط ببعض، ولكل باب منه تعلق بما قبله، ولا تقوم الأواخر إلا بأوائلها، وقد يصح قيام الأوائل بأنفسها، فيصير طلب الأواخر بترك الأوائل، تركاً للأواخر والأوائل؛ فإذا ليس يعرى من لوم، وإن كان تارك الكُلِّ ألوَمَ. ومنها: أن يحبُّ الاشتغال بالعلم، إما لتكسُّبٍ أو لتجَمُّلٍ، فيقصد من العلم ما يشتهر به؛ من مسائل الجدل، وطريق النظر، ويتعاطى علم ما يختلف فيه، دون ما اتفق عليه، لينظر على الخلاف، وهو لا يعرف الوفاق، ويجادل الخصوم، وهو لا يعرف مذهباً خصوصاً.

وقد رأيت من هذه الطبقة عدداً قد تحقَّقوا بالعلم تحقُّق المتكلمين، واشتهروا به اشتهار المتبحرين؛ إذا أخذوا في مناظرة الخصوم ظهر كلامهم، وإذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت أفهامهم؛ حتى إنهم ليحبطون في الجواب خبط عشواء، فلا يظهر لهم صواب، ولا يتقرر لهم جواب، ثم لا يرون ذلك نقصاً، إذا غمقوا في المجالس كلاماً موصوفاً، ولفقوا على المخالف حجاجاً مألوفاً، وقد جهلوا من المذهب ما يعلمه المبتدئ، ويتداوله الناشئ، فهم دائماً في لغف مضلٍّ، أو غلط مذلٍّ. ورأيت قوماً منهم يرون الاشتغال بالمذهب تكلفاً، والاستكثار منه تحلفاً، وحاجتي بعضهم عليه، فقال: لأن علم حافظ المذهب مستور، وعلم المناظر عليه مشهور. فقلت: كيف يكون علم حافظ المذهب مستوراً وهو سريع الجواب، كثير الصواب؟ فقال: لأنه إن لم يُسأل سكت، فلم يعرف، والمناظر إن لم يُسأل سأل فعرِف. فقلت: أليس إذا سئل الحافظ فأصاب بآن فضله؟ قال: نعم. قلت: أفليس إذا سئل المناظر فأخطأ بان نقصه، وقد قيل: عند الامتحان يُكرم المرءُ أو يهان؟ فأمسك عن جوابي، لأنه إن أنكر كابر العقول، ولو اعترف لزمت الحجة، والإسباك إذعان، والسكوت رضا، ولأن نقاد الحق أولى من أن يستفزه الباطل. وهذه طريقة من يقول: اعرفوني، وهو غير عرُوفٍ ولا معروف، وبعيد عن لا يعرف العلم أن يعرف به. وقد قال زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ومن أسباب التقصير أيضاً: أن يغفل عن التعلم في الصغر، ثم يشتغل به في الكبر، فيستحي أن يتدبَّر. مما يتدبَّر به الصغير، ويستكتف عن أن يساويه الحدث الغرير، فيبدأ بأواخر العلوم وأطرافها، ويهيم بجوانبها وأكتافها، ليتقدم على الصغير المبتدئ، ويساوي الكبير المنتهي، وهذا ممن رضي بخداع نفسه، وقنع بمداينة حسه؛ لأن معقوله إن أحس، ومعقول كل ذي حسٍ يشهد بفساد هذا التصور،

وينطق باختلال هذا التحيل؛ لأنه شيء لا يقوم في وهم. ولجهل ما يتبدى به المتعلم أقيح من جهل ما ينتهي إليه العالم، وقد قال الشاعر:

ترقُّ إلى صغير الأمر حتى يرقيك الصغير إلى الكبير

فتعرف بالتفكر في صغير كبيراً بعد معرفة الصغير

ولهذا المعنى وأشباهه كان التعلم في الصغر أحمد. روى مروان بن سالم، عن إسماعيل، عن نبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلُ الذي يتعلم في صغره كالتنقش على الحجر، والذي يتعلم في كبره كالذي يكتبُ على الماء». وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: قلبُ الحَدَثِ كالأراضي الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته. وإنما كان كذلك؛ لأن الصغير أفرغ قلباً، وأقل شغلاً، وأيسر تبذلاً، وأكثر تواضعاً. وقد قيل في مثور الحكم: المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً. فأما أن يكون الصغير أضبط من الكبير إذا عرِيَ من هذه الموانع، وأوعى منه إذا خلا من هذه القواطع، فلا. حكى أن الأحنف بن قيس سمع رجلاً يقول: التعلُّم في الصغر كالنقش على الحجر. فقال الأحنف: الكبير أكثر عقلًا، ولكنه أشغل قلباً، ولعمري لقد فحَصَ الأحنف عن المعنى وبينه، ونبه على العلة، لأن قواطع الكبير كثيرة؛ فمنها ما ذكرنا من الاستحياء. وقد قيل في مثور الحكم: من رَقَّ وجهه رَقَّ علمه. وقال الخليل بن أحمد: يرتع الجهل بين الحياء والكبر في العلم. ومنها: وفور شهواته، وتقسيم أفكاره. وقد قال الشاعر:

صرف الهوى عن ذي الهوى عزيز إن الهوى ليس له تمييز

ومنها: الطوارق الزعجة، والهموم المذهلة؛ وقد قيل في مثور الحكم: لهم قند الحواس. وقال بعض البلغاء: من بلغ أشده، لاقى من العيش أشده. ومنها: كثرة اشتغاله وتراذف أحواله، حتى إنها لتستوعب زمانه، وتستنفذ أيامه، فإذا كان ذا رئاسة أهنته، وإن كان ذا معيشة قطعتة، ولذلك قيل: تفقهوا قبل أن تسودوا. وقال بُزْجَرَجْهر: الشغل مجهدة، والفراغ مفسدة. فينبغي لطلاب العلم ألا يسي في طلبه، ويتنزه الفرصة به، فرما شح الزمان بما سمع، وما سنع ويتبدى من العلم بأوله، ويأتيه من مدخله، ولا يتشاغل بطلب مالا يضر جهله، فيمنعه ذلك من إدراك مالا يسعُ جهله، فإن لكل علم فضولاً مذهلة، وشنوراً مشغلة، إن صرف إليها نفسه قطعتة عما هو أهم منها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العلمُ أكثرُ من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه. وقال المؤمنون: ما لم يكن من العلم بارعاً، فبطون الصحف أولى به من قلوب الرجال. وقال بعض الحكماء: بترك مالا يعينك تدرك ما يعينك، ولا ينبغي أن يدعوه ذلك إلى ترك ما استصعب عليه، إشعاراً لنفسه أن ذلك من فضول علمه، وإعذاراً لها في ترك الاشتغال به؛ فإن ذلك مطية النوكى، وعذرُ المقتصرين،

١- رَجُلٌ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَتَّخِذَهُ زَادَةً إِلَى الْمَعَادِ، وَلَمْ يَقْصُدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ، فَهَذَا مِنَ الْفَائِزِينَ^(١).

٢- وَرَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى حَيَاتِهِ الْعَاجِلَةِ، وَيُنَالَ بِهِ الْعِزَّ وَالْحَيَاةَ وَالْمَالَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، مُسْتَشْعِرٌ فِي قَلْبِهِ رَكَاكَةَ حَالِهِ، وَخِيسَةَ مَقْصِدِهِ^(٢)، فَهَذَا مِنَ الْمَخَاطِرِينَ فَإِنْ

ومن أخذ من العلم ما تسهل، وترك منه ما تعذر، كان كالقناص، إذا امتنع عليه الصيد تركه، فلا يرجع إلا خائباً، إذ ليس يرى الصيد إلا متنعاً، كذلك العلم: طلبه صعب على من جهله، سهل على من علمه؛ لأن معانيه التي يتوصل إليها مستودعة في كلام مترجم عنها، وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظاً مسموعاً، ومعنى مفهوماً؛ فاللفظ كلامٌ يعقل بالسمع، والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب. وقد قال بعض الحكماء: العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور؛ فإذا عقل الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه، وإذا فهم المعاني، سقطت عنه كلفة استخراجها، وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها؛ لأن المعاني شوارد تضل بالإغفال، والعلوم وحشية تنفر بالإرسال، فإذا حفظها بعد الفهم أنست، وإذا ذكر بها بعد الأنس رست. وقد قال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم. وقال الشاعر:

إذا لم يُذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علماً نسي ما تعلماً

فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيّد مع الأيام في جمعه عسى

(١) - أي: الناجين من عذاب الله تعالى اللاحقين بالخير. وعلامة عالم الآخرة وهي: عدم طلب الدنيا بالعلم وكون قصده بالاشتغال بالعلوم نيل سعادة الآخرة فيكون معنياً بعلم الباطن سائساً لقلبه بمجاهدة النفس وكون اعتماده في العلوم على اتباع صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله. وعلامة عدم طلب الدنيا بالعلم، أن يكون أول عامل بالأمر ومجتنب للنهي وأن يكون محتنباً ترفه مطعم ومسكن وملبس وأن يكون منزلاً منقبضاً عن مخالطة السلطان إلا النصيح له أو لرد مظالم إلى أربابها أو للشفاعاة في مرضاة الله تعالى وأن لا يكون مسارعاً إلى الفتاوى كأن يدل على من هو أعلم منه. (مراقي العبودية ص ٦).

(٢) - أي: مقصوده.

عَاجِلُهُ أَحْلَهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ خِيفَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَأَضَافَ إِلَى الْعِلْمِ الْعَمَلِ، وَتَذَارَكَ مَا فَرَطَ فِيهِ مِنَ الْخَلَلِ، التَّحَقَّ بِالْفَائِزِينَ، فَإِنْ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(١).

٣- وَرَجُلٌ ثَابِتٌ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَاتَّخَذَ عِلْمَهُ ذَرْبَةً إِلَى التَّكَاثُرِ بِالْمَالِ، وَالتَّفَاخُرِ بِالْحَيَاةِ، وَالتَّعَزُّزِ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ، (و) يَدْخُلُ بِعِلْمِهِ^(٢) كُلُّ مَذْخَلٍ، رَجَاءً أَنْ يَقْضِي مِنَ الدُّنْيَا وَطَرَةً^(٣)، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُضْمِرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ (بِمَكَانَةٍ)^(٤) لَا تَسَامِيهِ (بِسِيمَةٍ)^(٥) أَعْلَمَاءٍ، وَتَرَسِّمُهُ بِرُسُومِهِمْ^(٦) فِي الرُّزْيِ وَالْمُنْطِقِ، مَعَ تَكَاثُلِهِ عَلَى الدُّنْيَا ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَهَذَا مِنَ الْهَالِكِينَ، وَمِنَ الْحَمَقَى الْمَغْرُورِينَ.

إِذِ الرَّجَاءُ مُنْقَطِعٌ عَنْ تَوْبَتِهِ لِظَنِّهِ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. وَهُوَ يَحْنُ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَالِ»، فَقِيلَ: (و)^(٨) مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «عِلْمَاءُ السُّوءِ»^(٩)، وَهَذَا لَأَنَّ الدَّجَالَ غَايَتُهُ الْإِضْطَالُ.

(١) - أخرجه ابن ماجة (٤٢٥٠) والبيهقي في السنن الكبرى: (١٥٤/١٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أي: يحكر بعلمه مكرراً كثيراً قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٤].

(٤) - أي: حاجته.

(٥) - في نسخة: (يمكن). قال الإمام محمد نووي الجاوي (ص ٧): قال شيخنا يوسف السبلاوي: أي: عظمة وارتفاع وهو مصدر مكن بضم الكاف كذا في المصباح وذكر الجوهري في فصل الكاف أن المكانة بمعنى المنزلة وهو من كان وفي فصل الميم بمعنى الاستقامة وهو من مكن.

(٦) - في نسخة: (بسمه).

(٧) - أي: بصورتهم.

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٩) - أخرج أحمد (١٤٥/٥) رقم (٢١٣٥٤) عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لغير الدجال أخوفني على أمتي» قالها ثلاثاً، قال: قلت: يا رسول الله، ما هذا الذي

وَمِنْ هَذَا: الْعَالَمِ وَإِنْ صَرَفَ النَّاسَ عَنِ الدُّنْيَا بِلِسَانِهِ وَمَقَالِهِ، فَهُوَ دَاعٍ لَهُمْ إِلَيْهَا بِأَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَلِسَانُ الْحَالِ (أَنْطَقَ) ^(١) مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ، وَطِبَاعُ النَّاسِ إِلَى (الْمُسَاعَدَةِ) ^(٢) فِي الْأَعْمَالِ آمِنٌ (إِلَيْهَا مِنْ) ^(٣) الْمُتَابَعَةِ فِي الْأَقْوَالِ.

فَمَا أَفْسَدَهُ هَذَا الْمَعْرُورُ بِأَعْمَالِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْحَحَهُ بِأَقْوَالِهِ، إِذْ لَا يَسْتَحْزِيءُ الْجَاهِلُ عَلَى الرُّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِاسْتِحْزَاءِ الْعُلَمَاءِ، فَقَدْ صَارَ عِلْمُهُ سَبَبًا لِحُرَاةِ عِبَادِ اللَّهِ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَنَفْسُهُ الْجَاهِلَةُ مُدْلِلَةٌ ^(٤) مَعَ ذَلِكَ تُمْنِيهِ ^(٥) وَتُرْجِيهِ ^(٦)، وَتَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَمُنَّ عَلَى اللَّهِ بِعِلْمِهِ، وَتُخَيِّلَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.

فَكُنْ أَبْهَى الطَّالِبُ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ. وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي، فَكَمْ ^(٧) مِنْ مُسَوِّفٍ عَاجِلُهُ الْأَجَلَ قَبْلَ التَّوْبَةِ فَخَسِرَ ^(٨).

غير الدجال أعرفك على أمثك؟ قال: «أئمة مضلين». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢١٢): رواه أحمد، وفيه: ابن هبة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقي رجاله ثقات.

وأخرج الطبراني في الكبير (٧٦٥٣) عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لست أخاف على أمي جمعاً يقتلهم ولا عدواً يبتاعهم ولكني أخاف على أمي أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢١٨): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه. وقال شيخنا في تحقيقه للمجمع: وكل رجاله مترجمون، وفيه: عبد الله بن رجاء الشامي، قال أبو حاتم: مجهول. وأبو عبد الله مريح: وثقه ابن حبان وباقى رجاله ثقات.

(١) - في نسخة: (أفصح). أي: أوضح.

(٢) - في نسخة: (المساهمة).

(٣) - في نسخة: (منها إلى).

(٤) - والمذلة: بضم الميم وكسر الدال من أدل بهمة الصبرورة كما في الصحاح ومعنى ذلك: أن النفس صارت دلالاً، أي: ملاعبة مع صاحبها. (مراقبي العبودية ص ٨).

(٥) - أي: تأمره النفس بأن يمتنى ما بعد حصوله كالجنة والثواب العظيم.

(٦) - أي: تأمره نفسه بأن يترجى ما سهل حصوله كالمال وكثرة الأتباع.

(٧) - الفاء للتعليل، أي: لأن كثيراً.

(٨) - أي: ضل وهلك. ويجوز بالخاء المهملة بمعنى: حزن وندم في الآخرة فلم ينفعه الندم.

وإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّالِثِ، فَتَهْلِكَ هَلَاكاً لَا يُرْجَى مَعَهُ فَلَاحُكَ، وَلَا يُنْتَظَرُ صَلَاحُكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا بَدَايَةُ الْهَدَايَةِ لِأَجْرَبَ بِهَا نَفْسِي؟

فَاعْلَمْ: أَنَّ بَدَايَتَهَا ظَاهِرَةُ التَّقْوَى، وَنَهَايَتَهَا بَاطِنَةُ التَّقْوَى. فَلَا عَاقِبَةَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَلَا هَدَايَةَ إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ.

وَالْتَّقْوَى: عِبَارَةٌ عَنِ امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَهُمَا قِسْمَانِ:

وَهَا أَنَا أَشِيرُ عَلَيْكَ (بِحَمَلٍ) ^(١) مُخْتَصِرَةً مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى فِي الْقِسْمَيْنِ جَمِيعاً.

(وَالْحَقُّ بِهِ قِسْمًا ثَالِثًا لِيَصِيرَ هَذَا الْكِتَابُ جَامِعاً مُغْنِياً. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) ^(٢).

(١) - في نسخة: (بجملة).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

القِسْمُ الْأَوَّلُ

في الطَّاعَاتِ

اعْلَمْ: أَنَّ أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى: فَرَائِضٌ وَتَوَائِلٌ.

فَالْفَرَضُ: رَأْسُ الْمَالِ، وَهُوَ أَصْلُ التَّجَارَةِ، وَبِهِ تَخْصُلُ النِّجَاةُ.

وَالْتَوَائِلُ: هُوَ الرِّبْحُ، وَبِهِ الْفُوزُ (بِالدَّرَجَاتِ)^(١). قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَائِلِ^(٢) حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا^(٣)».

وَكُنْ تَصِلُ إِلَيْهَا الطَّلَابُ إِلَى الْقِيَامِ بِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا بِمِرَاقَبَةِ قَلْبِكَ وَجَوَاحِرِكَ، فِي لَحْظَاتِكَ وَأَنْفَاسِكَ، مِنْ حِينَ تُصْبِحُ إِلَى حِينَ تُمَسِي.

فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى ضَمِيرِكَ، وَمُشْرِفٌ عَلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ، وَمُحِيطٌ بِجَمِيعِ لَحْظَاتِكَ وَخَطَوَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ، وَأَنَّكَ فِي

(١) - في نسخة: (في الدرجات).

(٢) - قال الإمام محمد نووي الجاوي (ص ٨ - ٩): والمراد بالتوائيل هي: النوافل الواقعة ممن أدى الفرائض لا ممن ترك شيئاً منها كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

(٣) - قال الإمام محمد نووي الجاوي (ص ٩): والحاصل: أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه الله تعالى إليه وراقه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق إليه تعالى حتى يصير مشاهداً له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى فحيثئذ يمتلئ قلبه بمعرفته ومحبه ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيرها فلا تستطيع جوارحه أن تبعث إلا بموافقة ما في قلبه وهذا هو الذي يقال فيه: لم يبق في قلبه إلا الله، أي: معرفته ومحبه وذكره.

مُخَالَطَتِكَ وَخَلَوَاتِكَ مُرَدَّدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَسْكُنُ فِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ سَاكِنٌ، وَلَا يَتَحَرَّكُ مَتَحَرِّكٌ، إِلَّا وَجَبَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ^(١) وَمَا تُخْفِي الصُّنُورُ﴾ [غافر: ١٩]. ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

فَتَأَدَّبْ إِلَيْهَا الْمُسْكِنِ ظَاهِراً وَبَاطِناً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى تَأَدَّبِ الْعَبْدُ الذَّلِيلُ الْمُذْنِبُ فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الْقَهَّارِ.

وَاجْتَهِدْ أَنْ لَا يَرَاكَ مَوْلَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَكُنْ تَقْدِيرَ عَنَى ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ تُوزَّعَ أَوْقَاتُكَ، وَتُرْتَبَ أَوْرَادُكَ مِنْ صَبَاحِكَ إِلَى مَسَائِكَ، فَاصْنَعْ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ مِنْ حِينَ تَسْتَقِظُ مِنْ مَنَامِكَ إِلَى وَقْتِ رَجُوعِكَ إِلَى مَضْجَعِكَ.

(فَصْلٌ فِي) آدَابِ الْاسْتِقْبَاطِ مِنَ النَّوْمِ

فَإِذَا اسْتَقِظْتَ مِنَ النَّوْمِ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَقِظَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا يَخْرِي عَلَى قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَقُلْ عِنْدَ ذَلِكَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ^(٢)»، أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْعِزَّةُ لِلَّهِ، وَالسُّلْطَانُ لِلَّهِ، وَالْعِزَّةُ

(١) - أي: حياتها التي هي أخفى ما يقع من أفعال الظاهر وهو الإشارة بالعين كذا قاله الشريبي. ويصح أن يكون ذلك من إضافة الصفة للموصوف، أي: العين الخائنة بمسارقتها النظر إلى مالا يحمل. (مراقي العبودية ص ٩).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أخرج البخاري (٦٣١٢ و ٦٣٢٤ و ٧٣٩٤) والترمذي (٣٤١٣) وأبو داود (٥٠٤٩) عن حذيفة وعن أبي ذر رضي الله عنهما.

(٤) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٨) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله عز وجل،

[آداب اللباس]

فَإِذَا لَبَسْتَ ثِيَابَكَ فَأَتَوِ بِهِ امْتِثَالَ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سِتْرِ عَوْرَتِكَ، وَاحْذَرُ أَنْ يَكُونَ قَصْدُكَ مِنْ لِبَاسِكَ مُرَآةَ الْخَلْقِ فَتُخَسِرَ^(١).

آداب دُخُولِ الْخَلَاءِ

فَإِذَا قَصَدْتَ بَيْتَ الْمَاءِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَقَدِّمْ فِي الدُّخُولِ رِجْلَكَ الْيُسْرَى، وَفِي الْخُرُوجِ رِجْلَكَ الْيُمْنَى^(٢)، وَلَا تَسْتَضِجِبْ شَيْئاً عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولُهُ، وَلَا تَدْخُلْ حَاسِرَ الرَّأْسِ^(٣) وَلَا حَافِي الْقَدَمَيْنِ.

رَقُلْ عِنْدَ الدُّخُولِ: «بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الرَّجْسِ النَّجِسِ، الْخَبِيثِ الْمَخْبِثِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٤).

وَعِنْدَ الْخُرُوجِ: «غُفْرَانُكَ»^(٥)، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِينِي وَأَبْقَى عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي»^(٦).

(١) - أي: فتهلك.

(٢) - ومثل بيت الماء كل ما لبس شريفاً ولو خرج من مستقذر إلى مستقذر قدم يساره كذا أفاندي اليوناني. (مراقي العبودية ص ١١).

(٣) - قال ابن قدامة في المغني (٢٢٦/١): ويستحب أن يغطي رأسه، لأن ذلك يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أخرج أبو نعيم في الحلية (١٨٢/٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء غطى رأسه.

(٤) - أخرجه ابن ماجه (٢٩٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ آبَائِنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١)، اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ^(٢)، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءًا، أَوْ نَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ^(٣) أَوْ يَجْرَهُ أَحَدٌ إِلَيْنَا، نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، وَخَيْرَ مَا فِيهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ، وَشَرِّ مَا فِيهِ^(٤)».

والحمد لله والكبرياء والعظمة لله، والخلق والأمر والليل والنهار، وما سكن فيهما الله تعالى، اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً، وأوسطه نجاحاً، وآخره فلاحاً، يا أرحم الراحمين.

(١) - أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١) و٢ و٣ و٤٣ و٣٤٤) والدارمي (٢٦٩١) عن عبد الرحمن بن أبزي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».

(٢) - أخرجه الترمذي (٣٣٨٨) وأبو داود (٥٠٦٨) وابن ماجه (٣٨٦٨) والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) - أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) عن أبي مالك قال: قالوا: يا رسول الله حدثنا بكلمة نقولها إذا أصبحنا وأمسينا واضطجعنا، فأمرهم أن يقولوا: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء والملائكة يشهدون أنك لا إله إلا أنت، فإننا نعوذ بك من شر أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم وشركه، وأن نقترف سوءاً أو نجروه إلى مسلم».

(٤) - أخرجه مسلم (٢٧٢٣) والترمذي (٣٣٨٧) وأبو داود (٥٠٧١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٣ و٥٧٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك... له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل والهمم وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً».

وَيَنْبَغِي أَنْ تُعَدَّ النَّبْلُ^(١) قَبْلَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَأَنْ لَا تَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَأَنْ تَسْتَبْرِئَ مِنَ الْبَوْلِ بِالتَّنْحُجِّ وَالتَّرْتُلَا^(٢)، وَيَمْرَارَ الْيَدِ الْيُسْرَى عَلَى أَسْفَلِ الْقَضِيْبِ، وَإِنْ كُنْتَ فِي الصَّخْرَةِ فَابْعُدْ عَنْ غَيْرِ النَّاسِ^(٣)، وَاسْتَبْرِئْ بِشَيْءٍ إِنْ

(٥) - أخرجه أحمد: (١٥٥/٦) والدارمي (٦٨٦) والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٣) وابن ماجه (٣٠٠). والترمذي (٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٩) و(٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) - أخرج ابن ماجه (٣٠١) بإسناد ضعيف عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني».

(١) - قال ابن حجر في تلخيص الخبير (١١٨/١) حديث: روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الملاعن، وأعدوا النبيل». عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن الشعبي مرسلاً. ورواه أبو عبيد من وجه آخر، عن الشعبي، عن من سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وإسناده ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم في العلل من حديث سراقه مرفوعاً، وصححه أبوه وقفه.

تنبيه: قال الخطابي: والنَّبِيلُ بضم النون وفتحها وأكثر الرواة يروونها بالفتح، والضم أجود، وهي الأحجار الصغار التي يستنجى بها.

أخرج ابن أبي حاتم في علل الحديث (٣٦/١ - ٣٧) قال: سألت أبي عن حديث رواه أحمد بن ثابت فروي، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن سماك بن الفضل، عن أبي رشدين الحندي، عن سراقه بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة واتقوا مجالس اللعن والظل والماء وقارة الطريق واستمخروا الريح واستشربوا على سوقكم وأعدوا النبيل». قال أبي: أن ما يروونه موقوف وأسنده عبد الرزاق بأخرة.

(٢) - وكيفية الترتل: أن يمسح يساره من دبره إلى رأس ذكره ويعيده بلطف ليخرج ما بقي إن كان، ويكون ذلك بالإبهام والمسيحة لأنه يتمكن بهما من الإحاطة بالذكر وتضع المرأة أصابع يدها اليسرى على عانتيها كذا نقله البحرمي عن شرح الروض لشيخ الإسلام لكن المراد بالنتر هنا: مد الذكر بلطف. (مراقي العبودية ص ١١).

(٣) - أخرج الترمذي (٢٠) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم حاجته، وأبعد في المذهب.

وَجَدَّتْهُ^(١)، وَلَا تَكْثِفُ عَوْرَتَكَ قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى مَوْضِعِ الْجُلُوسِ، وَلَا تَسْتَقْبِلَ الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ^(٢)، وَلَا تَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَنْدِرُهَا^(٣)، وَلَا (تَجْلِسُ)^(٤) فِي مُتَحَدِّثِ النَّاسِ^(٥)، وَلَا تَبْلُ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ^(٦) (وَتَحْتَ)^(٧) الشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ^(٨)، وَلَا فِي الْخُحْرِ^(٩)،

وأخرج النسائي (١٧/١ و ١٨) عن عبد الرحمن بن أبي قراد قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلاء، فكان إذا أراد الحاجة أبعد.

(١) - أخرج مسلم (٣٤٢) عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه، فأمرني حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل.

(٢) - قال الإمام النووي في المجموع (١٠٣/١): أن الحديث المستأنس به في هذا ضعيف، بل هو باطل، وأن الصحيح المشهور: أنه يكره الاستقبال دون الاستدبار.

(٣) - أخرج البخاري (١٤٤) ومسلم (٢٦٤) عن أبي أيوب الأنصاري قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط، ولكن شرفوا أو غربوا».

(٤) - في نسخة: (تبل).

(٥) - أخرج مسلم (٢٦) وأبو داود (٢٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا اللاعنين، قيل: وما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلمهم».

(٦) - أخرج النسائي (٣٤/١) عن جابر رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الراكد.

قال الإمام النووي: وينبغي أن يحرم البول في الماء القليل جارياً أو راكداً، وفي الكثير الأولى احتنايه.

(٧) - في نسخة: (ولا تحت).

(٨) - ذكر الهيثمي في الجمع (١٠٠٠) عن عبد الله بن عمر قال: نهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة أو على ضفة نهر جارٍ. وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير الشطر الأخير. وفيه: فرات بن السائب وهو متروك الحديث.

(٩) - وألحقوا به السرب بفتح السين والراء وهو الشق المستطيل، لما قيل إن ذلك مسكن الجن، وأنهم قتلوا سعد بن عبادة رضي الله عنه لما بال فيه. (مراقي العبودية ص ١٢).

وَأَحْذَرِ الْأَرْضَ الصُّلْبَةَ وَمَهَبَ الرِّيحَ^(١) اخْتِزَانًا مِنَ الرُّشَاشِ^(٢) ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ»^(٣) .

وَأَتَكَيَّءُ فِي جُلُوسِكَ عَلَى الرَّجُلِ الْيُسْرَى^(٤) ، وَلَا تَبُلُ قَائِمًا^(٥) إِلَّا عَنْ ضَرُورَةٍ وَاجْتَمَعَ فِي الْأَسْتِنْجَاءِ بَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْحَجَرِ وَالْمَاءِ^(٦) ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْأَقْصَارَ عَلَى أَحَدِهِمَا

(١) - ذكر ابن حجر العسقلاني في تلخيص الخبير (١١٧/١) عن الحصري رفعه: «إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح بوله فزده عليه». وقال: رواه ابن قانع، وإسناده ضعيف جداً.

وذكر أيضاً عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره البول في الهواء. وقال: رواه ابن عدي. أقول: وانظره في تذكرة الموضوعات لابن القيم راني (٥٥٧).

(٢) - أخرج أبو داود (٣) عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بال أحدكم فليترد لبوله».

(٣) - أخرج الدارقطني في سننه (١٢٨/١) عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه». وانظره في نصب الراية (١٢٨/١). وعلل الحديث (٤٢).

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠٣٣) عن معاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستنزه من البول ويأمر أصحابه بذلك، قال معاذ: إن عامة عذاب القبر منه. قال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه: رشدين بن سعد ضعفه الأثرون، وقال أحمد: يحتمل حديثه في الرقائق، وفيه: عبد الله بن جذيم، ويقال: ابن حريث، عن معاذ ولم أر من ذكره.

(٤) - أخرج الطبراني في الكبير (٦٦٠٥) عن رجل من بني مدلج، عن أبيه قال: جاء سراقه بن مالك بن جعشم من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال رجلٌ كالمستهزئ: أما علمكم كيف تحزؤون؟ قال: بلى، والذي بعثه باحق، لقد أمرنا أن نتوكأ على اليسرى وأن نصب اليمنى. قال الهيثمي (١٠٢٠): رواه الطبراني في الكبير، وفيه رجل لم يسم.

أقول: قال ابن حجر في تلخيص الخبير (١١٨/١) عقبه: قال الحازمي: لا نعلم في الباب غيره. وقال في بلوغ المرام (١١١): رواه البيهقي بسند ضعيف.

(٥) - أخرج ابن ماجة (٣٠٩) عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبول قائماً.

فَالْمَاءُ أَفْضَلُ، وَإِنْ اقْتَصَرْتَ عَلَى الْحَجَرِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ طَاهِرَةٍ مُنْشَفَةٍ لِلْعَيْنِ تَمْسَحُ بِهَا مَحَلَّ النَجْوَى، بِحَيْثُ لَا تَتَقَبَّلُ النَجَاسَةَ عَنْ مَوْضِعِهَا، وَكَذَلِكَ تَمْسَحُ الْقَضِيبَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ حَجَرٍ، فَإِنْ لَمْ يَحْضَلْ الْإِنْقَاءُ بِثَلَاثَةٍ، فَتَمَمَّ خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً، إِلَى أَنْ يُنْقَى بِالْإِثَارِ، فَالْإِثَارُ مُسْتَحَبٌّ، وَالْإِنْقَاءُ وَاجِبٌ، وَلَا تَسْتَنْجِ إِلَّا بِالْيَدِ الْيُسْرَى.

وَقُلْ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْأَسْتِنْجَاءِ: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ الْفَوَاحِشِ»^(١) . وَأَذْلِكَ يَدَكَ بَعْدَ تَمَامِ الْأَسْتِنْجَاءِ بِالْأَرْضِ أَوْ بِحَائِطٍ ثُمَّ اغْسِلْهَا.

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٥) عن عمر قال: ما بلت قائماً منذ أسلمت. قال: رواه البزار ورجاله ثقات.

وقال ابن قدامة في المغني (٢٢٣/١): وكان سعد بن إبراهيم لا يميز شهادة من بال قائماً.

(٦) - في نسخة: (عند الضرورة).

(١) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٣٢/٣): وقع في نسخ الإحياء عن أبي سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٦٨/٥) دون قوله: «وفرجي من الزنا وعملي من الرباء وعيني من الخيانة». والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥١٤/٧) ومشكاة المصابيح للترغزي (٢٥٠١) وقال: رواه البيهقي في الدعوات الكبير. وانظره في الدر المنثور (٣٤٩/٥).

بَاب آدَابِ الْوُضُوءِ^(١)

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْاسْتِنْجَاءِ، فَلَا تَرْكُ السَّوَاكِ، فَإِنَّهُ: «مَطْهُرَةٌ لِلْفَمِ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ، وَمَسْحَطَةٌ لِلشَّيْطَانِ»^(٢). وَ«صَلَاةٌ بِسَوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِلَا سَوَاكِ»^(٣).
وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ»^(٤).

(١) - قال الإمام محمد بن نووي الجاوي في مراقبي العبودية (ص ١٣): المراد بالآداب هنا المطلوبة فتشمل المندوبة والواجبة كما أفاده شيخنا عبد الحميد.
(٢) - أخرجه أحمد: (١٤٦/٦). والنسائي في سننه (٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مقتصرًا على: «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب». وانظر تحفة الأشراف (١٦٢٧١). وابن خزيمة: (١٣٥). والدارمي: (٦٩٠).

(٣) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٨/١) عن عائشة رضي الله عنها. وذكره العجلوني في كشف الخفاء: (١٦٠٤). وقال... ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود بلفظ: «صلاة على أثر سواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك».

أخرج أحمد (٢٧٢/٦) وابن خزيمة: (١٣٧/١) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفًا». قال أبو بكر. أنا استئيت صحة هذا الخبر، لأنني خائف أن يكون محمد بن إسحاق لم يسمع من محمد بن مسلم وإنما دلّسه عنه.

وذكر السيوطي في الجامع الصغير (٤٤٩٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك...». وعزاه لابن النجار والديلمي في الفردوس. وهو موضوع.

وذكر الهيثمي في الجمع: (٢٥٥٤) عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك سبعين صلاة». وقال: رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى وقد صححه الحاكم.

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرْتُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»^(١).
ثُمَّ (عَنْدَ الْفَرَاغِ) ^(٢) اجْلَسَ لِلْوُضُوءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ عَلَى مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ كَيْ لَا يُصِيبَكَ الرِّشَاشُ، وَقُلْ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٣)، ﴿وَقُلْ﴾ رَبِّ اغْشُودُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿[المؤمنون: ٩٧ - ٩٨]﴾.
ثُمَّ اغْسِلْ يَدَيْكَ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمَا الْإِنَاءَ، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْيَمْنَ وَالْبَرَكَةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّؤْمِ وَالْهَلَكَةِ». ثُمَّ انْزِعِ رِجْلَكَ أَوْ اسْتِجَاةَ الصَّلَاةِ.
وَلَا يُبْنِي أَنْ تَعُزَّبَ يَدُكَ قَبْلَ غَسْلِ الرَّجْلِ، فَلَا يَصِحُّ وُضُوءُكَ. ثُمَّ خُذْ عَرْفَةَ لِفْئِكَ وَتَمَضَّضْ بِهَا ثَلَاثًا، وَبَالِغْ فِي رَدِّ الْمَاءِ إِلَى الْغُلْصَمَةِ^(٤) إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا (فَتَرْفُقْ)^(٥)،

(٤) - أخرجه البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢).

(١) - ذكره الهيثمي في الجمع (٢٥٥٩) عن واثلة بن الأسقع. وقال: رواه أحمد والطيبراني في الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس وقد عنعنه. قال شيخنا في تحقيقه للمجمع: ليث: قال ابن حجر: صدوق اختلط أخيرًا ولم يتميز حديثه فترك.

وأخرج أبو يعلى في مسنده (٢٣٣٠) عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزل عليّ به قرآن أو وحى». وانظره في مجمع الزوائد: (٢٥٥٦) وقال شيخنا: إسناده ضعيف فيه شريك القاضي.

وذكر الهيثمي في الجمع (٢٥٥٧) لابن عباس عند أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت بالسواك حتى خشيت أن يوحى إليّ فيه» قال: ورجاله ثقات.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - روى أحمد (٤١٨/٢) وأبو داود (١٠١) وابن ماجه (٣٩٩) بإسناد حسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

وقال النووي رحمه الله تعالى في الأذكار (ص ٤٢): وأما الدعاء على أعضاء الوضوء فلم يجيء فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال الفقهاء: يستحب فيه دعوات جاءت عن السلف وزادوا ونقصوا فيها.

(٤) - الغلصمة: رأس الخلقوم.

(٥) - في نسخة: (فارفق).

وَقُلْ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى بِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَكَ وَتَبَتُّنِي بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ».

ثُمَّ خَذَ غُرْقَةً لَأَنْفِكَ، وَاسْتَنْشَقَ بِهَا ثَلَاثًا وَاسْتَنْشَرَّ مَا فِي الْأَنْفِ مِنَ الرُّطُوبَةِ، وَقُلْ فِي الْاسْتِنْشَاقِ: «اللَّهُمَّ (أَرِحْنِي) ^(١) رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ». وَقُلْ فِي الْاسْتِنْشَارِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَاحِ النَّارِ وَسُوءِ النَّارِ».

ثُمَّ خَذَ غُرْقَةً لِرُوحِكَ، فَاعْسِلْ بِهَا مِنْ مُبْتَدَأِ تَسْطِيعِ الْجَبْهَةِ إِلَى مُنْتَهَى مَا يُقْبَلُ مِنَ الذَّقْنِ فِي الطُّوْلِ، وَبَيْنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ فِي الْعَرْضِ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَوْضِعِ التَّحْدِثِ، وَهُوَ: مَا يَتَعَادُ النِّسَاءُ تَنْجِيَةَ الشَّعْرِ عَنْهُ، وَهُوَ مَا بَيْنَ رَأْسِ الْأُذُنِ إِلَى زَاوِيَةِ الْحَبِيبِ، أَعْيِشِي: مَا يَقَعُ مِنْهُ فِي جَبْهَةِ الْوُجْهِ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَنَابِتِ الشُّعُورِ الْأَرْبَعَةِ: الْحَاجِبَيْنِ ^(٢) وَالشَّارِبَيْنِ ^(٣)، وَالْأَهْدَابِ ^(٤) وَالْعِدَارَيْنِ، وَهَمَا: مَا يُوَازِي الْأُذُنَيْنِ مِنْ مُبْتَدَأِ اللَّحْيَةِ.

وَيَجِبُ إِيْصَالُ الْمَاءِ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ مِنَ اللَّحْيَةِ الْخَفِيفَةِ ذُونَ الْكَيْفَةِ، وَقُلْ عِنْدَ عَسَلِ الْوُجْهِ: «اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي بِنُورِكَ يَوْمَ تَبْيَضُ وَجُوهُ أَوْلِيَائِكَ، وَلَا تَسْوِذْ وَجْهِي بِظُلَمَاتِكَ يَوْمَ تَسْوِذُ وَجُوهَ أَعْدَائِكَ» ^(٥). وَلَا تَتْرُكْ تَحْيِيلَ اللَّحْيَةِ الْكَيْفَةِ.

ثُمَّ اعْمِلْ يَدَكَ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى مَعَ الْمَرْفُوعَيْنِ إِلَى أَنْصَافِ الْعَضُدَيْنِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ فِي الْجَنَّةِ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الرُّضُوءِ، وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ الْيُمْنَى: «اللَّهُمَّ أَغْطِنِي كِتَابِي بِحَبِينِي وَحَاسِنِي حِسَابًا يَسِيرًا» ^(٦). وَعِنْدَ غَسْلِ الشِّمَالِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُغْطِيَنِي كِتَابِي بِشِمَالِي أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي».

ثُمَّ اسْتَوْعِبْ رَأْسَكَ بِالْمَسْحِ بِأَنْ تَبْلَ يَدَيْكَ، وَتَلْصِقَ رُؤُوسَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ الْيُمْنَى وَالْيُسْرَى، وَتَضَعُهُمَا عَلَى مُقَدِّمَةِ الرَّأْسِ، وَتَمْرَهُمَا إِلَى الْقَفَا، ثُمَّ تَرُدُّهُمَا إِلَى الْمُقَدِّمَةِ، فَهَذِهِ مَرَّةٌ ^(٧)، تَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ غُشِّنِي بِرَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَأُظْلِمْنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ» ^(٨). «اللَّهُمَّ حَرِّمْ شَعْرِي وَبَشْرِي عَلَى النَّارِ» ^(٩).

ثُمَّ (امْسَحْ) ^(١٠) أُذُنَيْكَ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا بِمَاءِ حَبْرِي ^(١١)، وَأَدْخِلْ مُسَبِّحَتَكَ فِي صِمَاحِي أُذُنَيْكَ ^(١٢) وَامْسَحْ ظَاهِرَ أُذُنَيْكَ بِبَاطِنِ إِبْهَامَيْكَ ^(١٣)، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ

(١) - وهو المسمى بحساب العرض.

(٢) - أخرج أبو داود (١٢١ و ١٢٢) عن المقدام بن معدي كرب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ، فلما بلغ مسح رأسه، وضع كفيه على مقدم رأسه، فأمرهما حتى بلغ القفا، ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه.

وأخرج الترمذي (٣٥ و ٤٧) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدير، بدأ بعقد رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه.

(٣) - كنز العمال (٢٦٩٩٠).

(٤) - قال الزبيدي في إنحشاف السادة المتقين (٢/٢٦٤): في شرح الوجيز وعند مسح الرأس: «اللهم حرم شعري وبشري على النار».

(٥) - في نسخة: (تمسح).

(٦) - أخرج الحاكم (١٥١/١) عن عبد الله بن زيد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ، فأخذ ماءً لأذنيه خلّاف الماء الذي أخذه لرأسه.

(١) - في نسخة: (أوجد لي).

(٢) - المحاجب: الشعر النابت على العينين.

(٣) - الشارب: الشعر النابت على الشفة العليا.

(٤) - الهدب: الشعر النابت على أجناف العين.

(٥) - ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٥٥٤) من حديث أنس مطولاً وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اتهم أبو حاتم ابن حبان به عباد بن صهيب واتهم به الدارقطني أحمد بن هاشم، فأما عباد فقال ابن المديني: ذهب حديثه. وقال البخاري والنسائي: مقروك. وقال ابن حبان: يروي الماكير التي يشهد لها بالوضع. وأما أحمد بن هاشم فيكفيه اتهام الدارقطني. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤١٢٢/٢) وقال: رواه ابن حبان.... وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (١٠٢٩/٣).

الَّذِينَ يَسْمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، اللَّهُمَّ أَسْمِعْنِي مُنَادِيَ الْجَنَّةِ^(١) فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْأَثَرَارِ».

ثُمَّ أَسْحَ رَبَّتْكَ^(٢) وَقُلْ: «اللَّهُمَّ فَكْ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ».

(٧) - أخرج أبو داود (١٢١) وابن ماجه (٤٤٢ و ٤٥٧) عن المقدم بن معدي كرب قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح في وضوئه رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما، وأدخل إصبعه في صماخيه أذنيه. قال ابن حجر في تلخيص الجبير ١٠١/١ (٢٥): وإسناده حسن.

(٨) - وأخرج الترمذي (٧٤/١) عن ابن عباس رضي الله عنه مسح برأسه وأذنيه باطنهما بالمسحيتين وظاهرهما بإبهاميه.

(٩) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ١٥): وهو سيدنا بلال بن رباح الحبشي.

(١٠) - قال ابن حجر في تلخيص الجبير (١٠٣/١) حديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مسح الرقبة أماناً من الغل». هذا الحديث أورده أبو محمد الجويني، وقال: لم يرتض أئمة الحديث إسناده فحصل التردد في أن هذا الفعل هل هو سنة أو أدب، وتعقبه الإمام بما حاصله، إنه لم يجر لأصحاب تردد في حكمه مع تضعيف الحديث الذي يدل عليه.

وقال القاضي أبو الطيب: لم ترد فيه سنة ثابتة، وقال القاضي حسين: لم ترد فيه سنة. وقال الفوراني: لم يرد فيه خبر وأورده الغزالي في الوسيط وتعقبه ابن الصلاح فقال: هذا الحديث غير معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من قول بعض السلف.

وقال النووي في شرح المذهب: هذا حديث موضوع، ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وزاد في موضع آخر: لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء، وليس هو سنة، بل بدعة. ولم يذكره الشافعي ولا جمهور الأصحاب، وإنما قاله ابن القاص، وطائفة يسيرة، وتعقبه ابن الرفعة، بأن ابنه من أئمة الحديث، وقد قال باستحبابه ولا مأخذ لاستحبابه إلا خبر أو أثر لأن هذا لا مجال لتقياس فيه. انتهى كلامه.

ولعل مستند النووي في استحباب مسح القفا، ما رواه أحمد وأبو داود من حديث طلحة بن مصرف، عن أبيه، عن جده أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بمسح رأسه، حتى بلغ القذال وما يليه من مقدم العنق، وإسناده ضعيف. وكلام بعض السلف الذي ذكره ابن الصلاح يحتمل أن يريد به ما

ثُمَّ اغْسِلْ رَجْلَكَ اليمْنَى ثُمَّ اليمْسِرَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ^(١)، وَخَلِّلْ بِخِنْصَرِ اليمْسِرَى أَصَابِعَ رَجْلِكَ مُتَبَلِّغًا بِخِنْصَرِ اليمْنَى حَتَّى تَخْتِمَ بِخِنْصَرِ اليمْسِرَى، وَتُدْخِلْ (الأصابع)^(٢) مِنْ أَسْفَل. وَقُلْ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي^(٣) عَلَى الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مَعَ أَقْدَامِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ». وَكَذَلِكَ تَقُولُ عِنْدَ غَسْلِ اليمْسِرَى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي عَلَى الصُّرَاطِ فِي النَّارِ يَوْمَ تَزِلُّ أَقْدَامُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ». وَارْفَعِ الْمَاءَ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ، وَرَاعِ التَّكَرُّارَ ثَلَاثًا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكَ.

رواه أبو عبيد في كتاب الطهور ص ٣٧٣ (٣٦٨): قال أبو عبيد: وأما مسح القفا فعن: علي بن ثابت وعبد الرحمن حدثنا عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن موسى بن طلحة قال: من مسح قفاه مع رأسه وفي الغل يوم القيامة. قلت: فيحتمل أن يقال: هذا وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع، لأن هذا لا يقال من قبل الرأي، فهو على هذا مرسل.

حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ ومسح عنقه، وفي الغل يوم القيامة»، قال أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٥/٢): حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن داود، حدثنا عثمان بن حرزاد، حدثنا عمر بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عمرو الأنصاري، عن أنس بن سيرين، عن ابن عمر: أنه كان إذا توضأ مسح عنقه، ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ ومسح عنقه، لم يغل بالأغلال يوم القيامة». وفي البحر للرويان: لم يذكر الشافعي مسح العنق. وقال أصحابنا هو سنة، وأنا قرأت جزءاً رواه أبو الحسين ابن فارس بإسناده، عن فليح بن سليمان، عن نافع عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ ومسح يديه على عنقه، وفي الغل يوم القيامة». وقال: هذا إن شاء الله حديث صحيح. قلت: بين ابن فارس، وفليح مفازة، فينظر فيها.

(١) - أخرج النسائي (٦٧/١ - ٧٠) عن الحسين بن علي قال: دعاني أبي علي بوضوء، فقربت له، فبدأ فغسل كفيه ثلاث مرات، قبل أن يدخلهما في وضوئه، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائماً».

(٢) - في نسخة: (الأصبع).

(٣) - بكسر الميم وهو مفرد مضاف فيعم الاثنين ولو أريد الثثنى لقليل: قدامي بالالف بعد الميم.

(مراقى العبودية ص ١٥).

فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الْوُضُوءِ^(١)، فَأَرْفَعْ بَصْرَكَ إِلَى السَّمَاءِ وَقُلْ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ^(٢)»، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ^(٣)؛ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَاعْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ^(٤)، وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْنِي صَبُورًا شَكُورًا، وَاجْعَلْنِي أَذْكُرَكَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَأَسْبَحَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا^(٥). فَمَنْ (قَرَأَ)^(٥) هَذِهِ الدُّعَوَاتِ فِي وُضُوئِهِ خَرَجَتْ جَمِيعُ خَطَايَاهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَحُجِّمَ عَلَى وُضُوئِهِ بِخَاتَمٍ، وَرُفِعَ لَهُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمْ يَزَلْ يُسَبِّحُ اللَّهَ (تَعَالَى)^(٦) وَيُقَدِّسُهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ ثَوَابُ ذَلِكَ الْوُضُوءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَجْتَنِبْ فِي وُضُوئِكَ سَبْعًا:

(١) - أخرجه مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩ و ١٧٠) والترمذي (٥٥) والنسائي (٩٢/١ و ٩٣) وفي عمل اليوم والليلة (٨٤) وابن السني (٣١). عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». وزاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

(٢) - أخرجه مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩ و ١٧٠) والنسائي (٩٢/١ و ٩٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) - أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨١ - ٨٣). والحاكم (٥٦٤/١).

(٤) - أخرجه الترمذي (٥٥) عن عمر رضي الله عنه.

(٥) - في نسخة: (قال).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

١- لَا تَنْفُضْ يَدَيْكَ^(١) قَرَشَ الْمَاءِ.

٢- وَلَا تَلْطِمَ (وَجْهَكَ وَلَا رَأْسَكَ)^(٢) بِالْمَاءِ لَطْمًا.

٣- وَلَا تَتَكَلَّمْ فِي أَثْنَاءِ انْوَضُّوءٍ.

٤- وَلَا تَرُدَّ فِي الْغُسْلِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ.

٥- وَلَا تَكْثُرْ صَبَّ الْمَاءِ^(٣) مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِمَجَرَّدِ الْوَسْوسَةِ فَلِلْمُوسُوسِينَ شَيْطَانٌ (يَضْحَكُ)^(٤) بِهِمْ يُقَالُ لَهُ الْوُلْهَانُ^(٥).

(١) - ذكر ابن أبي حاتم في علل الحديث (٧٣) وابن حبان في المحروحين (٢٠٣/١) والذهبي في ميزان الاعتدال (١١٣٣) وابن حجر في تلخيص الخبير ١٠٩/١ (١٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا توضأت فلا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان.

(٢) - في نسخة: (رأسك ووجهك).

(٣) - ولو على شط نهر فذلك مكروه. (مراقي العبودية ص ١٧).

(٤) - في نسخة: (يلعب).

(٥) - وهو الذي يوله الناس بكثرة استعمال الماء، وذكر بعضهم: أن لا يبس تسعة من الولد لكل منهم اسم وعمل، فمنهم خنزب وهو الموسوس في الصلاة، والولهان وهو الموسوس في الطهارة، والثالث: زلنبور بزاء مفتوحة ولام مشددة بعدها نون فموحدة وآخر راء وهو في كل سوق يزين للبايعين اللغو والحلف الكاذب وتطفيف الكيل والميزان، والرابع: الأعور وهو شيطان الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، والخامس: الوسنان بواو مفتوحة وسين مهملة سناكة ونونين بينهما ألف وهو شيطان النوم ينقل الرأس والأحفاة عن القيام إلى الصلاة ونحوها ويوقظ إلى القبيح من زنا ونحوه. والسادس: تبر بوقفة فموحدة فراء وهو اسم شيطان المصيبة يزين الصباح ولطم الخدود ونحوه، والسابع: داسم بدال وسين مهملتين بينهما ألف وهو اسم شيطان الطعام يأكل مع الإنسان ويدخل المنزل إن لم يسم عند طعامه ودخوله وينام على الفراش ويلبس الثياب إن لم تكن مطوية وذكر اسم الله عليها وقيل: إنه يسعى في إثارة الخصام بين الزوجين ليفرق بينهما. والثامن: مطون بيم مفتوحة فطاء مهملة وآخره نون ويقال: مسوط بسين مهملة مضمومة وآخره طاء مهملة وهو صاحب الأخبار الكاذبة ينقيها على ألسنة الناس ثم لا يوجد لها أصل. والتاسع: الأبيض بموحدة فتحية فضاء معجمة موكل بالأنبياء والأولياء. أما الأنبياء: فسلموا منه وأما الأولياء فهم مجاهدون له فمن سلمه الله سلم ومن أغواه غوى. (مراقي العبودية ص ١٧).

٦- وَلَا تَوَضَّأْ بِالْمَاءِ الْمُسْتَسْ (١).

٧- وَلَا (مِنْ) الْأَوَّانِي الصُّفْرِيَّةِ.

فَهَذِهِ السَّبْعَةُ مَكْرُوهَةٌ فِي الْوُضُوءِ، وَفِي الْخَيْرِ أَنْ: «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ وَضُوئِهِ، طَهَّرَ اللَّهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ لَمْ يَطْهَرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَهُ الْمَاءُ» (٢).

آدَابُ الْغُسْلِ

فَإِذَا أَصَابَتْكَ جَنَابَةٌ مِنْ احْتِلَامٍ أَوْ وَقَاعٍ، (فَخُذْ) (٣) الْإِنَاءَ إِلَى الْمُغْتَسِلِ، وَاغْسِلْ يَدَيْكَ تَوَدُّ ثَلَاثًا، وَأَزِلْ مَا عَلَى بَدَنِكَ مِنْ قَدَرٍ، وَتَوَضَّأْ كَمَا سَبَقَ (يَبِي) (٤)، وَضُوءُكَ لِنَصَلَاةٍ مَعَ جَمِيعِ الدَّعَوَاتِ: وَأَخِرُ غَسْلٍ (قَدَمَيْكَ) (٥) كَيْلًا يَضِيغُ الْمَاءُ.

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْوُضُوءِ فَصَبِّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِكَ (٦) ثَلَاثًا (٧)، وَأَنْتَ نَازِعُ رَفْعِ الْحَدَثِ مِنَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ عَلَى الْأَيْسَرِ ثَلَاثًا، وَاذْلُكْ مَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِكَ

(١) - ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧٢) عن عائشة قالت: أسخنت ماء في الشمس فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم ليتوضأ به فقال: «لا تفعلني يا عائشة فإنه يورث البرص». قال: رواه الطبراني في الأسط، فيه: محمد بن مروان السدي، وقد أجمعوا على ضعفه. وقال: - أي الطبراني - لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد.

وقال الشافعي في الأم (٣/١): ولا أكره الماء الممشس إلا أن يكون من جهة الطب.

(٢) - في نسخة: (في).

(٣) - ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٨٧٠١) بتحقيق شيخنا وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف عن الحسن الكوفي مرسلًا. وقال العراقي (١٣٥/١): رواه الدارقطني - من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. وانظر إتحاف السادة المتقين: (٣٧٤/٢) وكنز العمال (٢٦٠٦٧). وهو حديث ضعيف.

(٤) - في نسخة: (فاحمل).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (رجليك).

وَمَا أَذْبَرَ (١) (ثَلَاثًا ثَلَاثًا) (٢)، وَخَلَّلْ شَعْرَ رَأْسِكَ وَلَحْيَيْكَ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَعَاطِفِ الْبَدَنِ (٣) وَمَنَابِتِ الشَّعْرِ مَا خَفَ (مِنْهُ) (٤) وَمَا كُتِفَ، وَاحْذَرُ أَنْ تَمَسَّ ذَكَرَكَ بَعْدَ الْوُضُوءِ، فَإِنْ أَصَابَتْكَ يَدُكَ فَأَعِدِ الْوُضُوءَ (٥).

وَالْفَرِيضَةُ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ:

(الْيَتِيمُ وَالزَّالِمَةُ النَّجَاسَةُ) (١) وَاسْتِيعَابُ الْبَدَنِ بِالْغُسْلِ (٢).

(٧) - قال الإمام محمد نوري الجاري في مراقي العبودية (ص ١٨ - ١٩): والمعتمد: أن الأنضل

بعد فراغ الوضوء أن تتعهد معاطفك ثم تخلل رأسك ولو كنت محرمًا لكن برفق إن كان عليه شعر بأن تدخل أصابعك العشرة فيه فيشرب بها أصوله كما قاله ابن حجر، ثم تدلكه ثلاثًا كما قاله شيخ الإسلام في التحرير، ثم تصب الماء على رأسك.

(٨) - أخرج البخاري (٢٤٥) ومسلم (٣١٦) عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة، بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله.

(٩) - وظاهر كلام المصنف: أن الغتسل لا ينتقل إلى الأيسر حتى يثلث الأيمن. وصريح كلامه في الإحياء: أن ذلك يكون بعد تمام الشقين. (مراقي العبودية ص ١٩).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة. وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٦٨) من حديث طويل عن عمير مولى عمر قال: ... وأما الغسل في الجنابة: فتفرغ بيمينك على شمالك، ثم تدخل يدك في الإناء فتغسل فرجك وما أصابك، ثم تضأ وضوءك للصلاة، ثم تفرغ على رأسك ثلاث مرات تدلك رأسك كل مرة. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى من هذه الطريق ورجال أبي يعلى ثقات وكذنت رجال أحمد إلا أن فيه من لم يسم فهو مجهول.

(٣) - ذلك بأن يأخذ الماء فيغسل كل موضع من جسمه فيه انعطاف أو التواء، كالأذنين وطيات البطن وداخل السرة.

ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٧٦) عن ابن عمر أنه كان إذا اغتسل فتح عينيه وأدخل أصبعه في سترته. قال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٤) - في نسخة: (منها).

(٥) - وهذا موافق لابن حجر وهو ظاهر لأجل الخروج من الخلاف في عدم اندراج الأصغر في الأكبر. (مراقي العبودية ص ١٩).

(وَقَرَضُ) ^(١) الْوُضُوءُ: غَسْلُ الْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَمَسْحُ بَعْضِ الرَّأْسِ، وَغَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ مَرَّةً (مَرَّةً) ^(٢)، مَعَ النِّتَةِ، وَالتَّرْتِيبِ ^(٣).
وَمَا عَدَاهَا سُنُّ مُؤَكَّدَةٌ فَضْلُهَا كَثِيرٌ وَتَوَاتُؤُهَا جَزِيلٌ، وَالْمُنْتَهَاؤُنِ بِهَا خَاسِرٌ، بَلْ هُوَ بِأَصْلٍ فَرَائِضِيهِ مُحَاطٌ، فَإِنَّ التَّوَاتُؤَ جَوَابُ الْفَرَاغِ.

آدَابُ التَّيْمُمِ

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ:

١ - يَغْدِرُ بَعْدَ الطَّلَبِ ^(٤).

٢ - أَوْ يُغْدِرُ مِنْ مَرَضٍ ^(٥).

٣ - أَوْ لِمَانِعٍ مِنَ الْوُضُوءِ إِلَيْهِ مِنْ سَبْعٍ أَوْ حَبْسٍ.

(٦) - في نسخة: (إزالة النجاسة والنية). علماً بأن النية تقدم في كتب الفقه على الأمور الأخرى. لأنه بها يصحُّ الْعَمَلُ.

(٧) - أخرج أبو داود (٢٤٨) والترمذي (١٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُحْت كل شعرة جنة، فاغسلوا الشعر، وأنقوا البشرة».

(٨) - في نسخة: (ومن).

(٩) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١٠) - لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

(١١) - أخرج البخاري (٣٤٤) ومسلم (٦٨٢) والنسائي (٣٢٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معتزلاً لم يصل مع القوم، فقال: يا فلان، ما منعك أن تصلي مع القوم؟ فقال: يا رسول الله: أصابني جنابة، ولا ماء، فقال: عليك بالصعيد، فإنه يكفيك.

(١٢) - لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦].

٤ - أَوْ كَانَ الْمَاءُ الْحَاضِرُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِعَطَشِكَ أَوْ عَطَشَ رَفِيقِكَ ^(١).

٥ - أَوْ كَانَ مُلْكًا لِيَعِيرَكَ وَلَمْ يَمَعْ إِلَّا بِأَكْثَرٍ مِنْ ثَمَنِ الْمُثُلِ.

٦ - أَوْ (كَانَ) ^(٢) بَكَ جَرَاةً أَوْ مَرَضٌ تَخَافُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ ^(٣).

فَاصْبِرْ حَتَّى يَدْخُلَ وَقْتُ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ اقْصِدْ صَعِيدًا طَيِّبًا ^(٤) عَلَيْهِ تَرَابٌ خَالِصٌ طَاهِرٌ، فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِكَفِّكَ، ضَامًّا بَيْنَ أَصَابِعِكَ ^(٥)، وَأَنْزِلْ اسْتِيبَاحَةً فَرَضِ الصَّلَاةِ، وَامْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا تَتَكَلَّفْ إِصْصَالَ الْغُبَارِ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ خَفً أَوْ كُتْفً، ثُمَّ انْزِعْ خَاتِمَكَ ^(٦)، وَاضْرِبْ ضَرْبَةً ثَانِيَةً (مُفَرَّجًا) ^(٧) بَيْنَ أَصَابِعِكَ، وَامْسَحْ بِهِمَا يَدَيْكَ مَعَ

(١) - غير المرتد وتارك الصلاة والحربي.

(٢) - في نسخة: (كانت).

(٣) - أخرج أبو داود (٢٣٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، فاحتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبر بذلك قال: قتلوه قتلهم الله، ألا يسألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر - أو يعصب شك موسى - على جرحه خرقه، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٤/١) عن ابن عباس رفعه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ قال: إذا كانت بالرجل الجراحة في سبيل الله أو القرح أو الجدري فيجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت فليتيمم.

(٤) - لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

(٥) - وهذا مخالف لما قاله الإمام النووي والحلي وشيخ الإسلام حيث قالوا: يندبُ تفريق الأصابع في كل ضربة.

(٦) - إن نزع الخاتم في الضربة الثانية واجب ليصل التراب إلى عله ولا يكفي تحريكه لأن التراب لا يدخل تحته لكثافته بخلاف الماء، فإيجاب نزعه إنما هو عند المسح لا عند النقل كذا أفاده أحمد الميهي. وأما في الأولى فمندوب ليكون مسح جميع الوجه باليد كما أفاده الحلي. (مراقي العبودية ص ٢٠).

(٧) - في نسخة: (مفرقاً).

يَرْفَعُكَ^(١)، فَإِنْ لَمْ تَسْتَوْعِبْهُمَا، فَاضْرِبْ ضَرْبَةً أُخْرَى إِلَى أَنْ تَسْتَوْعِبَهُمَا، ثُمَّ امْسَحْ
إِخْدَى (كَفِّكَ)^(٢) بِالْأُخْرَى، وَامْسَحْ مَا بَيْنَ أَصَابِعِكَ بِاتَّخْلِيلٍ.
وَصَلِّ بِهِ قُرْضاً وَاحِداً، وَمَا شِئْتَ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنْ أَرَدْتَ قُرْضاً ثَانِياً، فَاسْتَأْنِفْ لَهُ
تَيْمُماً آخَرَ.

آدابُ الخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَتِكَ، فَصَلِّ فِي بَيْتِكَ رَكَعَتَي الصُّبْحِ، إِنْ كَانَ الْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ^(٣)؛
كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) - أخرجه الدارقطني في سننه (٢٥٦/١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه
ولم قال: «التيمن ضربتان: ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين».

(٢) - في نسخة: (يديك).

(٣) - عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فيما بين أن يفرغ
من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة، يُسَلِّم بين كل ركعتين، ويوتر بواحدة، فإذا سكث
للمؤذن من صلاة الفجر، وتبين له الفجر، وجاءه المؤذن، قام فركع ركعتين خفيفتين، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى
شِقِهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ. رواه مسلم (٧٣٦ و ٧٣٧). انظر رياض الصالحين بتحقيق شيخنا
(١١١١).

أخرج أبو داود (١٢٥٧) عن بلال رضي الله عنه، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذنه
بصلاة الغداة، فشغلت عائشة بلالاً بأمرٍ سأله عنه، حتى فضحه الصبح، فأصبح جداً، قال: فقام بلال
فأذنه بالصلاة، وتابع أذانه، فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما خرج صلى بالناس،
فأخبره أن عائشة شغلته بأمرٍ سأله عنه حتى أصبح جداً، وأنه أبطأ عنه بالخروج، فقال: إني كنت
ركعتي ركعتي الفجر، فقال: يا رسول الله، إنك أصبحت جداً، قال: لو أصبحت أكثر مما أصبحت
لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما.

ثُمَّ تُوجِّهْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَلَا تَدْعُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ لَا سِيَّمَا الصُّبْحَ، فَ«صَلَاةُ
الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(١).
فَإِنْ كُنْتَ تَسَاهَلُ فِي مِثْلِ هَذَا الرُّبْحِ فَأَيُّ فَايِدَةٍ لَكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا ثَمَرَةُ الْعِلْمِ
الْعَمَلُ بِهِ.

فَإِذَا (مَشِيتَ)^(٢) إِلَى الْمَسْجِدِ، فَاْمْشِ عَلَى (هَيْئَةٍ وَتَوَدِّعٍ)^(٣) وَلَا تُعَجِّلْ، وَقُلْ فِي
طَرِيقِكَ: «اللَّهُمَّ (إِنِّي أَسْأَلُكَ)^(٤) بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ الرَّاعِيشِينَ إِلَيْكَ، وَبِحَقِّ
مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْراً، وَلَا بَطْراً، وَلَا رِئَاءً، وَلَا سُمْعَةً، بَلْ خَرَجْتُ
اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي^(٥) مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي،
فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(٦).

(١) - أخرجه البخاري (٦٤٥) عن عبد الله بن عمر بهذا اللفظ. و(٦٤٦) بلفظ: «فضل صلاة

الفذ بخمسين وعشرين درجة».

(٢) - في نسخة: (سعيت).

(٣) - في نسخة: (الهيئة وسكينة).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (تنقذني). والتصحيح من مصادر التخریج.

(٦) - أخرجه أحمد (٢١/٣) وابن ماجه (٧٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري وليس فيه: (وبحق

الراغبين إليك). (وخرجت) بدل: (بل خرجت). (وإنه لا يغفر) بدل: (فإنه لا). وزاد في نهايته: (أقبل

الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك). وهو حديث ضعيف.

وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٤) بإسناد ضعيف جداً من حديث بلال رضي الله عنه
قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله آمنت بالله، توكلتُ
على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحق المسائلين عليك، وبحق مخرجي هذا إليك، فإني لم
أخرجك أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت ابتغاء مرضاتك، واتقاء سُخْطِكَ، أسألك أن تعيدني
من النار، وأن تدخلني الجنة».

آداب دُخُولِ الْمَسْجِدِ

فَإِذَا أَرَدْتَ الدُّخُولَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَدِّمَ رِجْلَكَ الْيُمْنَى، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»^(١).

وَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ مَنْ يَبِيعُ (أَوْ يَشْتَاغُ)^(٢)، فَقُلْ: «لَا أَرْبَحَ إِلَّا بِجَارَتِكَ»، وَإِذَا رَأَيْتَ فِيهِ مَنْ يَشْتَدُّ^(٣) صَلَاةً، فَقُلْ: «لَا رَدَّ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْكَ صَلَاتِكَ»، كَذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤).

فَإِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ فَلَا تَجْلِسَ حَتَّى تُصَلِّيَ رَكْعَتَيِ التَّحِيَّةِ^(٥)، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى طَهَارَةٍ، أَوْ لَمْ تَرِدْ فِعْلَهَا كَفْتِكَ: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٦) ثَلَاثًا. وَيَقِيلُ: أَرْبَعًا، وَيَقِيلُ ثَلَاثًا

(١) - أخرج مسلم (٧١٣) وأبو داود (٤٦٥) والنسائي (٥٣/٣) والترمذي (٣١٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٥٦) عن أبي حميد أو أبي أسيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك».

وأخرج أحمد (٢٨٢/٦) والترمذي (٣١٤) وابن ماجه (٧٧٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٧) عن عبد الله بن الحسن، عن أمه، عن جدته قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد حمد الله - تعالى - وسمى وقال: «اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك». وإذا خرج قال مثل ذلك وقال: «اللهم افتح لي أبواب فضلك».

(٢) - ما بين: () زيادة في نسخة.

(٣) - ينشد: أي: يطلب.

(٤) - لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم من يبيع أو يشتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة، فقولوا: لا رد الله عليك». أخرجه الترمذي (١٣٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لِلْمُحَدِّثِ، وَوَاحِدَةً لِلْمُتَوَضِّئِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَلَّيْتَ (فِي بَيْتِكَ)^(١) رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، فَيَجْزِيكَ أَذَانُكُمَا عَنِ التَّحِيَّةِ^(٢)، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الرُّكْعَتَيْنِ، قَانِرِ الْأَعْيَكَافَ، وَادْعُ بِمَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي، وَتَلْمُ بِهَا شَعْبِي»^(٣)، وَتَرُدُّ بِهَا أَلْفَتِي^(٤)، وَتُصَلِّحَ بِهَا دِينِي، وَتَحْفَظَ بِهَا عَائِي، وَتَرْفَعَ بِهَا شَاهِدِي، وَتَرْكَي بِهَا عَمَلِي، وَتُبَيِّضَ بِهَا وَجْهِي، وَتُلْهِمَنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَقْضِي لِي بِهَا حَاجَتِي، وَتَعْصِمَنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا (خَالِصًا)^(٥) يُبَاشِرُ قَلْبِي، (وَيَقِينًا)^(٦) صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ (أَنَّهُ)^(٧) لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ (وَرَضِي)^(٨) بِمَا قَسَمْتَهُ لِي. اللَّهُمَّ إِنِّي

(٥) - أخرج البخاري (٤٤٧/٢) ومسلم (٧١٤) وأبو داود (٤٦٧) والترمذي (٣١٦) والنسائي (٧٢٩) وابن ماجه (١٠١٣) عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس».

(٦) - قال السيوطي في الدر المنثور: (٢٢٥/٤) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: والباقيات الصالحات قال هي: ذكر الله لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على محمد رسول الله والصلاة والصيام والحج والصدقة والعق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة.

(١) - ما بين: () زيادة في نسخة.

(٢) - قال البحرمي: إذا نوى التحية مع فرض مثلاً حصل ثوابها اتفاقاً وإذا نفاها فلا يحصل اتفاقاً وإن أطلق حصل الثواب على المعتمد. (مراقي العبودية ص ٢٢).

(٣) - أي: تصلح بها ما تفرق من أموري. وفي شرح الشفا: أي: تجمع بها تفرق خاطري، وتضم بها تشتت أمري. (مراقي العبودية ص ٢٢).

(٤) - أي: ما كنت آلفه.

(٥) - في نسخة: (دائماً).

(٦) - في نسخة: (وأسألك يقيناً).

(٧) - في نسخة: (أن).

أَسْأَلُكَ إِيمَانًا صَادِقًا، وَبَقِيَّةً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنْالَ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (الْفَوْزَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَالصَّبْرَ عِنْدَ الْقَضَاءِ) ^(١)، وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَعِيشَ السُّعَدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ. اللَّهُمَّ (إِنِّي) ^(٢) أَنْزِلْ بَكَ حَاجَتِي وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي، وَقَصُرَ عَمَلِي، وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَاسْأَلْكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ (دَعْوَةِ الثُّبُورِ) ^(٣) وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ ^(٤). اللَّهُمَّ وَمَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي ^(٥)، وَلَمْ تَبْلُغْ نِيَّتِي وَأُمِّيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَ إِيَّاهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ، سَلَامًا لِأَوْلِيَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ النَّاسَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ. اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التَّكْلَانِ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ، الرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَالْمُؤْمِنِينَ لَكَ بِالْعَهْدِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، (وَإِنَّكَ) ^(٦) تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، سُبْحَانَ مَنْ (تَعَطَّفَ) ^(٧) بِالْعِزِّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ الْمَجْدُ وَتَكْرُمُ بِهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ،

(٨) - في نسخة: (وَالرِّضَا).

(١) - في نسخة: (الصَّبْرَ عِنْدَ الْقَضَاءِ وَالْفَوْزَ عِنْدَ اللِّقَاءِ).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أي: من النداء بالهلاك والخسران في الخمر.

(٤) - في نسخة: (فتنة القبور ومن دعوة الثبور).

(٥) - في نسخة: (ضعف عنه رأيي، وقصر عنه عملي).

(٦) - في نسخة: (وَأَنْتَ).

(٧) - في نسخة: (أَصْف).

سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي (الْقُدْرَةِ) ^(١) وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشْرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عَظَامِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، اللَّهُمَّ زِدْنِي نُورًا، وَأَعْظِمْنِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ^(٢)» ^(٣).

(١) - في نسخة: (الجود).

(٢) - هذا من عطف العام على الخاص، أي: اجعل لي نوراً شاملاً للأَنْوَارِ السابقة ولغيرها. (مراقي

العبودية ص ٢٤).

(٣) - أخرجه الترمذي (٣٤١٩) وابن خزيمة (١١١٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (الفيقي القاضي إلا أنه سمي الحافظ)، عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ليله، حين فرغ من صلواته: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعبي، وتصلح بها غائي، وترفع بها شاهدي، وتركي بها عملي، وتلهي بها رشدي، وترد بها الفتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيماناً يقيناً، ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز في العطاء - ويروى في القضاء - ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء. اللهم إني أنزل بك حاجتي، وإن قَصُرَ رَأْيِي وَضَعُفَ عَمَلِي، افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَاسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ. اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي، وَلَمْ تَبْلُغْ نِيَّتِي وَلَمْ تَبْلُغْ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرَّكَّعِ السُّجُودِ، وَالْمُؤْمِنِينَ لَكَ بِالْعَهْدِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، سَلَامًا لِأَوْلِيَائِكَ وَعَدُوًّا لِأَعْدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحْبَبَكَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ. اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ التَّكْلَانِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشْرِي، وَنُورًا

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الدُّعَاءِ، فَلَا تَشْتَغِلْ (إِلَى وَقْتِ الْفَرَضِ إِلَّا بِفِكْرٍ أَوْ تَسْبِيحٍ) ^(١)، أَوْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ، فَاقْطَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَاشْتَغِلْ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ، فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ ^(٢). وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ، إِلَّا فِي الْحِجْعَتَيْنِ، فَقُلْ فِيهِمَا: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» ^(٣). فَإِذَا قَالَ: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ». فَقُلْ: «صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» ^(٤).

في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي. اللهم أعظم لي نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً، سبحان الذي تعطف العز، وقال به، سبحان الذي لبس الخدة، وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام». وانظر المسند الجامع (٦١٤٣/٨).

(١) - في نسخة: (إلا بأداء الفريضة، أو بذكر أو تسبيح).

(٢) - وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن». أخرجه البخاري (٦١١) ومسلم (٣٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) - قال النووي في الأذكار ص ٥٣ - ٥٤: يستحب أن يقول - من سمع المؤذن والمقيم - مثل قوله، إلا في قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول في ذب كل لفظة منهما: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٣٩١/٢): ولم يجيء عنه صلى الله عليه وسلم الجمع بينها وبين حي على الصلاة، حي على الفلاح. ولا الاختصار على الحيلة، وهديه صلى الله عليه وسلم الذي صح عنه إيداعها بالحقولة، وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسماع، فإن كلمات الأذان ذكر، فسن للسماع أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٤) - أخرجه أبو داود (٥٢٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وأورده النووي في الأذكار (١٠١). وقال: .. وقيل: يقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصلاة خير من النوم. وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢١١/١): ولا أصل لما ذكره في الصلاة خير من النوم.

فَإِذَا سَمِعْتَ الْإِقَامَةَ، فَقُلْ مِثْلَ مَا يَقُولُ، إِلَّا فِي قَوْلِهِ: «قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ»، فَقُلْ: «أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» ^(١).

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ جَوَابِ الْمُؤَذِّنِ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ حُضُورِ صَلَاتِكَ وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ، وَإِدْبَارِ لَيْلِكَ، وَإِقْبَالِ نَهَارِكَ، أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالذَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ» ^(٢) (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ^(٣) يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ^(٤).

فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ، فَتَمِّمْ الصَّلَاةَ، ثُمَّ تَدَارِكِ الْجَوَابَ بَعْدَ السَّلَامِ عَلَى وَجْهِهِ.

فَإِذَا أُخْرِجَ الْإِمَامُ بِالْفَرَضِ فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِالْإِقْدَاءِ بِهِ وَصَلِّ الْفَرَضَ كَمَا سَيُتْلَى عَلَيْكَ فِي كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ وَأَذَانِهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَقُلْ ^(٥): «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ، فَحَبِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ، وَأَدْخِلْنَا (الْجَنَّةَ)» ^(٦) دَارَ السَّلَامِ، تَبَارَكْتَ ^(٧) (وتعاليت) ^(٨) يَا ذَا الْجَلَالِ

(١) - أخرجه أبو داود (٥٢٨). عن أبي أمامة. وأورده النووي في الأذكار (١٠٩).

(٢) - لقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَمُنَّكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - حديث الوسيلة أخرجه البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. ومسلم.

(٥) - عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٦) - بعد الاستغفار ثلاثاً كما رواه مسلم، عن نوبان عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٧) - (مراقي العبودية ص ٢٥).

(٨) - في نسخة: (دارك).

(٩) - أي: تقدست كما قاله العزيري. (مراقي العبودية ص ٢٥).

(١٠) - ما بين: () زيادة من نسخة. أي: تنزهت.

وَالْإِكْرَامِ^(١)، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى (الْوَهَّابِ)^(٢)، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٣)، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَهْلُ (النَّعْمَةِ)^(٤) وَالْفَضْلِ وَالْتَّسَاءُ الْحَسَنِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

ثُمَّ أَدْعُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ، (وَهُوَ)^(٥) مَا عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قُلْتُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَبَيَّةٍ وَاعْتِقَادٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَبَيَّةٍ وَاعْتِقَادٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْتُكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ

(١) - أخرج مسلم (٥٩١) والترمذي (٣٠٠) وأبو داود (١٥١٣) وابن ماجه (٩٢٨) عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أخرج البخاري (٨٤٤) و٦٣٣٠ و٦٤٧٣ و٦٦١٥ و٧٢٩٢ ومسلم (٥٩٣) وأبو داود (١٥٠٥) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

وأخرج الترمذي (٣٤٧٠) عن أبي ذر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثاب رجله قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير....».

(٤) - في نسخة: (النعم).

(٥) - في نسخة: (وهي).

عَبْدُكَ (وَبَيْتُكَ)^(١) مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وَمَا قَضَيْتَ (عَلَيَّ)^(٢) مِنْ أَمْرٍ فَأَجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رَشَداً^(٣).

ثُمَّ أَدْعُ بِمَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قُلْتُ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، وَمِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ، لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي (وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ)^(٤) طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلَحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ بِمَا أَصْلَحْتَ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٥).

ثُمَّ قُلْ مَا قَالَهُ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو، وَأَصْبَحُ الْأَمْرُ بِدَيْدِكَ لَا يَبْدُ غَيْرُكَ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي، فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي إِلَيْكَ، وَلَا غَنِيَّ أَغْنَى مِنكَ عَنِّي، اللَّهُمَّ لَا تُشَمِّتْ بِي عَدُوِّي، وَلَا تُسَوِّءْ بِي صَدِيقِي، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ بَذَنِي مِنْ لَا يَرْحَمُنِي»^(٦).

(١) - في نسخة: (ورسولك).

(٢) - في نسخة: (لي).

(٣) - أخرجه أحمد (١٤٧/٦) وابن ماجه (٣٨٤٦) وصححه ابن حبان (٢٤١٣) موارد. والحاكم (٥٢١/١ - ٥٢٢) ووافقه الذهبي. عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) - ما بين: () زيادة نسخة.

(٥) - أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥٧٠) وابن السني (٤٨) والحاكم في المستدرک (٥٤٥/١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، بك أستغيث فأصنع لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

(٦) - ذكره المصنف في إحياء علوم الدين (٣١٦/١).

ثُمَّ ادْعُ بِمَا بَدَأَ لَكَ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَشْهُورَاتِ^(١) وَاحْفَظْهَا مِمَّا أَوْزَدْنَاهُ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ مِنْ كُتُبِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ^(٢).

وَلِتَكُنْ أَوْقَاتُكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ مُوزَّعَةً عَلَى أَرْبَعٍ وَطَائِفٍ:

١ - وَطِيفَةٌ فِي الدَّعَوَاتِ.

٢ - وَطِيفَةٌ فِي الْأَذْكَارِ وَالتَّسْبِيحَاتِ، وَتُكْرِرُهَا فِي سُبْحَةٍ^(٣).

٣ - وَطِيفَةٌ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

٤ - وَطِيفَةٌ فِي التَّفَكُّرِ. فَتَفَكَّرُ فِي ذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ، وَتَقْصِيرِكَ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاكَ، وَتَعَرُّضِكَ لِعِقَابِهِ الْأَلِيمِ، وَتُحِطُّهُ الْعَظِيمِ.

وَتَرْتَّبُ (بِتَدْبِيرِكَ)^(٤) أَوْرَادَكَ فِي جَمِيعِ يَوْمِكَ، لِتَتَذَكَّرَ بِهِ مَا (فَرَطَ)^(٥) مِنْ تَقْصِيرِكَ، وَتَحْتَرِزَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِسُخْطِ اللَّهِ الْأَلِيمِ فِي يَوْمِكَ، وَتَتَوَيَّرَ الْخَيْرَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعَزِّمَ أَنْ لَا تَشْتَغِلَ فِي جَمِيعِ نَهَارِكَ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَقْصِدَ فِي قَلْبِكَ الطَّاعَاتِ الَّتِي تَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَتَخْتَارُ أَفْضَلَهَا، وَتَتَأَمَّلُ تَهَيُّةَ أَسْبَابِهَا لِتَشْتَغِلَ بِهَا.

(١) - قَالَ فِي مِرَاقِي الْعِبَادَةِ: وَالْأَوَّلَى الْإِيتْيَانُ بِسَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ وَهُوَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أُوْبُؤُكَ بِكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأُبْأِئُكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ.

(٢) - (الإحياء ٢٩٣/١ - ٣٢٩).

(٣) - نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ الذِّكْرُ بِالمَسْبُوحَاتِ حَيْرٌ مِنَ الْعِدَدِ بِالْخَصِيِّ وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ (٢٧٢٦) وَالتِّرْمِذِيِّ (٣٥٥٠) وَأَبُو دَاوُدَ (١٥٠٣) وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨٩٨) عَنْ جَوَابِ أَمِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بِكَرَّةٍ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ فِيهِ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ الْيَوْمَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدُكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وَزَنْتَ بِمَا قُلْتَ مِنْذَ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ».

(٤) - فِي نَسْخَةِ: (أَوْقَاتُكَ بِتَدْبِيرِكَ).

(٥) - فِي نَسْخَةِ: (فَرَطْتَ).

وَلَا تَدْعُ عَنْكَ التَّفَكُّرَ فِي قُرْبِ الْأَحْلِ وَخُلُولِ الْمَوْتِ الْقَاطِعِ لِلْأَمَلِ^(١)، وَخُرُوجِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِخْتِيَارِ، وَخُصُولِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ (بَطُولِ)^(٢) الْأَغْيَارِ.

وَلِتَكُنْ مِنْ تَسْبِيحَاتِكَ وَأَذْكَارِكَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ:

إِحْدَاهُنَّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُخَيِّي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣).

الثَّانِيَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ»^(٤).

الثَّالِثَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»^(٥).

الرَّابِعَةُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٦) الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

(١) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٠٧). وَابْنُ مَاجَةَ (٤٢٥٨). وَالنَّسَائِيُّ (٤/٤). وَالْحَاكِمُ (٣٢١/٤). وَابْنُ حِبَّانَ (٢٩٩٢ وَ ٢٩٩٣) وَالْقُضَاعِيُّ فِي مُسْنَدِ الشَّهَابِ (٦٦٩). وَانْظُرْ فِي رِسَالَتِنَا: الْأَرْبَعُونَ الصَّحَاحَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ (ص ٨).

(٢) - فِي نَسْخَةِ: (وَطُولِ).

(٣) - أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٧٠) وَالنَّسَائِيُّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (١٢٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانٍ رَجُلِهِ قِيلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَبِحَيِّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ....».

(٤) - قَالَ الْعِرَاقِيُّ: رَوَاهُ الْمُسْتَفْغِرِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ، وَالْخَطِيبُ [تَارِيخُ بَغْدَادَ: ٣٥٨/١٢، ٣٥٩] فِي الرِّوَاةِ عَنْ مَالِكٍ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ: «مَنْ قَالَهَا فِي يَوْمٍ مَرَّةً كَانَ لَهُ أَمَانٌ مِنَ الْفَقْرِ وَأَمَانٌ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَاسْتَحْلَبَ بِهِ الْغَنَى وَاسْتَفْرَقَ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ». وَانْظُرْ إِتْحَافَ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ (١٣١/٥).

(٥) - أَخْرَجَهُ ابْنُ السَّيْنِيِّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (٧٥٧) وَالنَّسَائِيُّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (٨٦٤) وَالْحَاكِمُ (٥٤٠/١) وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ النَّهْيِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ (٥٥٣٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الْخَامِسَةُ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

السَّادِسَةُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢)، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٣).

(٦) - ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٥٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وقال: رواه الطبراني، وفيه: جرير بن أيوب، وهو ضعيف جداً.

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٦١) عن سعد - يعني: ابن أبي وقاص - أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني كلاماً أقوله، فقال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والله أكبر كبيراً، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». قلت: هو في الصحيح خلا قوله: «العلي العظيم». قال: رواه البزار [٣٠٧٧] ورجاله رجال الصحيح.

(١) - أخرجه أحمد (٣٥/٦ و٩٤ و١١٥ و١٤٨ و١٤٩ و١٧٦ و١٩٣) ومسلم (٤٨٧) وأبو داود (٨٧٢) والنسائي (٢٢٤/٢). وذكره النووي في الأذكار (١٤٢ و١٥٥) وقال: قال أهل اللغة: سبوح قدوس: بضم أولهما وبالفتح أيضاً لغتان، أحدهما وأشهرهما وأكثرهما الضم.

قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٢٨): (سبوح قدوس): هما اسمان من أسماء الله تعالى. قال ثعلب: كل اسم جاء على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقراءتهما سيويهما بالفتح والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح يكون بالطاعات والعبادات والتقديس يكون بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي: فيكون التقديس التفكير في ذلك.

(٢) - أخرجه الترمذي (٣٤٦٠ و٣٤٦١) وابن حبان (٢٣٣٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٢٧) والحاكم (٥٠١/١ و١٥٠٢) عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة».

(٣) - أخرجه البخاري (٦٠٤٣) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وأخرج البزار (٣٠٨١) والطبراني في الكبير (١٢٧٩٩) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله وأتوب إليه من قالها كتبت كما قالها، ثم علقت بالعرش، لا يحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله يوم القيامة، وهي مختومة

السَّابِعَةُ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ»^(١).

الثَّامِنَةُ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٢).

التَّاسِعَةُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ».

الْعَاشِرَةُ: «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٣).

كما قالها». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٧٨): رواه البزار، وفيه: يحيى بن عمرو بن مائل النكري البصري بضم النون وهو ضعيف، وقال الدارقطني: صويلح يعتمر به، وبقي رجاله ثقات.

(١) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٣) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر». قال النووي في الأذكار عقب حديث رقم (٢٤٩ و٥١٨): ويستحب الإكثار من الدعاء في جميع يوم الجمعة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، رجاء لمصادفة ساعة الإجابة، فقد اختلف فيها على أقوال كثيرة، فقيل: هي بعد طلوع الفجر وقبل طنوع الشمس. وقيل: بعد طلوع الشمس، وقيل: بعد الزوال، وقيل: بعد العصر، وقيل غير ذلك.

(٢) - أخرجه أحمد (٢٤٥/٤ و٢٤٧ و٢٥٠ و٢٥٤) والدارمي (١٣٥٦) والبخاري (٨٤٤ و٦٣٣ و٦٤٧٣ و٦٦١٥ و٧٢٩٢). ومسلم (٥٩٣). وأبو داود (١٥٠٥) والنسائي (٧٠/٣) وفي عمل اليوم والليلة (١٣٠). وابن السني في عمل اليوم والليلة (١١٥). عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. قال ابن علان: قال القلقشندي: في الحديث مشروعية هذا الذكر عقب الصلوات لما اشتملت عليه من معاني التوحيد ونسبة الأفعال إلى الله تعالى، والمنع والإعطاء، وتمام القدرة، فيكون الاعتراف به عقب الصلوات أدعى لقبولها وأرجى لحصول المقصود، وعظم ثواب هذا الذكر القليل مع حفته على اللسان لأجل مدلولاته، فإنها راجعة إلى الإيمان الذي هو أعظم الأمور.

آداب مَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ

فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَدَرُ رُمُحٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ^(١)، وَذَلِكَ عِنْدَ زَوَالِ وَقْتِ الْكَرَاهَةِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةِ الصُّبْحِ إِلَى ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ.
فَإِذَا أَضْحَى النَّهَارُ وَمَضَى مِنْهُ قَرِيبٌ مِنْ رُبْعِهِ فَصَلِّ صَلَاةَ الضُّحَى أَرْبَعًا^(٢) أَوْ سِتًّا أَوْ ثَمَانِيًا^(٣) مَثْنِي مَثْنِي، فَقَدْ نَقِلَتْ هَذِهِ الْأَعْدَادُ كُلُّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالصَّلَاةُ خَيْرٌ كُلُّهَا، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَكْبِرْ^(٤)، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَقِلْ، فَلَيْسَ بَيْنَ (طُلُوعِ

وأخرج الزمذني (٣٥٢٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٧٧) عن عمارة بن شبيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات على أثر المغرب، بعث الله - تعالى - له مسلحة يتكفلونه من الشيطان حتى يصبح... وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات».

(١) - إما بنية صلاة الإشراف بناء على القول بأنها غير صلاة الضحى، أو بنية الضحى بناء على أنها هي وهو المعتمد. (مراقي العبودية ص ٢٩).

(٢) - أخرج مسلم (٧١٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت معاذة: إنها سألت عائشة رضي الله عنها: كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت: أربع ركعات، ويزيد ما شاء.

(٣) - أخرج البخاري (٤٣/٣) و (٤٤) ومسلم (٣٣٦) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله قال: ما حدثنا أحدٌ أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى، غير أم هانئ، فإنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيته يوم فتح مكة، فاغتسل وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة قط أحف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.

(٤) - لما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٠٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكبر فليستكبر». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عبد المنعم بن بشير، وهو ضعيف.

تُكْرَرُ^(١) كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِثْمًا مِثَّةً مَرَّةً أَوْ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَوْ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَهُوَ أَقْلُهُ، لِيَكُونَ الْمَجْمُوعُ مِثَّةً، وَلَا يَزِمُ هَذِهِ (الْأَوْرَادَ)^(٢)، وَلَا تَتَكَلَّمُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَبِئْسَ الْخَبَرُ: أَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ إِبْتِغَاءِ ثَمَانٍ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ^(٣) عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَعْنِي الْإِسْتِغَالَ بِالذِّكْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَلَّلَهُ كَلَامٌ.

(٣) - أخرجه أحمد (٦٢/١) وأبو داود (٥٠٨٨ و ٥٠٨٩) والترمذي (٣٣٨٥) وابن ماجه (٣٨٦٩). والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٥ و ١٦ و ٣٤٦ و ٣٤٧) وابن حبان (٢٥٣٢) موارد. والحاكم (٥١٤/١). عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) - بصيغة المضارع الذي للخطاب.

(٢) - في نسخة: (الأذكار).

(٣) - أخرج ابن السني رقم (٦٧٠) بإسنادٍ ضعيف عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله - عز وجل - من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل». وللحديث شواهد تقوي معناه منها ما أخرجه أبو داود (٣٦٦٧) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب أحب إلي من أن أعتق أربعة». وذكر بنحوه أحمد في المسند (٢٥٥/٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وأخرج أحمد (٤٢٢/٥) والبخاري (٦٤٠٤) ومسلم (٢٦٩٣) والترمذي (٣٥٨٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤). عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل».

وأخرج أحمد (٣٠٢/٢) والبخاري (٣٢٩٣ و ٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١) ومالك في الموطأ (٢٠٩/١) والترمذي (٣٤٦٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٥) وابن السني أيضاً (٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب...».

الشمس^(١) والزوال رتبة إلا هذه الصنوات، فما فضل منها من أوقاتك فلک فيه أربع حالات:

الحالة الأولى: وهي الأفضل، أن تصرفه في طلب العلم النافع، (النافع في الدين)^(٢) دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه عملاً.

والعلم النافع: ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا، ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بأفات أعمالك حتى تحترز منها، ويطلعك على مكائد الشيطان وغروره، وكيفية تلبسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه، حيث (اشتروا)^(٣) الدنيا بالدين، واتخذوا العلم ذريعةً وسبيلاً إلى أخذ أموال السلاطين، وأكل أموال الأوقاف واليتامى^(٤) والمساكين، (وصرفوا)^(٥) همتهم طول نهارهم إلى طلب الحياه والمنزلة في قلوب الخلق، واضطرهم ذلك إلى النساء والمماراة، (والمناقشة)^(٦) في الكلام والمباهاة.

وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب إحياء علوم الدين، فإن كنت من أهله فحصله وأعمل به، ثم علمه وأدع إليه، فمن علم ذلك (وعمل)^(٧) به ثم دعا إليه، فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام^(٨).

(١) - في نسخة: (الطلوع).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (أكلوا).

(٤) - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠].

(٥) - في نسخة: (وصرف).

(٦) - في نسخة: (والمناقشة).

(٧) - في نسخة: (ثم عمل).

(٨) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٣١): أي: لأن سيدنا عيسى قال: من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات.

فإذا فرغت من ذلك كله وفرغت من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً وفضل شيء من أوقاتك، فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروع انشاده في العبادات، وطريق التوسط بين الخلق في الخصومات عند انكبابهم على الشهوات، فذلك أيضاً بعد الفراغ من هذه المهمات من حمة فروض الكفايات^(١).

فإن دعيت نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استيقلاً لذلك، فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس في قلبك الداء الدفين^(٢)، وهو: حب (المال والجاه)^(٣)، فإنك أن تغتر به فتكون ضحكة^(٤) (له)^(٥) فيهلكك ثم يسخر (منك)^(٦).

فإن جرت نفسك مدة في الأوراد والعبادات، فكانت لا تستيقلاً كسلاً عنها، لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة،

(١) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٣١): ومن فروض الكفايات تعلم الطب. وقال الزيادي: وطلب العلم الشرعي على ثلاثة أقسام: فرض عين وهو تعلم ما لا بد منه. وفرض كفاية: وهو تعلم ما يصل إلى الجنة بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم علم صفات القلب وما يحمدها وما يذم إذا لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الخرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها.

(٢) - لأنه أقسم أنه سوف يفوي جميع العباد إلا المخلصين منهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَذِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، إلا عبادك منهم المخلصين^(٣) (ص: ٨٢ - ٨٣) فكان جواب رب العزة عليه: ﴿قَالَ: فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾ (ص: ٨٤ - ٨٥).

(٣) - في نسخة: (الجاه والمال).

(٤) - أي: كثير الضحك.

(٥) - في نسخة: (للشيطان).

(٦) - في نسخة: (بك).

فَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ مَهْمَا صَحَّتِ النِّيَّةُ، وَلَكِنَّ الشَّانَ فِي صِحَّةِ النِّيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَصِحَّ النِّيَّةُ (فَهِيَ) ^(١) مَعْدُنْ غُرُورِ الْجَهَالِ ^(٢)، وَمَزَلَّةِ أَقْدَامِ الرِّجَالِ.

الْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ (فِي الدِّينِ) ^(٣)، لَكِنْ تَشْتَغِلُ بِوَطَائِفِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الذِّكْرِ (وَالْتَسْبِيحِ) ^(٤) وَالْقِرَاءَةِ (وَالصَّلَاةِ) ^(٥)، فَذَلِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْعَابِدِينَ وَسَبْرِ الصَّالِحِينَ، وَتَكُونُ أَيْضاً بِذَلِكَ مِنَ الْفَائِزِينَ.

الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ تَشْتَغِلَ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ خَيْرٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَدْخُلُ بِهِ سُرُورٌ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ (يَنْتَسِرَ) ^(٦) بِمِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِلصَّالِحِينَ، كَخِدْمَةِ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الدِّينِ، وَالتَّرَدُّدِ فِي أَشْغَالِهِمْ ^(٧) وَالسَّعْيِ فِي إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالتَّرَدُّدِ مَثَلًا عَلَى الْمَرْضَى بِالْعِبَادَةِ، وَعَلَى الْجَنَائِزِ بِالتَّسْنِيعِ، فَكُلُّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنَّ هَذِهِ عِبَادَاتٌ، وَفِيهَا رَفَقٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

الْحَالَةُ الرَّابِعَةُ: (أَنْ لَا تَقْوَى) ^(٨) عَلَى ذَلِكَ، فَاشْتَغِلْ بِحَاجَاتِكَ اكْتِسَابًا عَلَى نَفْسِكَ أَوْ عَلَى عِيَالِكَ، وَقَدْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْكَ وَأَمِنُوا مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ ^(٩)، وَسَلِمَ لَكَ دِينُكَ،

(١) - في نسخة: (فهي).

(٢) - والغرور بفتح الغين معناه: الدنيا أو الشيطان. وبضمها معناه: الأباطيل كما في القاموس.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (والتسبيحات والصلاة).

(٦) - في نسخة: (يسر).

(٧) - جمع شغل: يضم الشين والغين ويأسكان الغين وبه مع فتح الشين ويفتحين فيه أربع لغات.

(مراقي العبودية ص ٣٢).

(٨) - في نسخة: (إن لم تقو).

(٩) - عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ

المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمته الناس على دماءهم وأموالهم». أخرجه النسائي (١٠٤/٨)

و ١٠٥ وابن حبان في صحيحه (١٨٠) والحاكم (١٠/١).

إِذَا لَمْ تَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً، فَتَنَالَ بِهِ (دَرَجَةً) ^(١) أَصْحَابُ الْيَمِينِ ^(٢)، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّرَقِّيِ إِلَى مَقَامَاتِ السَّابِقِينَ.

(هَذَا) ^(٣) أَقْلُ الدَّرَجَاتِ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَا بَعْدَ هَذَا هَهُوَ مِنْ رَاتِعِ الشَّيَاطِينِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَشْتَغِلَ - وَالْيَسَادُ بِالله - بِمَا يَهْدِمُ دِينَكَ، أَوْ تُؤْذِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ (تَعَالَى) ^(٤)، فَهَذِهِ رُتْبَةُ الْهَالِكِينَ، فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ (مِنْ) ^(٥) هَذِهِ الطَّبَقَةِ.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أسلم المسلمون إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده». أخرجه مسلم (٤١). وابن مندة في الإيمان (٣١٤). وابن حبان في صحيحه (١٩٧). والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٧/١٠).

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه». أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٠).

وأخرج البراء (١١٤٣) والطبراني في الكبير (٣١٢/١٨) عن فضالة بن عبيد الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال في حجة الوداع: «هذا يومٌ حرامٌ، وبلدٌ حرامٌ، فدماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ مثل هذا اليوم، وهذا البلد، إلى يوم القيامة، وحتى دفعة دفعها مسلم مسلماً يريد بها سوءاً، وأسأركم من المسلم؟ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٥) بتحقيق شيخنا. وقال: رواه البزار، والطبراني في الكبير باختصار، ورجال البزار ثقات.

(١) - في نسخة: (درجات).

(٢) - قال الله تعالى في فضلهم: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ في سدرٍ مخضود، وطلحٍ منضود، وظلٍّ ممدود، وماءٍ مسكوب، وفاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة، إنا أنشأناهم إنشأً، فجعلناهم أبكاراً، غرباً أثراً، لأصحاب اليمين، ثلثة من الأولين، وثلثة من الآخرين ﴿[الواقعة: ٢٧ - ٤٠]﴾. وعكس أصحاب اليمين أصحاب الشمال وما أعد الله لهم من العذاب المقيم في الدار الآخرة.

(٣) - في نسخة: (وهذه).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (في).

وَأَعْلَمُ: أَنَّ الْعَبْدَ فِي حَقِّ دِينِهِ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

١- إِمَّا سَلَمٌ: وَهُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي ^(١).

٢- أَوْ رَابِعٌ: وَهُوَ الْمُطَّرَعُ بِالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ ^(٢).

٣- أَوْ خَاسِرٌ: وَهُوَ الْمُقْتَصِرُ عَنِ اللِّوَازِمِ ^(٣).

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَكُونَ رَابِعًا، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ سَالِمًا، وَإِيَّاكَ (نُفْسُكَ) ^(٤) أَنْ تَكُونَ خَاسِرًا.

وَالْعَبْدُ فِي حَقِّ سَائِرِ الْعِبَادِ لَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

الأُولَى: أَنْ يُنْزَلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةُ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ^(٥)، وَهُوَ: أَنْ يَسْعَى فِي أَغْرَاضِهِمْ رِفْقًا بِهِمْ، وَإِدْخَالًا لِنَسْرُورٍ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

الثَّانِيَّةُ: أَنْ يُنْزَلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةُ الْبَهَائِمِ وَالْحِمَادَاتِ، فَلَا (يُنَالُهُمْ) ^(٦) خَيْرُهُ، وَلَكِنْ يَكْفُ عَنْهُمْ شَرُّهُ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُنْزَلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةُ الْعُقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ وَالسَّبَاعِ الضَّارِيَاتِ، لَا يَرْجَى خَيْرُهُ وَيَتَقَى شَرُّهُ.

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ (عَلَى) ^(٧) أَنْ تَلْتَحِقَ بِأَفْضَلِ الْمَلَائِكَةِ، فَاحْذَرِ أَنْ تَنْزَلَ عَنْ دَرَجَةِ الْبَهَائِمِ وَالْحِمَادَاتِ إِلَى مَرَاتِبِ الْعُقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ وَالسَّبَاعِ الضَّارِيَاتِ، فَإِنْ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ

(١) - قال تعالى في حقه: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٢) - قال تعالى في حقه: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٣) - قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦].

(٦) - أي العبد فخير فاعل. وفي نسخة: (يبيلهم) وعلى هذه النسخة فغيره مفعول ثان. (مراقي

العبودية ص ٣٣).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

النُّزُولِ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فَلَا تَرْضَى لَهَا بِالْهُوِيِّ ^(١) إِلَى أَسْفَلِ (سَافِلِينَ) ^(٢)، فَلَعَلَّكَ تَنْحُرُ كَفَافًا ^(٣) لَا لَكَ وَلَا عَلَيَّكَ.

فَعَلَيْكَ فِي بَيَاضِ نَهَارِكَ أَنْ لَا تَشْتَغِلَ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُكَ فِي مَعَادِكَ أَوْ مَعَاشِكَ، الَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى (مَعَادِكَ) ^(٤).

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ دِينِكَ مَعَ مُخَالَطَةِ النَّاسِ وَكُنْتَ لَا تَسْلَمُ، فَالْعُزْلَةُ أَوْلَى لَكَ، فَعَلَيْكَ بِهَا، فَفِيهَا النِّجَاحُ وَالسَّلَامَةُ، فَإِنْ كَانَتْ الْوَسَاوِسُ فِي الْعُزْلَةِ تُجَادِبُكَ إِلَى مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَمْعِهَا بِوُضَائِفِ الْعِبَادَاتِ، فَعَلَيْكَ بِالنُّومِ، فَهُوَ أَحْسَنُ أَحْوَالِكَ وَأَحْوَالِنَا، إِذَا عَجَزْنَا عَنِ الْغَنِيمَةِ رَضِينَا بِالسَّلَامَةِ فِي الْهَرِيمَةِ.

فَأَحْسُ بِحَالِ ^(٥) مَنْ سَلَامَةُ دِينِهِ فِي تَعْطِيلِ حَيَاتِهِ، إِذِ النَّوْمُ أَخْرَجَ الْمَرْبُوتَ، وَهُوَ تَعْطِيلُ الْحَيَاةِ، وَالتَّيْحَاقُ بِالْجَمَادَاتِ ^(٦).

(١) - أي: السقوط.

(٢) - في نسخة: (السافلين).

(٣) - أي: مقدار حاجتك من غير نقص ولا زيادة.

(٤) - في نسخة: (معادك أو معاشك).

(٥) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٣٤): وقول: أحس، فعل تعجب، فعل ماض وبجته على صورة الأمر. وقوله: (بحال) فاعل والباء زائدة لتحسين اللفظ لأن مجيء المرفوع بعد صورة الأمر قبيح ويدل على ذلك ما في بعض النسخ: فما أحسن حال من سلامة دينة في تعطيل حياته، أي: عسة حال من ذكر أمر يتعجب منه. وعلى هذه النسخة فقوله: حال مفعول. وحمل شيخنا يوسف السنبلاني على أن قوله في النسخة الأولى فأحس فعل أمر فكان قوله: بحال معمول له، فالباء للملاسة والمعنى: ارض بالأمر الخسيس أي: الحقير متلبساً بحال من ذكر.

(٦) - قال في مراقي العبودية (ص ٣٤): وذكر أبو طالب المكي خلافاً في اليقظة المجردة عن سائر العبادات من الذكر وغيره والنوم الذي ليس للتقوى على طاعة الله تعالى، وليس لأجل ترك معصية فتقيل: اليقظة أفضل من ذلك النوم لأنه نقض وقيل: النوم أولى لأنه قد يبرى فيه الله تعالى أو النبي أو الصالحين وأما النوم الذي قد طلب السلامة ونية قيام الليل فهو قربة.

آداب الاستعداد لِسَائِرِ الصَّلَوَاتِ

يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَعِدَّ (لصلاة الظهر قَبْلَ الزَّوَالِ، فَقَدَّمَ^(١) الْقِيلُولَةَ^(٢)) إِنْ كَانَ لَكَ قِيَامٌ فِي اللَّيْلِ، أَوْ سَهَرٌ فِي الْخَيْرِ، فَإِنَّ فِيهَا مَعُونَةً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، كَمَا أَنَّ فِي السَّحُورِ مَعُونَةً عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ^(٣)، وَالْقِيلُولَةُ مِنْ غَيْرِ قِيَامٍ بِاللَّيْلِ (كَالسَّحُورِ)^(٤) مِنْ غَيْرِ صِيَامٍ بِالنَّهَارِ، (فَإِذَا قُلْتَ)^(٥) فَاجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ الزَّوَالِ، وَتَتَوَضَّأَ، وَتَحْضُرَ الْمَسْجِدَ وَتُصَلِّيَ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ، وَتَنْتَظِرَ الْمُؤَذِّنَ فَتُحِيَّهِ، ثُمَّ تَقُومُ فَتُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَقِبَ الزَّوَالِ^(٦)، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَرِّقُهُمْ وَيَقُولُ: «هَذَا وَقْتُ تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، فَاجِبُ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ»^(٧).

وَهَذِهِ الْأَرْبَعُ قَبْلَ الظُّهْرِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، فَفِي الْخَيْرِ أَنْ: «مَنْ صَلَّاهُنَّ فَأَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ، صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى اللَّيْلِ»^(٨).

ثُمَّ صَلَّ الْفَرَضَ مَعَ الْإِمَامِ، ثُمَّ صَلَّ بَعْدَ الْفَرَضِ رَكَعَتَيْنِ^(٩)، فَهُمَا مِنَ الرُّوَاتِبِ الثَّابِتَةِ. وَلَا تَشْتَغِلْ إِلَى الْعَصْرِ إِلَّا بِتَعْلَمَ عِلْمٍ، أَوْ إِعَانَةِ مُسْلِمٍ، أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ، أَوْ سَعْيٍ فِي مَعَايِشٍ (لِتَسْتَعِينِ)^(١٠) بِهِ عَلَى دِينِكَ، ثُمَّ صَلَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، (فَهِيَ)^(١١) سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ»^(١٢). فَاجْتَهِدْ أَنْ يَنَالَكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَشْتَغِلْ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَقَ قَبْلَهُ.

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتُكَ مُهْمَلَةً، فَتَشْتَغِلْ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا اتَّفَقَ كَيْفَ اتَّفَقَ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ، وَتُرَتِّبَ أَوْزَانَكَ وَوِطَائِفَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَتُعِينَ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلًا لَا تَتَعَدَّاهُ وَلَا (تُؤْخِذُ)^(١٣) فِيهِ سِوَاهُ، فَبِذَلِكَ تَظْهَرُ بَرَكَةُ الْأَوْقَاتِ.

(١) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/١٩٤): حديث: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن...». ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغاً من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة. قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/٣٣٦): وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن بديل قال: حدثني أبطنُ الناس بعبد الله بن مسعود أنه كان يصلي في بيته إذا زالت الشمس أربع ركعات يطيل فيهن فإذا تجاوز المؤذنون خرج فجلس في المسجد حتى تقام لصلاة.

(٢) - جاء أنه يُصَلِّي بعدها أربعاً لَا رَكَعَتَيْنِ وذلك فيما أخرجه أبو داود (١٢٦٩) عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حَرَّمَ عَلَى النَّارِ».

(٣) - في نسخة: (تستعين).

(٤) - في نسخة: (وهي).

(٥) - أخرجه الترمذي (٤٣٠) وأبو داود (١٢٧١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٦) - في نسخة: (تودع) أي: تجعل.

(١) - في نسخة: (قبل الزوال لصلاة الظهر فقدم).

(٢) - أخرج الطبراني في الأوسط (٢٨) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِيلُ». ذكره الهيثمي في جمع الزوائد (١٣٢٥٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: كثير بن مروان، وهو كذاب. أقول: قال شيخنا في تحقيقه له: وفيه أيضاً: معاوية بن يحيى الصديقي، ضعيف.

(٣) - روى ابن ماجه (١٦٩٣) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استعينوا بطعامِ السَّحْرِ على صيامِ النهار وبالْقِيلُولَةِ على قيامِ الليل».

(٤) - في نسخة: (كالتسحر).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - بتسليمه واحدة، ومنهجه الشافعي أنها مثنى مثنى كسائر النوافل. (مراقي العبودية ص ٣٤).

(٧) - أخرج أحمد (٤١١/٣) والترمذي (٤٧٨) عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح».

فَأَمَّا إِذَا تَرَكْتَ نَفْسَكَ سُدًى مُهْمَلًا بِهَمَلِ الْبَهَائِمِ لَا تَذَرِي بِمَاذَا تَشْتَغِلُ فِي كُلِّ وَفْتٍ فَيَنْقُضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِكَ ضَائِعًا، وَأَوْقَاتِكَ عُمْرَكَ، وَعُمْرَكَ رَأْسَ مَالِكَ، وَعَلَيْهِ تَجَارَتُكَ، وَبِهِ وَصُولُكَ إِلَى نَعِيمِ دَارِ الْآبِدِ فِي جَوَارِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِكَ جَوْهَرَةٌ لَا قِيَمَةَ لَهَا، إِذْ لَا بَدَلَ لَهُ، فَإِذَا مَاتَ فَلَا عَوْدَ لَهُ.

فَلَا تَكُنْ كَالْحَمَقِ الْمَغْرُورِينَ، الَّذِينَ يَفْرَحُونَ كُلَّ يَوْمٍ بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَ نُقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ، فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ، وَعُمْرٍ يَنْقُصُ؟ وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِزِيَادَةِ عِلْمٍ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَإِنَّهُمَا رَفِيقَاكَ يَصْحَبَانِكَ فِي الْفَقْرِ، حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ وَمَالُكَ وَوَلَدُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ^(١).

ثُمَّ إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَعُودَ إِلَى الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَتَشْتَغِلَ بِالتَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ فَضْلَ هَذَا الْوَقْتِ كَفَضْلِ مَا قَبْلَ انْطِلَاقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وَأَقْرَأْ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: ﴿وَاللَّيْلِ وَضَحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، و﴿الْمُعَوِّذِينَ﴾.

وَلْتُغْرَبْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ وَأَنْتَ فِي الْاسْتِغْفَارِ، فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ فَاجِبُهُ وَقُلْ بَعْدَهُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ وَحُضُورِ صَلَاتِكَ وَأَصْوَاتِ دُعَائِكَ^(٢)، أَنْ تُؤْتِيَنِي مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ^(٣)»^(٤). وَالِدُعَاءِ كَمَا سَبَقَ.

(١) - كقول الشاعر:

تزدود قريباً من فعالك إنسا قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

(٢) - جاء في الترمذي (٣٥٨٩) وأبو داود (٥٣٠) عن أم سلمة رضي الله عنها بلفظ: «علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دُعَائِكَ فاغفر لي».

(٣) - جاء زيادة في نسخة: (وَالْفَضِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالذَّرَجَةَ الرَّبِيعَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ).

ثُمَّ صَلِّ الْفَرَضَ بَعْدَ جَوَابِ الْمُؤَذِّنِ وَالْإِقَامَةِ^(١)، وَصَلِّ (بَعْدَهُ)^(٢) قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ (رَكْعَتَيْنِ)^(٣)، فَهُمَا رَابِعَةُ الْمَغْرِبِ، وَإِنْ صَلَّيْتَ بَعْدَهُمَا أَرْبَعًا (تَطِيلُهُنَّ)^(٤) فَهِيَ أَيْضًا سُنَّةٌ. وَإِنْ أَمْنَكَ أَنْ تُتَوَيَّرَ الْأَعْيَافُ إِلَى الْعِشَاءِ (و)^(٥) تُخَيَّرَ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ (بِالصَّلَاةِ فَافْعَلْ)^(٦)، فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى^(٧)، وَهِيَ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ^(٨) لِأَنَّهَا أَوَّلُ (نَشْأَةٍ)^(٩)، وَهِيَ صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ^(١٠)، وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ

(٤) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان إذا سمع المؤذن يقيم الصلاة يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، صل على محمد وآتبه سوله يوم القيامة».

(١) - أي: وبعد ركعتين خفيفتين فهما قبل المغرب سنة غير مؤكدة كما صححه النووي. (مراقي العبودية ص ٣٦).

(٢) - في نسخة: (بعده ركعتين).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (تطيلها).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (بصلاة).

(٧) - أخرج الترمذي (٣٧٨١) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب فصلى إلى العشاء».

(٨) - لقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّهِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [الزمر: ٦]. وقال الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٧٥/٣٠) قال: روى ابن أبي مليكة، قال: سألت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل، فقال: الليل كله ناشئة. وقال زين العابدين رضي الله عنه: ناشئة الليل ما بين المغرب إلى العشاء، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكسائي، قالوا: لأن ناشئة الليل هي الساعة التي منها يتبدىء سواد الليل.

(٩) - في نسخة: (نشأته).

(١٠) - عن زيد بن أرقم أنه رأى قوماً يصلون من الضحى، فقال: لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال».

تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] فَقَالَ: «هِيَ الصَّلَاةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ بَيْنَ (١)، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمَلَاعَاتِ النَّهَارِ (٢) وَتَهْذُبُ آخِرَهُ». (وَالْمَلَاعَاتُ) (٣) جَمْعُ مُلْغَاةٍ، وَهِيَ مِنَ اللَّغْوِ.

فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ الْعِشَاءِ، فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْفَرَضِ إِحْيَاءً لِمَا بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ فَفَضَّلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ: «الدَّعَاءُ (بَيْنَ) (٤) الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ» (٥).

أخرجه مسلم (٧٤٨). وانظره في الجامع الصغير (٥٠٩٧) بتحقيق شيخنا وزاد نسبه للإمام أحمد عن زيد بن أرقم، وله: عبد بن حميد وسمويه عن عبد الله بن أبي أوفى.

(١) - قال السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٥): أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود ومحمد بن نصر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه، عن أنس رضي الله عنه في قوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ قالوا: كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون.

وقال أيضاً: وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد وابن عدي وابن مردويه عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ قال: كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين يصلون المغرب ويصلون بعدها إلى عشاء الآخرة فنزلت هذه الآية فيهم.

(٢) - في نسخة: (لِزْنِهَا تَذْهَبُ مَلَاعَاتُ أَوَّلِ النَّهَارِ).

(٣) - في نسخة: (وَالْمَلَاعَاتُ).

(٤) - في نسخة: (مَا بَيْنَ).

(٥) - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٢٥ و ٤٥٦) وابن السني في عمل اليوم والليلة: (١٠٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي (٢١٢ و ٣٥٩٤) وأبو داود (٥٢١) بزيادة: (مَا بَيْنَ). وبقية: (وزاد أنس راوي الحديث: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»).

وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٧) وابن حبان (١٦٩٦) بلفظ: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدَّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ وَالْإِقَامَةِ يُسْتَجَابُ، فَادْعُوا».

ثُمَّ صَلِّ الْفَرَضَ، وَصَلِّ الرَّائِيَةَ رَكَعَتَيْنِ، وَأَقْرَأُ فِيهِمَا سُورَةَ: ﴿إِنَّمَا السَّجْدَةُ﴾ وَ﴿تَبَارَكَ﴾ الثَّلَاثُ، أَوْ سُورَةُ ﴿يُس﴾ وَ﴿الدُّحَانُ﴾، فَذَلِكَ مَا نُورِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَبِهَا الْخَيْرُ مَا يَذُلُّ عَلَى عَظِيمِ فَضْلِهَا.

ثُمَّ صَلِّ الْوُتْرَ بَعْدَهَا ثَلَاثًا بِتَسْلِيمَتَيْنِ أَوْ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِيهَا سُورَةَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَالْإِخْلَاصَ وَالْمُعَوِّذَيْنِ (١).

فَإِنْ كُنْتَ عَازِماً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، فَأَخِّرِ الْوُتْرَ لِيَكُونَ آخِرَ صَلَاتِكَ بِاللَّيْلِ وَتَرَأُ (٢). ثُمَّ اشْتَغِلْ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَذَاكِرَةٍ عِلْمٍ أَوْ مُطَالَعَةٍ كِتَابٍ، وَلَا تَشْتَغِلْ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فَيَكُونُ ذَلِكَ حَاطَمَةً أَعْمَالِكَ قَبْلَ نَوْمِكَ، (فَإِنَّمَا) (٣) الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا (٤).

(١) - أخرج أبو داود (١٤٢٤) والترمذي (٤٦٣) وابن ماجه (١١٧٣) عن عبد العزيز بن جريج رحمه الله تعالى قال: سألنا عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «كان يقرأ في الأولى بـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثالثة بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين». وصححه الحاكم (٣٠٥/١) ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٢) - أخرج البخاري في صحيحه (٩٩٨) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا آخر صلواتكم بالليل وتراً».

(٣) - في نسخة: (فَإِنْ).

(٤) - أخرج ابن ماجه (٤١٩٩) وابن حبان (٣٣٩) بإسناد حسن، عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، كَالْعَوَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبِثَ أَعْلَاهُ خَبِثَ أَسْفَلُهُ».

وأخرج ابن حبان في صحيحه (٣٤٠) عن عائشة، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا».

آداب النوم

فَإِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ، فَابْسُطْ فِرَاشَكَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَنَمْ عَلَى يَمِينِكَ كَمَا يَضْجَعُ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ^(١).

وَأَعْلَمْ: أَنَّ النَّوْمَ مِثْلُ الْمَوْتِ، وَالْيَقَظَةُ مِثْلُ الْبُعْثِ، وَنَعْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَقْبِضُ رُوحَكَ فِي لَيْلَتِكَ، فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلِقَائِهِ:

١- بَانَ تَامَ عَلَى طَهَارَةٍ.

٢- وَتَكُونُ وَصِيَّتُكَ مَكْتُوبَةً تَحْتَ (وَسَادَتِكَ)^(٢).

٣- وَتَنَامُ تَائِبًا مِنَ الذُّنُوبِ مُسْتَغْفِرًا، عَازِمًا عَلَى أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةٍ^(٣).

٤- وَأَعِزُّ عَلَى الْخَيْرِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ بَعَثَكَ اللَّهُ تَعَالَى، وَتَذَكَّرُ أَنَّكَ سَتَضْجَعُ فِي اللَّحْدِ كَذَلِكَ وَحِيدًا فَرِيدًا، لَيْسَ مَعَكَ إِلَّا عَمَلُكَ، وَلَا تُجْزَى إِلَّا بِسَعْيِكَ.

(١) - أخرج البخاري (٦٢٦) والنسائي (١٧٦١) عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سَكَتَ الْمُؤَدُّنُ بِالْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْمَجْرُ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بَعْدَ أَنْ يَتَيْنِ الْفَجْرَ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقْوِ الْأَيْمَنِ».

(٢) - في نسخة: (رَأْسِي). أخرج ابن ماجه (٢٧٠٠) بإسناد ضعيف، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المَحْرُومُ مِنْ حُرْمِ وَصِيَّتِهِ». وأُخْرِجَ أَيْضًا (٢٧٠١) بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ عَلَى وَصِيَّةٍ، مَاتَ عَلَى سَبِيلِ سُنَّةٍ. وَمَاتَ عَلَى تَقَى وَشَهَادَةٍ. وَمَاتَ مَغْفُورًا لَهُ».

وأُخْرِجَ أَيْضًا (٢٧٠٢) عَنْ أَبِي عَمْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا حَقَّ أَمْرِيءَ مُسْلِمٍ بَيْتَ لَيْلَتَيْنِ، وَلَهُ شَيْءٌ يَوْصِي بِهِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ».

(٣) - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ دُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عِدْدَ رِقِّ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عِدْدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عِدْدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا». أخرجه الترمذي (٣٣٩٧)

٥- وَلَا تَسْتَحْبِبِ النَّوْمَ تَكَلُّفًا بِمَهْيَدٍ (الْفُرْشِ)^(١) الْوُطَيْيَةِ، فَإِنَّ النَّوْمَ تَعْطِيلٌ (لِلْحَيَاةِ)^(٢)، إِلَّا إِذَا كَانَتْ يَقْظَتُكَ وَبَلَاءٌ عَلَيْكَ، فَنَوْمُكَ سَلَامَةٌ لِدِينِكَ.

وَأَعْلَمْ: أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً، فَلَا يَكُنْ نَوْمُكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِ سَاعَاتٍ، فَيَكْفِيكَ إِنْ عِشْتَ مَثَلًا سِتِّينَ سَنَةً أَنْ تُضَيِّعَ مِنْهَا عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ ثُلُثُ عُمْرِكَ.

٦- وَأَعِدْ عِنْدَ النَّوْمِ سِرَاكَكَ وَطَهِّرْكَ^(٣).

٧- وَأَعِزُّ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ أَوْ عَلَى الْقِيَامِ قَبْلَ الصُّبْحِ، (فَرَكْعَتَانِ)^(٤) فِي حَوْفِ اللَّيْلِ كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْبَرِّ، فَاسْتَكْبِرْ مِنْ كُنُوزِكَ يَوْمَ فَقْرِكَ، فَتَنْ تَغْنِي عَنْكَ كُنُوزُ الدُّنْيَا إِذَا مِتَ.

٨- وَقُلْ عِنْدَ نَوْمِكَ: «بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنِّي، وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهُ، فَاعْفُ رُبِّي ذَنْبِي، اللَّهُمَّ قِنِّي عَذَابَكَ يَوْمَ (تَبْعُثُ)^(٥) عِبَادَكَ، اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ، أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذَايَةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، (اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ)^(٦)، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنَّ أَمَتَهَا فَاعْفُ رُبِّي، وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) - في نسخة: (الفرش).

(٢) - في نسخة: (الحياة).

(٣) - أخرج مسلم (٢٢١) و٥٣٠ و٥٣١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نعد له - تعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم - سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه، فيتسوك، ويتوضأ، ويصلي تسع ركعات.

(٤) - في نسخة: (وركعتان).

(٥) - في نسخة: (تجمع).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

الْعَفْوُ وَالْعَافِيَةُ (في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) ^(١)، اللَّهُمَّ أَنْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ،
وَاسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ، (لِتُقَرَّبَنِي) ^(٢) إِلَيْكَ زُلْفَى، وَتُبْعِدَنِي عَنْ سُخْطِكَ
بُعْدًا، أَسْأَلُكَ تَعْطِيفِي، وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرَ لِي، وَأُذْغِرُكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي» ^(٣).

ثُمَّ اقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ^(٤)، وَالْإِحْلَاصِ
وَلِلمَعُودَتَيْنِ ^(٥)، (وَتَبَارَكَ) ^(٦) الْمَلِكُ ^(٧).

وَلْيَأْخُذْكَ النَّوْمُ وَأَنْتَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَعَلَى الطَّهَارَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى
أَنْعَرَشٍ، وَكُتِبَ مُصَلِّيًا إِلَى أَنْ يَسْتَيْقِظَ.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (حتى تقربني)

(٣) - أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٣٨٧٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٩٠)
وابن السني (٧٦٥) بلفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إذا قام أحدكم عن فراشه من الليل ثم عاد إليه فليتنفضه بصفته إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدرى ما
خلفه عليه، فإذا اضطجع فليقل: بسمك اللهم وضعت جني، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها،
وإن رددتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

(٤) - عن أبي مسعود البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآياتان
من آخر سورة البقرة من قراءهما في ليلة كفتها». قال عبد الرحمن: فلكيت أبا مسعود وهو يطوف
بالبيت فسألته فحدثني. أخرجه البخاري (٤٠٠٨).

(٥) - عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث
فيهما فقرأ فيهما: ﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثم مسح
بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث
مرات. أخرجه البخاري (٥٠١٧).

(٦) - في نسخة: (وسورة تبارك).

(٧) - أخرجه أحمد (٣/٣٤٠) والترمذي (٢٨٩٤ و ٣٤٠١) والدارمي (٣٤١٤) والنسائي في عمل
اليوم والليلة (٧٠٦ - ٧٠٩) وابن السني (٦٧٥) عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَارْجِعْ إِلَى مَا عَرَفْتَكَ أَوَّلًا، وَدَاوِمَ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ، فَإِنْ
شَقَّتْ عَلَيْكَ الْمُدَاوِمَةُ فَاصْبِرْ صَبْرَ الْمَرِيضِ عَلَى مَرَارَةِ الدَّوَاءِ انْتِظَارًا لِلشِّفَاءِ، وَتَفَكَّرْ فِي
قَصْرِ عُمْرِكَ، وَإِنْ عِشْتَ مَثَلًا: مِئَةَ سَنَةٍ فَهِيَ قَلِيلَةٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى مُقَامِكَ ^(١) فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ
وَهِيَ أَبَدُ الْآبَادِ.

وَتَأَمَّلْ أَنَّكَ كَيْفَ تَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ وَالذُّلَّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا شَهْرًا أَوْ سَنَةً رَجَاءً أَنْ تَسْتَرْجِحَ
بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً مَثَلًا، فَكَيْفَ لَا تَتَحَمَّلُ ذَلِكَ أَبَدًا قَلِيلَ رَجَاءِ الْآخِرَةِ أَبَدَ الْآبَادِ.

وَلَا تَطُولْ أَمَلُكَ فَيَثْقُلَ عَلَيْكَ عَمَلُكَ ^(٢)، وَقَدَّرْ قُرْبَ الْمَوْتِ، وَقُلْ فِي نَفْسِكَ: (إِنِّي
أَتَحَمَّلُ) ^(٣) الْمَشَقَّةَ الْيَوْمَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ اللَّيْلَةَ، وَأَصِيرُ اللَّيْلَةَ، (فَلَعَلِّي) ^(٤) أَمُوتُ غَدًا، فَإِنَّ
الْمَوْتَ لَا يَهْجُمُ ^(٥) فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ، وَحَالٍ مَخْصُوصٍ، وَسَنٍ مَخْصُوصٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ
هُجُومِهِ، فَلَا اسْتِعْدَادَ لَهُ أَوَّلَى مِنَ الاسْتِعْدَادِ لِلدُّنْيَا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَبْقَى فِيهَا إِلَّا مُدَّةً
يَسِيرَةً، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَنْقُ مِنْ أَجَلِكَ إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ أَوْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ.

فَقَدَّرْ هَذَا فِي قَلْبِكَ كُلِّ يَوْمٍ، وَكَلَّفْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمًا فَيَوْمًا، فَإِنَّكَ
لَوْ قَدَّرْتَ الْبَقَاءَ خَمْسِينَ سَنَةً، وَالزُّمْمَةَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، تَفَرَّتْ وَاسْتَنْصَعِبَتْ
عَلَيْكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَرِحْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَرَحًا لَا آخِرَ لَهُ، وَإِنْ سَوِّفْتَ وَتَسَاهَلْتَ
جَاءَكَ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَا تَحْتَسِبُهُ، وَتَحَسَّرْتَ تَحَسُّرًا لَا آخِرَ لَهُ،

وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السُّرَى ^(٦)

وَعِنْدَ الْمَوْتِ يَأْتِيكَ (الْخَيْرُ الْيَقِينُ) ^(٧) ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

(١) - أي: إقامتك.

(٢) - وتسوف بالعمل نفسك.

(٣) - في نسخة: (إني أحتمل).

(٤) - في نسخة: (لعل).

(٥) - أي: لا يدهل.

(٦) - السُّرَى: سير أول الليل. انظر بقية البيت في مجمع الأمثال للميداني رقم (٢٣٨٢).

(٧) - في نسخة: (خير العقب).

وَإِذَا أَرَشَدْنَاكَ إِلَى تَرْتِيبِ الْأَرْوَاحِ، فَلَنَذْكُرَ لَكَ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ، وَأَدَابَهُمَا وَأَدَابَ (الْقُدُورَةِ وَالْجُمُعَةِ) ^(١).

آدَابُ الصَّلَاةِ

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ طَهَارَةِ (الْحَدَثِ وَطَهَارَةِ الْخَبَثِ) ^(٢) فِي الْبَدَنِ ^(٣) وَالثِّيَابِ وَالْمَكَانِ وَمِنْ سِرِّ الْغُورَةِ مِنَ السُّرَّةِ إِلَى الرُّكْبَةِ، فَاسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ ^(٤) قَائِمًا (مُزَاجِعًا) ^(٥) بَيْنَ قَدَمَيْكَ بِحَيْثُ لَا تَضُمُّهُمَا، وَاسْتَوِ قَائِمًا (وَأَقْرَأْ) ^(٦) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ نَحْصُنًا بِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَأَخْذِرْ قَلْبَكَ (مَا أَنْتَ فِيهِ) ^(٧) وَفَرِّغْهُ مِنَ (الْوَسْوَاسِ) ^(٨)، وَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنْ تَقَرُّمٍ وَمَنْ تَنَاجِيٍّ؟ وَاسْتَحْ أَنْ تَنَاجِيَ مَوْلَاكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ وَصَدْرٍ مَشْحُونٍ بِوَسْوَاسِ الدُّنْيَا وَحَبَائِثِ الشَّهَوَاتِ.

وَأَعْلَمْ: (أَنَّهُ) ^(٩) تَعَالَى مُطْلِعٌ عَلَى سِرِّ رَيْتِكَ وَنَاطِرٌ إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ صَلَاتِكَ بِقَدْرِ خُشُوعِكَ وَخُضُوعِكَ، وَتَوَاضُّعِكَ وَتَضَرُّعِكَ، وَاعْبُدْهُ فِي صَلَاتِكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

فَإِنْ لَمْ يَخْضُرْ قَلْبُكَ، وَلَمْ تَسْكُنْ جَوَارِحُكَ، (لِقُصُورِ) ^(١) مَعْرِفَتِكَ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدَّرْ أَنَّ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ وَجْهِهِ أَهْلُ بَيْتِكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ لِيَعْلَمَ كَيْفَ صَلَاتِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْضُرُ قَلْبُكَ، وَتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى نَفْسِكَ (وَقُلْ) ^(٢): يَا نَفْسَ السُّوءِ أَلَا (تَسْتَحِينِ) ^(٣) مِنْ خَالِقِكَ وَمَوْلَاكَ؟ إِذَا قَدَّرْتَ إِطْلَاعَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ مِنْ عِبَادِهِ (عَلَيْكَ) ^(٤) وَلَيْسَ بِيَدِهِ (حَسْرَتُكَ وَلَا نَفْعُكَ) ^(٥)، خَشَعْتَ جَوَارِحُكَ، وَحَسَنْتَ صَلَاتَكَ، ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ مُطْلِعٌ عَلَيْكَ، وَلَا تَحْشَعِينَ لِعَظَمَتِهِ، أَهْوَ تَعَالَى عِنْدَكَ أَقْلٌ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ؟ فَمَا أَشَدَّ طُغْيَانَكَ وَجَهْلَكَ؟ وَمَا أَعْظَمَ عِدَاوَتَكَ لِنَفْسِكَ؟.

(وَعَالِجٌ) ^(٦) قَلْبِكَ بِهَذِهِ الْحِيلِ ^(٧)، فَعَسَاهُ أَنْ يَخْضُرَ مَعَكَ فِي صَلَاتِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا، وَأَمَّا مَا أَتَيْتَ بِهِ مَعَ الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، فَهَرُ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّكْفِيرِ أَخْرُجْ ^(٨).

فَإِذَا خَضَرَ قَلْبُكَ، فَلَا تَتْرُكْ الْإِقَامَةَ، وَإِنْ كُنْتَ وَخَذَكَ. وَإِنْ أَنْتَظَرْتَ حُضُورَ (جَمَاعَةٍ) ^(٩)، فَأَذَنْ ثُمَّ أَقِمْ، فَإِذَا أَقَمْتَ فَأَنْزِلْ، وَقُلْ فِي قَلْبِكَ: أُوْدِّي فَرَضَ الظُّهْرِ لِلَّهِ تَعَالَى،

(١) - في نسخة: (فهذا لقصور).

(٢) - في نسخة: (فقل).

(٣) - في نسخة: (تستحي).

(٤) - في نسخة: (اطلع عليك).

(٥) - في نسخة: (نفعلك ولا ضرك).

(٦) - في نسخة: (فعالج).

(٧) - وهي: الخلق في تدبير الأمور.

(٨) - لأن في صلاتك خللاً لعدم حضور قلبك فالخشوع في الصلاة ولو في جزء منها واجب لكنه

ليس شرطاً لصحة الصلاة كما أفاده شيخنا أحمد النحراوي. (مراقي العبودية ص ٤٣).

(٩) - في نسخة: (جماعة غورك).

(١) - في نسخة: (القدوة والجماعة والجمعة).

(٢) - في نسخة: (الخبث وطهارة الحدث).

(٣) - حتى داخل الفم والأنف والعين والأذن.

(٤) - أي: عينها مطلقاً، في القرب يقيناً، وفي البعد ظناً. (مراقي العبودية ص ٤١).

(٥) - في نسخة: (مفرجاً).

(٦) - في نسخة: (ثم اقرأ).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (الوسواس).

(٩) - في نسخة: (أن الله).

وَلْيَكُنْ ذَلِكَ حَاضِرًا فِي قَلْبِكَ عِنْدَ تَكْبِيرِكَ، (وَلَا) ^(١) تَعْرُبْ عَنْكَ النِّيَّةُ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنَ التَّكْبِيرِ ^(٢).

وَارْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ التَّكْبِيرِ بَعْدَ إِرْسَالِهِمَا أَوَّلًا إِلَى (حَذْوِ) ^(٣) مَنْكَبَيْكَ وَهُمَا مَبْسُوطَتَانِ؛ وَأَصَابِعُهُمَا مَشْزُورَةٌ، وَلَا تَكَلِّفْ صَمًّا وَلَا (تَفْرِيجَهَا) ^(٤)، (بِحَيْثُ) ^(٥) تُحَاذِي بِإِبْهَامَيْكَ شَحْمَتِي أُذُنَيْكَ (وَبُرُؤُسِ) ^(٦) أَصَابِعِكَ أَعْلَى أُذُنَيْكَ (وَبِكُفَيْكَ) ^(٧) مَنْكَبَيْكَ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتَا فِي مَقَرِّهِمَا فَكَبِّرْ، ثُمَّ أَرْسِلْهُمَا بِرَفْعِي، وَلَا تَدْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ الرَّفْعِ وَالْإِرْسَالِ إِلَى قَدَامِ دَفْعًا، وَلَا إِلَى خَلْفِ رَفْعًا، وَلَا تَنْفُضْهُمَا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، فَإِذَا أَرْسَلْتَهُمَا فَاسْتَأْنِفْ رَفْعَهُمَا إِلَى صَدْرِكَ، وَأَكْرِمِ الْيَمْنَى بِوَضْعِهَا عَلَى (الْيُسْرَى) ^(٨). وَانْشُرْ أَصَابِعَ الْيَمْنَى عَلَى طُولِ ذِرَاعِكَ الْيُسْرَى، وَأَقْبِضْ بِهَا عَلَى كُوعِهَا.

وَقُلْ بَعْدَ التَّكْبِيرِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» ^(٩). ثُمَّ اقْرَأْ: «وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا،

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ^(١٠).

ثُمَّ قُلْ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ^(١١)، ثُمَّ اقْرَأْ الْفَاتِحَةَ ^(١٢) بِتَشْدِيدِ أَوَّلِهَا، وَاجْتَنِدْ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ فِي قِرَاءَتِكَ فِي الصَّلَاةِ، وَقُلْ آمِينَ ^(١٣)، وَلَا تَصِلْهُ بِقَوْلِكَ: «وَلَا الضَّالِّينَ» وَصَلًّا.

وَاجْهَرْ بِالْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَعْيَى فِي الرَّكَعَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَأْمُومًا، وَاجْهَرْ بِالتَّالِيَيْنِ.

وَاقْرَأْ فِي الصُّبْحِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ مِنَ السُّورِ (الطُّوَالِ مِنْ) ^(١٤) الْمُفْصَلِ ^(١٥)، وَفِي الْمَغْرِبِ مِنْ قَصَارِهِ، وَفِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ مِنْ أَوْسَاطِهِ، نَحْوُ: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» وَمَا قَارَبَهَا مِنَ السُّورِ، وَفِي الصُّبْحِ فِي السَّفَرِ: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» وَ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». وَلَا تَصِلْ آخِرَ السُّورَةِ (بِتَكْبِيرِ) ^(١٦) الرَّكُوعِ، وَلَكِنْ أَفْضَلُ بَيْنَهُمَا بِعَقْدَارٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ».

(١) - في نسخة: (لا).

(٢) - لأنه الواجب عند الشافعي والأكمل عند إمام الحرمين.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (تفريقها). قال الإمام محمد بن نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٤٤): بل أتركها على مقتضى طبعها... لكن قال ابن حجر كشيخ الإسلام، ويسن كشف الكفين ونشر الأصابع وتفريقها وسطًا.

(٥) - في نسخة: (وارفع يديك بحيث).

(٦) - في نسخة: (ورؤوس).

(٧) - في نسخة: (وتحاذي بكفيك).

(٨) - في نسخة: (الشمال).

(٩) - أخرجه الطيالسي (٩٤٧). وأبو داود (٧٦٤) وابن ماجه (٨٠٧) وابن خزيمة (٤٦٨). ابن حبان في صحيحه (١٧٨٠ و ٢٦٠١) عن جبير بن مطعم. وذكره النووي في الأذكار رقم: (١١٨).

(١٠) - أخرجه أحمد (٩٥/١ و ١٠٢ و ١١٩) ومسلم (٧٧١). وأبو داود: (٧٦٠) والترمذي (٣٤٢٠) والنسائي (٨٩٦) عن علي رضي الله عنه.

(١١) - أخرجه أحمد (٨٥/٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٥/٢) عن جبير بن مطعم قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل القراءة في الصلاة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفسه وهمز». وجمعه.

(١٢) - أخرجه ابن حبان (٤٥٧) موارد. وابن خزيمة (٤٩٠) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بفاعته الكتاب».

(١٣) - أخرجه البخاري (٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أُمِّنَ الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(١٤) - في نسخة: (طوال).

(١٥) - وأول المفصل: الجحرات وآخره النبا، وطواله كسورة ق والمرسلات.

(١٦) - في نسخة: (بتكبير).

وَكُنْ فِي جَمِيعِ قِيَامِكَ مُطَرِّقاً قَاصِراً نَظَرَكَ عَلَى مُصَلَّاتِكَ، فَذَلِكَ أَجْمَعُ لِهَمِّكَ وَأُحْدَرُ لِحَضُورِ قُنَيْتِكَ^(١)، وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ بَعِيناً وَشِمَالاً فِي صَلَاتِكَ.

ثُمَّ كَبَّرَ لِلرُّكُوعِ، وَارْفَعَ يَدَيْكَ كَمَا سَبَقَ، وَمَدَّ التَّكْبِيرَ إِلَى انْتِهَاءِ الرُّكُوعِ، ثُمَّ ضَعَّ رَأْسَكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ وَأَصَابِعَكَ مَنْشُورَةً، وَأَنْصَبَ رُكْبَتَيْكَ، وَمَدَّ ظَهْرَكَ وَغُنَقَكَ وَرَأْسَكَ مُسْتَوِيًّا (كَالصَّفِيحَةِ)^(٢) الْوَاحِدَةِ، وَجَافَ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَالْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ بَلْ تَضُمُّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَقُلْ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ (ثَلَاثًا)»^(٣) «(٤)». وَإِنْ كُنْتَ مُتَفَرِّداً فَالزِّيَادَةُ إِلَى (سَبْعٍ وَعَشْرٍ)^(٥) حَسَنٌ.

ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً، وَارْفَعْ يَدَيْكَ قَائِلاً: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»^(٦). فَإِذَا اسْتَوَيْتَ قَائِماً فَقُلْ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَتْ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»^(٧).

وَإِنْ كُنْتَ فِي فَرِيضَةِ الصُّبْحِ فَاقْرَأِ الْقُنُوتَ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فِي اعْتِدَالِكَ مِنَ الرُّكُوعِ^(٨).

(١) - قال الإمام محمد نوري الجاوي في مراقي العبودية (ص ٤٥): نعم السنة أن يقصر نظره على مسبحته ما دامت مرتفعة بعد أن يشر بها عند قوله: إلا الله في التشهد ولو مستوركة ولتكن منحنية متوجهة للقبلة ويستمر كذلك إلى القيام من التشهد الأول أو السلام في التشهد الأخير.

(٢) - في نسخة: (كالصفيحة). والصفحة: اللوح.

(٣) - في نسخة: (وحمده).

(٤) - أخرج أبو داود (٨٨٦) والترمذي (٢٦١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا فَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ».

(٥) - في نسخة: (السبع والعشر).

(٦) - أخرج البخاري (٧٩٥) ومسلم (٣٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ».

(٧) - أخرج مسلم (٤٧٦) وأبو داود (٨٤٦) والترمذي (٣٥٤١) عن علي وابن أبي أوفى رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شَتَّتْ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ».

ثُمَّ اسْجُدْ مُكَبِّراً غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْنِ، وَضَعْ أَوَّلًا عَلَى الْأَرْضِ رُكْبَتَيْكَ ثُمَّ يَدَيْكَ ثُمَّ جَنْبَيْكَ مَكْشُورَةً، وَضَعْ أَفْكَ مَعَ الْجَنْهَةِ، وَجَافَ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَأَقْبَلْ بَطْنُكَ عَنْ فَخْذَيْكَ، وَالْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى الْأَرْضِ حَذْوِ مَكْبَتَيْكَ، وَلَا تَفْرُشْ ذِرَاعَيْكَ عَلَى الْأَرْضِ، وَقُلْ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»^(١) ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا أَوْ عَشْرًا إِنْ كُنْتَ مُتَفَرِّداً.

ثُمَّ (ارْفَعْ)^(٢) رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ مُكَبِّراً حَتَّى تَعْتَدِلَ جَالِساً، وَاجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى وَأَنْصَبْ قَدَمَكَ الْيُمْنَى، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى فَخْذَيْكَ وَالْأَصَابِعَ مَنْشُورَةً، وَقُلْ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَاهْدِنِي وَاجْتِنِنِي وَاعْفُ عَنِّي»^(٣).

ثُمَّ اسْجُدْ سَجْدَةً ثَانِيَةً كَذَلِكَ، ثُمَّ اعْتَدِلْ جَالِساً (لِلْاسْتِرَاحَةِ)^(٤) فِي كُلِّ رُكْعَةٍ لَا تَسْتَهْلِكُ عَقِبَهَا.

ثُمَّ تَقُومُ وَتَضَعُ يَدَيْكَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا تُقَدِّمُ إِحْدَى رِجْلَيْكَ فِي خَالَةِ الِارْتِفَاعِ، وَابْتَدِئْ بِتَكْبِيرَةِ الِارْتِفَاعِ عِنْدَ الْقُرْبِ مِنْ حَدِّ جَلْسَةِ الِاسْتِرَاحَةِ، وَمُدَّماً إِلَى (الِانْتِصَافِ)^(٥) ارْتِفَاعاً إِلَى (قِيَامِكَ)^(٦)، وَلَتَكُنْ هَذِهِ الْجُلُوسَةُ جُلُوسَةً خَفِيفَةً مُخْتَلِفَةً^(٧).

(٨) - عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكَتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ». أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و ١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (٢٤٨/٣). وابن ماجه (١١٧٨). والحاكم (١٧٢/٣).

(١) - أخرج أبو داود (٨٨٦) والترمذي (٢٦١) وابن ماجه (٨٩٠) عن ابن مسعود، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَثِقِلَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا وَذَلِكَ أَذْنَاهُ». وَقَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْمُقَدِّسِي فِي الْعُدَّةِ شَرْحُ الْعُدَّةِ (ص ٩٤): رَوَاهُ الْأَثَرَمُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

(٢) - في نسخة: (ترفع).

(٣) - أخرجه أبو داود (٨٥٠) والترمذي (٢٨٤) وابن ماجه (٨٩٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٢/٢) والحاكم (٢٦٢/١ و ٢٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) - في نسخة: (جلسة الاستراحة).

وَصَلَّ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ كَالْأُولَى وَأَعَدَّ التَّعَوُّدَ فِي الْإِيْتِدَاءِ.

ثُمَّ (اجْلِسْ) ^(١) فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ لِلتَّشَهُدِ الْأَوَّلِ، وَضَعُ الْيَدِ الْيُمْنَى فِي (جُلُوسِ التَّشَهُدِ) ^(٢) عَلَى الْفَخِذِ الْيُمْنَى مَقْبُوضَةً الْأَصَابِعِ إِلَّا الْمُسَبِّحَةَ وَالْإِبْهَامَ فَتَرْسِلَهُمَا، (وَأَنْشُرْ مُسَبِّحَةَ) ^(٣) يُعْنَاكَ عِنْدَ قَوْلِكَ: «إِلَّا اللَّهُ»، لَا عِنْدَ قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ»، وَضَعُ الْيَدِ الْيُسْرَى مَنْشُورَةً الْأَصَابِعِ عَلَى الْفَخِذِ الْيُسْرَى، وَاجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى فِي هَذَا التَّشَهُدِ كَمَا بَيَّنَّ السَّحَدَتَيْنِ، وَفِي التَّشَهُدِ الْأَخِيرِ مَتَوَرَّكًا.

وَاسْتَكْمَلَ الدُّعَاءَ الْمَعْرُوفَ الْمَأْتُورَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْلِسْ فِيهِ عَلَى وَرِكَ الْأَيْسَرِ، وَضَعُ رِجْلَكَ الْيُسْرَى خَارِجَةً مِنْ تَحْتِكَ، وَأَنْصِبِ الْقَدَمَ الْيُمْنَى.

ثُمَّ قُلْ بَعْدَ الْفَرَاعِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» ^(٤) مَرَّتَيْنِ مِنَ الْحَايَيْنِ، وَالتَّفَتُّ بِحَيْثُ يُرَى بَيَاضُ حَدِيثِكَ مِنْ حَايَيْكَ.

وَأَنْسِرِ الْخُرُوجَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَنْسِرِ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَلَى حَايَيْكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَهَذِهِ هَيْئَةُ صَلَاةِ الْمُتَفَرِّدِ.

(٥) - فِي نَسَخَةِ: (مُتَصَفٍّ).

(٦) - فِي نَسَخَةِ: (الْقِيَامِ).

(٧) - أَي: سَرِيعَةً، فَلَا يَجُوزُ تَطْوِيلُهَا كَالْجُلُوسِ بَيْنَ السَّحَدَتَيْنِ كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ. (مِرَاقِي الْعُبُودِيَةِ ص ٤٦).

(١) - فِي نَسَخَةِ: (تَجْلِسُ).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (جُلُوسِكَ لِلتَّشَهُدِ الْأَوَّلِ).

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (وَأَشْرَ بِمَسْبُوحَةٍ).

(٤) - أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (٩٩٧) عَنْ وَائِلِ بْنِ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَعَنْ شِمَالِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَعِمَادُ الصَّلَاةِ: الْخُشُوعُ ^(١)، وَخُضُوعُ الْقَلْبِ، مَعَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ (بِالْفَمِّ) ^(٢).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَخْضُرُ فِيهَا الْقَلْبُ فَهِيَ إِلَى الْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ.

وَقَالَ (رَسُولُ اللَّهِ) ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فَلَا يَكْتَسِبُ لَهُ مِنْهَا سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا، وَإِنَّمَا يَكْتَسِبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا عَقَلَ مِنْهَا» ^(٤).

(١) - ذَكَرَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ: (٢٨١٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ شَيْءٍ يَرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى فِيهَا حَاشِعًا». قَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهَدِ: (١١٩) وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٩٣٤٢) عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا صَلَّى كَانَهُ ثَوْبٌ مَلْتَقِي. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (٢٨١٦): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ مُوْتَقُونَ وَالْأَعْمَشُ لَمْ يَدْرِكْ ابْنَ مَسْعُودٍ.

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (بِالْفَهْمِ).

(٣) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٤) - لَمْ أَجِدْهُ بِلَفْظِ الْمَصْنُفِ. وَإِنَّمَا جَاءَ فِيهِمَا أَخْرَجَ أَحْمَدُ (٣٢١/٤) وَالْحَمِيدِيُّ (١٤٥) وَأَبُو دَاوُدَ (٧٩٦) وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٥٢٥). عَنْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كَتَبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ، تَسْعَاهَا، ثَمْنَاهَا، سَبْعَاهَا، سُدُسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعَاهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ (٣١٩/٤) وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٥٢٤) أَنَّ عَمَارَ بْنَ يَاسِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي، وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عَشْرُهَا، أَوْ تَسْعَاهَا، أَوْ ثَمْنُهَا، أَوْ سَبْعَاهَا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعِدَدِ».

وَأَخْرَجَ الطَّيَالِسِيُّ (٦٥٠) وَابْنُ حِبَانَ (١٨٨٩) أَنَّ عَمَارَ بْنَ يَاسِرٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَخَفَفَهُمَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ: يَا أَبَا الْيَقْطَانِ، أَرَأَيْكَ قَدْ خَفَفْتُهُمَا، قَالَ: إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا الْوَسْوَاسَ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، أَوْ تَسْعَاهَا، أَوْ ثَمْنُهَا، أَوْ سَبْعَاهَا، أَوْ سُدُسُهَا» حَتَّى أَتَى عَلَى الْعِدَدِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حِبَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا إِسْنَادٌ يَوْمَهُ مِنْ لَمْ يَحْكَمْ صِنَاعَةُ الْعِلْمِ أَنَّهُ مُنْفَصِلٌ غَيْرُ مُتَّصِلٍ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ عَمَرَ

آداب الإمامة والقُدوة

يُنبغي للإمام:

١- أن يُخَفِّفَ الصَّلَاةَ، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ صَلَاةً أَخَفَّ وَلَا أَتَمَّ مِنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

٢- وَلَا يَكْبِرُ مَا لَمْ يَفْرَغِ الْمُؤَدِّ مِنَ الْإِمَامَةِ، وَمَا لَمْ تَسْتَوِ الصُّفُوفُ.

٣- وَيَرْفَعُ الْإِمَامُ صَوْتَهُ بِالْتَكْبِيرَاتِ، وَلَا يَرْفَعُ الْمَأْمُومُ صَوْتَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَسْمَعُ نَفْسَهُ.

٤- وَيُنَوِّي الْإِمَامُ الْإِمَامَةَ لِيَنَالَ الْفَضْلَ، (فَإِذَا)^(٢) لَمْ يَنْوَ صَحَّتْ صَلَاةُ الْقَوْمِ إِذَا نَوَّاهُ الْأَقْبَاءَ بِهِ، وَتَأَلَّاهُ فَضْلَ الْقُدْوَةِ.

٥- وَيُسَبِّحُ بِدُعَاءِ الْاسْتِغْثَاثِ^(٣) وَالتَّعَوُّذِ كَالْمُنْفَرِدِ، وَيَجْهَرُ بِالْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ فِي جَمِيعِ الصُّبْحِ (وَأَوَّلَيْهِ)^(٤) الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَكَذَلِكَ الْمُنْفَرِدُ، وَيَجْهَرُ بِقَوْلِهِ: «آمِينَ» فِي الْجَهْرِيَّةِ^(٥) وَكَذَلِكَ الْمَأْمُومُ، وَيَقْرَأُ^(٦) الْمَأْمُومُ تَأْمِينُهُ بِتَأْمِينِ الْإِمَامِ مَعًا، لَا تَعْقِيبًا لَهُ.

بن أبي بكر سنع هذا الخبر عن جده عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عمار بن ياسر، على ما ذكره عبيد الله بن عمر، لأن عمر بن أبي بكر لم يسمعه من عمار على ظاهره.

وأخرج ابن ماجة (٤٢٠٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا صلى في العَلَاةِ فَأَحْسَنَ، وَصَلَى فِي السَّرِّ فَأَحْسَنَ - قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا عَبْدِي حَقًّا».

(١) - أخرجه البخاري (٧٠٨) ومسلم (١٩٠).

(٢) - في نسخة: (تَسَوَّى).

(٣) - في نسخة: (فَإِنْ).

(٤) - وهو: «وجهٌ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين». وفي رواية: «وأنا من المسلمين».

(٥) - في نسخة: (وَأَوَّلَيْهِ).

٦- وَيَسْكُتُ الْإِمَامُ سَكَنَةً عَقِبَ الْفَاتِحَةِ لِيُثْرَبَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ، وَيَقْرَأُ الْمَأْمُومُ الْفَاتِحَةَ فِي الْجَهْرِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّكَنَةِ، لِيَتِمَّكَنَ مِنَ الْاسْتِمَاعِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْإِمَامِ، وَلَا يَقْرَأُ الْمَأْمُومُ السُّورَةَ فِي الْجَهْرِيَّةِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ الْإِمَامِ.

٧- وَلَا يَزِيدُ الْإِمَامُ عَلَى (ثَلَاثِ)^(١) فِي تَسْبِيحَاتِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

٨- وَلَا يَزِيدُ فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ بَعْدَ قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»^(٢).

٩- وَيَقْتَصِرُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ عَلَى الْفَاتِحَةِ، وَلَا يُطَوِّلُ عَلَى الْقَوْمِ.

١٠- وَلَا يَزِيدُ دُعَاءَ^(٣) فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ عَلَى قَدْرِ تَشَهُّدِهِ وَصَلَاتِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) - قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٧٥): ويستحب التأمين في الصلاة للإمام والمأموم والمنفرد، ويحجر به الإمام والمنفرد في الصلاة الجهرية، والصحيح أيضاً أن المأموم يجهر به، سواء كان الجمع قليلاً أو كثيراً.

ويستحب أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده، وليس في الصلاة موضع يستحب أن يقرن فيه قول المأموم بقول الإمام إلا في قوله: «آمين»، وأما باقي الأقوال فيتأخر قول المأموم.

(٧) - بضم الراء على الأفصح وقد تكسر. (مراقي العبودية ص ٤٨).

(١) - في نسخة: (الثلاثة).

(٢) - قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٩٤) ولا تجب الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وسلم فيه على المذهب الصحيح المشهور لكن تستحب. قال بعض أصحابنا: تجب، والأفضل أن يقول: «اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد». أخرجه البخاري (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦) وأبو داود (٩٧٦) والترمذي (٤٨٣) والنسائي (٤٧/٣) وابن ماجة (٩٠٤) والدارقسي (١٣١٦). والطيالسي (١٠٦١) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

- ١١- وَيَتَوَيَّ الإِمَامُ عِنْدَ التَّسْلِيمِ^(١) السَّلَامَ عَلَى الْقَوْمِ، وَيَتَوَيَّ الْقَوْمُ تَسْلِيمَهُمْ جَوَابَهُ.
- ١٢- وَيَلْبَسُ الإِمَامُ سَاعَةً بَعْدَمَا يَفْرُغَ مِنَ السَّلَامِ، وَيَقْبِلُ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ^(٢)، وَلَا يَلْتَفِتُ إِنْ كَانَ خَلْفَهُ (نِسَاءً)^(٣) لِيَنْصَرِفْنَ أَوَّلًا.
- ١٣- وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ حَتَّى يَقُومَ الإِمَامُ، وَيَنْصَرِفَ الإِمَامُ حَيْثُ شَاءَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ، وَالْيَمِينُ أَحَبُّ إِلَيْهِ^(٤).
- ١٤- وَلَا يَخْصُصُ الإِمَامُ نَفْسَهُ بِالِدُّعَاءِ^(٥) فِي قُنُوتِ الصُّبْحِ، بَلْ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اهْدِنَا»^(٦)، وَيَجْهَرُ بِهِ، وَيُؤَمِّنُ الْقَوْمُ، وَلَا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ^(٧) إِذْ لَمْ يَثْبُتْ (ذَلِكَ)^(٨) فِي الْأَخْبَارِ، وَيَقْرَأُ الْمَأْمُومُ بَقِيَّةَ الْقُنُوتِ مِنْ قَوْلِهِ: «إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ»^(٩).

(٣) - من هذه الأدعية ما أخرجه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٥٨) وأبو داود (٩٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ فَلْيَتَوَعَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْغَيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». قَالَ ابْنُ عَرَبَانَ (٧/٣) قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: اسْتَعَاذَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَعَ أَنَّهُ عَصِمَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ لِيَلْتَزِمَ خَوْفَ اللَّهِ وَالْإِفْتِقَارَ إِلَيْهِ وَالْإِقْتِدَاءَ بِهِ، وَلَا يَمْتَنِعُ تَكَرُّرُ الطَّلَبِ مَعَ تَحَقُّقِ الْإِحَابَةِ، إِذْ فِيهِ تَحْصِيلُ الْحَسَنَاتِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَلِيَبِينَ لَهُمْ صِفَةُ الدُّعَاءِ فِي الْجُمْلَةِ.

(١) - قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٩٨): قال القاضي أبو الطيب الطبري من أصحابنا وغيره: إذا سلم الإمام فالمأْمُوم بالخيار إن شاء سلم في الحال، وإن شاء استدام الجلوس للدعاء وأطال ما شاء. والله أعلم.

(٢) - قال شيخ الإسلام: ولو مكث بعد الصلاة لذكر ودعاء فالأفضل جعل يمينه إليهم ويساره إلى الخراب للاتباع. (مراقي العبودية ص ٤٨).

(٣) - في نسخة: (النساء).

(٤) - اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ يَجِبُ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ: فِي طَهْوَرِهِ، وَتَمَلُّهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ». أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه. انظر الجامع الصغير (٧٠٢٠) بتحقيق شيخنا.

- ١٥- وَلَا يَقِفُ الْمَأْمُومُ وَحْدَهُ بَلْ يَدْخُلُ الصَّفَّ، أَوْ يَجُرُّ إِلَى نَفْسِهِ غَيْرَهُ.
- ١٦- وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْإِمَامِ فِي أَعْمَالِهِ أَوْ يُسَاوِيَهُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ (عَنْهُ)^(١)، وَلَا يَهْوِي (لِلرُّكُوعِ)^(٢) إِلَّا إِذَا انْتَهَى الْإِمَامُ إِلَى حَدِّ الرُّكُوعِ، وَلَا يَهْوِي لِنَسْخُودِ مَا نُمَّ تَصِلُ جِهَةُ الْإِمَامِ إِلَى الْأَرْضِ.

(٥) - أخرج أحمد (٢٥٠/٥) وأبو داود (٩٠) والترمذي (٢٥٧) عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُنَّ: لَا يُؤْمِنُ رَجُلٌ قَوْمًا فَيَخْصُ نَفْسَهُ بِالِدُّعَاءِ دُونَهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ، وَلَا يَنْظُرُ فِي قَعْرِ بَيْتٍ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ....».

(٦) - «اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ...» أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و ١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقد تقدم ذكره.

(٧) - أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٢١١/٢) عن أنس رضي الله عنه قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا صَلَّى الْغَدَاةَ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو لَهُمْ».

أما في غير القنوت فقد أخرج البخاري (٦٣٤١) عن أبي موسى رضي الله عنه: دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه ورأيت بياض يبطيه.

وأخرج أبو داود (١٤٩٢) بإسناد ضعيف، عن السائب بن يزيد، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه.

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٩) - وذلك من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما المتقدم الذي أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و ١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (٢٤٨/٣). «فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَبْذُلُ مِنَ الْوَيْتِ، تَبَارَكَتْ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتِ».

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (إلى الركوع).

آداب الجمعة^(١)

اعْلَم: أَنَّ الْجُمُعَةَ (عِيْدُ الْمُؤْمِنِينَ)^(٢)، وَهُوَ يَوْمٌ شَرِيفٌ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ مُبْهِمَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا حَاجَةً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا^(٣).

١- فاستعِدَّ لها مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ بِتَنْظِيفِ الثِّيَابِ، وَبِكَثْرَةِ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُؤَازِي فِي الْفَضْلِ سَاعَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٤).
وَأَنْوَ صَوْمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لَكِنْ مَعَ (الْخَمِيسِ أَوْ السَّبْتِ)^(٥)، إِذْ جَاءَ فِي (إِفْرَادِهَا)^(٦) نَهْيٌ^(٧).

٢- فَإِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ الصُّبْحُ فَاعْتَسِلْ، فَإِنَّ: «غُسْلَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُخْتَلِمٍ»^(٨)، أَي: ثَابِتٌ مُؤَكَّدٌ.

(١) - يضم الميم وهي لغة الحجاز وفتحها هي لغة تميم والسكون لغة عقيل وهذه اللغات إذا كان المراد بالجمعة اليوم. أما إذا أريد بها الأسبوع فبالسكون لا غير كما إذا قلت: صمت جمعة أي أسبوعاً.
(٢) - في نسخة: (حج المساكين وعيد المؤمنين).

(٣) - أخرج البخاري (٩٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه».

(٤) - قال بعض السلف: إن الله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشيّة الخميس ويوم الجمعة.

(٥) - في نسخة: (السبت أو الخميس).

(٦) - في نسخة: (إفراده).

(٧) - أخرج البخاري (٢٠٣/٤) ومسلم (١١٤٤) وأبو داود (٢٤٢٠) والترمذي (٧٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يصومون أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو بعده».

٣- ثُمَّ تَرَيْنَ بِالثِّيَابِ الْبَيْضِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(١)، وَاسْتَعْمَلْ مِنْ الطَّيِّبِ مَا عِنْدَكَ^(٢)، وَبَالِغٌ فِي تَنْظِيفِ بَدَنِكَ بِالْحُلِيِّ وَالْقَصِّ وَالتَّقْلِيمِ وَالسَّوَالِكِ^(٣) وَسَائِرِ أَنْوَاعِ النَّظَافَةِ وَتَطْيِيبِ الرَّائِحَةِ^(٤).

٤- ثُمَّ بَكَّرْ إِلَى الْجَامِعِ وَاسِعْ (إِلَيْهِ)^(٥) عَلَى الْهَيْئَةِ وَالسَّكِينَةِ فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَاحَ (إِلَى الْجُمُعَةِ)^(٦) فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَانَ قَرَبٌ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَ قَرَبٌ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَانَ قَرَبٌ كَبْشاً (أَقْرَبَ)^(٧)، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَ قَرَبٌ (قَرَبٌ)^(٨) دَجَاجَةً^(٩)، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَ قَرَبٌ (قَرَبٌ)^(١٠) بَيْضَةً (فِي إِذَا)^(١١) خَرَجَ الْإِمَامُ طَوْبَتِ الصُّحُفُ

(٨) - أخرجه البخاري (٨٧٩) ومسلم (٨٤٦) وأبو داود (٣٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله

عنه.

(١) - فقد أخرج أحمد (٣٢٨/١) وأبو داود (٣٨٧٨) والترمذي (٩٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البسوا من ثيابكم البيض، فإنها من خير ثيابكم....».

(٢) - أخرج أحمد (٤٣٨/٥ و ٤٤٠) والدارمي (١٥٤٩) والبخاري (٨٤٣) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى».

(٣) - أخرج مسلم (٨٤٦) والطحاوي (٢٢١٦) عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «غسل الجمعة على كل محتلم. وسواك. وأن يمس طيباً». انظر العدة شرح العمدة (ص ١٤١).

(٤) - قال الشافعي: من نظف ثوبه قبل همه ومن طاب ريحه زاد عقله. (مراقي العبودية ص ٥٠).

(٥) - في نسخة: (إليها).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (أهدى).

(٩) - بتثيت الدال: د، د، د.

(١٠) - في نسخة: (أهدى).

(١١) - في نسخة: (قال: فإذا).

وَرَفَعَتِ الْأَقْلَامَ، وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»^(١)، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قَدْرِ بُكُورِهِمْ إِلَى الْجُمُعَةِ.

٥- ثُمَّ إِذَا دَخَلَتِ الْجَامِعُ فَاطْلُبِ الصَّفَّ الْأَوَّلَ^(٢).

٦- (فَإِذَا)^(٣) اجْتَمَعَ النَّاسُ فَلَا تَنْحَطِّ رِقَابُهُمْ^(٤).

٧- وَلَا تَمُرْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ^(٥)، وَاجْلِسْ بِقُرْبِ حَاطِطٍ أَوْ أَسْطَوَانَةٍ^(٦) حَتَّى لَا يَمُرُوا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا تَقْعُدْ حَتَّى تُصَلِّيَ التَّحِيَّةَ، (وَالْأَحْسَنُ)^(٧): أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ

(١) - أخرجه البخاري (٨٨١) وأبو داود (٣٥١) وانظره في سنن الترمذي باختصار السند

(٥٠٣) وابن ماجه (١٠٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ أوله: «من اغتسل يوم الجمعة، غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة». ولفظ في نهايته: «فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

(٢) - ويكره أن يؤثر غره بالصف الأول. فقد أخرج أبو داود (٦٧٩) وابن حزيمة (١٥٥٩) وابن حبان (٢١٥٦) عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يخلفهم الله في النار».

وأخرج الطيالسي (٧٤١) وأحمد (٣٠٤/٤) والدارمي (٢٨٩/١) وابن حزيمة (١٥٥١) وابن حبان (٢١٥٧) عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيها، فيمسح عواتقنا وصلورنا ويقول: «لا تختلف صفوفكم فتختلف قلوبكم، إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول».

(٣) - في نسخة: (فإن).

(٤) - أخرج الترمذي (٥١٣) عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم». وانظره في الجامع الصغير (٨٦٠٤) بتحقيق شيخنا. وزاد نسبته إلى الإمام أحمد وابن ماجه. وهو حديث ضعيف.

(٥) - أخرج البخاري (٥١٠) عن أبي جهيم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه». وانظره في الجامع الصغير (٧٥٢٣) بتحقيق شيخنا.

(٦) - أي: عمود.

(٧) - في نسخة: (وحسن). قال في مراقي العبودية (ص ٥١): أي: مندوب كما قاله الفاكهي.

تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ (بَعْدَ الْفَاتِحَةِ: الْإِخْلَاصَ)^(١) خَمْسِينَ (مَرَّةً)^(٢)، فَفِي الْخَبَرِ: «مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ يَرَى لَهُ»^(٣)، وَلَا تَتْرُكِ التَّحِيَّةَ وَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ يَخْطُبُ^(٤).

وَمِنَ السَّنَةِ أَنْ تَقْرَأَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْكَهْفِ وَطَةَ وَيَسَ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَسُورَةُ يَسَ وَالْذُّحَانَ وَالْمِ السَّجْدَةِ، وَسُورَةُ الْمَلِكِ، وَلَا تَدْعُ قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّورَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ^(٥)، فَفِيهَا فَضْلٌ كَثِيرٌ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنِ ذَلِكَ فَلْيَكْثِرْ مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، (وَأَكْثِرْ مِنْ)^(٦) الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَاصَّةً^(٧).

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (مرة سورة الإخلاص).

(٣) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٨٧/١): أخرجه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر. وهو غريب جداً.

(٤) - جاء سَلَيْكُ الْعُظْمَانِي يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخطب، فجلس فقال له: «يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوّز فيهما» ثُمَّ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا». أخرجه مسلم (٨٧٥).

أخرج الحميدي (١٢٢٣) وأحمد (٣٠٨/٣) والدارمي (١٥٦٣) والبخاري (١٥/٢) ومسلم (١٤/٣) وابن ماجه (١١١٢) عن جابر بن عبد الله قال: دخل رجل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقال: أصليت؟ قال: لا. قال: قم فصل الركعتين». وأخرج أحمد (٣٦٩/٣) والدارمي (١٥٥٩) والبخاري (٧١/٢) ومسلم (١٤/٣) عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، أَوْ قَدْ حَرَجَ، فَلْيَصِلْ رَكَعَتَيْنِ».

(٥) - تقدم ذكر دليل ذلك.

(٦) - في نسخة: (واكثر).

(٧) - ذكر الهيثمي في الجمع (٣٠٢٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الزَّهْرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ، فَإِنْ صَلَّاتُكُمْ تَعْرُضُ عَلَيَّ». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عبد المنعم بن بشير الأنصاري، وهو ضعيف. وله شواهد تقوى به. وانظره في الجامع الصغير بتحقيق شيخنا (١٤١٧).

وَمَهْمَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَاقْطَعَ الصَّلَاةَ وَالْكَلَامَ، وَاشْتَغَلَ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ ثُمَّ بِاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ وَالِاتِّعَاطِ بِهَا^(١)، وَدَعَا الْكَلَامَ رَأْسًا فِي الْخُطْبَةِ^(٢)، فَنَبِي الْخَبَرِ أَنْ: «مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامِ يَخْطُبُ أَنْصَتَ»^(٣) فَقَدْ لَعَا، وَمَنْ لَعَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ^(٤)، أَي: لَأَنَّ قَوْلَهُ: «أَنْصَتَ» كَلَامٌ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْهَى غَيْرَهُ بِالْإِشَارَةِ لَا بِاللَّفْظِ.

ثُمَّ اقْتَدَى بِالْإِمَامِ كَمَا سَبَقَ، فَإِذَا فَرَعَتْ وَسَلَّمَتْ فَأَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَالْإِحْلَاصَ سَبْعًا وَالْمُعَوِّذَيْنِ سَبْعًا^(٥)، فَذَلِكَ يَعْصِمُكَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخَرِى^(٦)، وَيَكُونُ حِرْزًا^(٧) لَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقُلْ بَعْدَ ذَلِكَ: «اللَّهُمَّ يَا غَنِيَّ يَا حَمِيدُ،

(١) - قال في مراقبي العبودية (ص ٥٢): وقال الوفاي: ويجب على كل من كان في صلاة تخفيفها عند صعود الخطيب المنبر وجلسه عليه فإطالة الصلاة كإنشائها. اهـ. لكن إنشاء الصلاة قبل جلوسه وبعد شروعه في الصعود لا يحرم أما بعد جلوسه فيحرم ولا تنعقد الصلاة مطلقاً عند ركعتي التحية إجماعاً كما في حاشية الإقناع.

(٢) - عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال يوم الجمعة والإمام يخطب: أنصت فقد لعا». انظره في سنن الترمذي باختصار السند (٥١٧).

وذكر الهيثمي في الجمع (٣١٢٣) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت، ليس له جمعة». قال: رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير، وفيه: بحال بن سعيد، وقد ضعفه الناس، ووثقه النسائي في رواية.

(٣) - في نسخة: (أو صه).

(٤) - أخرجه البخاري (٩٣٤) ومسلم (٨٥١) بلفظ: «إذا قلت لصاحبك..». وأخرجه أبو داود (١١١٢) والنسائي (١٤٠١) والترمذي (٥١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج أبو داود (١٠٥١) عن علي بن أبي طالب من حديث طويل: أنه قال: «من قال يوم الجمعة لصاحبه: أنصت فقد لعا، ومن لعا فليس له في جمعة تلك شيء».

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٧٥) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ سبع مراتٍ أعاده الله عز وجل من سوء إلى الجمعة الأخرى».

يَا مُتَبَلِّدُ يَا مُعَيَّدُ، يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ، أَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(١).

ثُمَّ صَلَّ بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ^(٢) أَوْ أَرْبَعًا^(٣) أَوْ سِتًّا^(٤) مَتْنِي، فَكُلُّ ذَلِكَ مَرُورِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ.

قال الحافظ ابن حجر: سنده ضعيف. وينبغي أن يقيد بما بعد الذكر المأثور في الصحيح، وله شاهد من مرسل مكحول، أخرجه سعيد بن منصور في السنن عن فرج بن فضالة عنه، وزاد في أوله: «فاتحة الكتاب»، وفي آخره: «كفر الله عنه ما بين الجمعتين، وكان معصوماً» وفرج ضعيف.

(٧) - أي: وقاية.

(١) - لم أجده بلفظ المصنف. وإنما جاء بلفظ مختلف. أخرج أحمد (١٥٣/١) والترمذي (٣٥٥٨) والحاكم (٥٣٨/١) عن علي رضي الله عنه، أن مكاتبا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كان عليك مثل جبل دينا أداه عنك؟ قال: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغني بفضلك عمن سواك». وذكره الإمام النووي في الأذكار (٣٨٣ و ١٢٣٤).

(٢) - أخرج أحمد (١٠٣/٢) وأبو داود (١١٢٧ و ١١٢٨) والنسائي (١١٣/٣) وابن ماجة (١١٣٠) وابن خزيمة (١٨٣٦) عن نافع قال: كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة، ويصلي بعدها ركعتين في بيته، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك.

وأخرج أبو داود (١١٣٠ و ١١٣٣) عن ابن عمر قال: كان إذا كان بمكة فضلى الجمعة. تقدم فضلى ركعتين، ثم تقدم فضلى أربعاً، وإذا كان بالمدينة، صلى الجمعة، ثم رجع إلى بيته، فضلى ركعتين ولم يصل في المسجد، فقيل له: فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك.

ذكر الهيثمي في الجمع (٣١٨٨) عن أبي هريرة قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا أدعهن في سفر ولا حضر... وركعتين بعد الجمعة...». وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون.

وروى البزار بإسناد ضعيف جداً، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الجمعة ركعتين وبعدها ركعتين. انظر فتح الباري (٣٤١/٢) وانظر مجمع الزوائد (٤٢٥/٢) مما يستدرك من الزوائد.

ثُمَّ لَا زِمَ الْمَسْجِدَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ إِلَى الْعَصْرِ، وَكُنْ حَسَنَ الْمُرَاقِبَةِ لِلْسَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا مُبَهَّمَةٌ فِي جَمِيعِ الْيَوْمِ فَعَسَاكَ أَنْ تُذَرَّهَا وَأَنْتَ خَاشِعٌ لِلَّهِ (تَعَالَى) مُتَضَرِّعٌ. وَلَا تَحْضُرْ فِي الْجَامِعِ مَجَالِسَ الْحِلَقِ^(٣)، وَلَا مَجَالِسَ الْقُصَّاصِ بَلْ مَجْلِسَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَهُوَ الَّذِي يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُنْقِصُ مِنْ رَغَبِكَ فِي الدُّنْيَا، فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَذْعُرُكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ فَالْجَهْلُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ^(٤).

(٣) - أخرج مسلم (٨٨١) وأبو داود (١١٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً».

(٤) - قال في مراقبي العبودية (ص ٥٢): كما رواه علي وعبد الله بن عباس. قلت: لم أجد في مستنديهما ما يشير إلى ذلك. والله أعلم.

قال السبكي في طبقات الشافعية (٢٨٧/٦): قال ابن الصلاح: من تفردت الغزالي أنه ذكر في بداية الهداية في سنة الجمعة بعدها أن له أن يصليها ركعتين، وأربعاً، وستاً، قال: فأبعد في ستٍّ وشذَّ.

وقال النووي: روى الشافعي بإسناده في كتاب علي وابن مسعود عن علي رضي الله عنه أنه قال: من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصل بعدها ست ركعات....

(١) - ما بين: () زيادة من نسخه.

(٢) - للنهي الوارد في ذلك فقد أخرج ابن ماجة (١١٣٣) عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحَلَّقَ في المسجد يوم الجمعة قبل الصلاة» بإسناد لا بأس به.

(٣) - أخرج الطيالسي (٢٠٠٧) وابن أبي شيبة (١٨٧/١٠) وأحمد (١٩٢/٣) (٢٥٥) وابن حبان (٨٣) عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، وعَمَلٍ لا يرفع، وقلبٍ لا يخشع، وقولٍ لا يسمع».

وأخرج ابن أبي شيبة (١٨٥/١٠) وابن حبان في صحيحه (٨٢) عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع».

وَأَكْثِرِ الدُّعَاءَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ^(١)، وَعِنْدَ الزَّوَالِ، وَعِنْدَ الْمَغْرُوبِ، وَعِنْدَ الْإِقَامَةِ، وَعِنْدَ صُغُودِ الْخَطِيبِ الْمُنِيرِ، وَعِنْدَ قِيَامِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ الشَّرِيفَةُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ.

وَاجْتَهِدْ أَنْ تَصَدَّقَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ، فَتَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَالِاعْتِكَافِ وَالرَّيَاطِ^(٢)، وَاجْعَلْ هَذَا الْيَوْمَ مِنَ الْأُسْبُوعِ خَاصَّةً لِآخِرَتِكَ فَعَسَا أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِبَقِيَةِ الْأُسْبُوعِ.

(١) - أخرج ابن السني (١٤٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه: أنه جعل له من يرقب له طلوع الشمس، فلما أخبره بطلوعها قال: «الحمد لله الذي وهب لنا هذا اليوم، وأقالنا فيه عثراتنا».

(٢) - في سبيل الله تعالى.

آداب الصيام

الْفَضَائِلُ^(١)، وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ (وَالْمُحَرَّمُ)^(٢) وَرَجَبٌ، وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ سَرَدٌ، وَهَذِهِ فِي السَّنَةِ^(٣).

(٨) - أخرج أحمد (٣٠٣/٢) ومسلم (١١٦٣) وابن ماجه (١٧٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

(٩) - ذكر الهيثمي في المجمع: (٥١٥٢) عن خرشة بن الحر قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب أكف الرجال في صوم رجب حتى يضعونها في الطعام، ويقول: رجب وما رجب، إنما رجب شهر كان يعظمه أهل الجاهلية، فلما جاء الإسلام ترك. قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن جبلة ولم أجد من ذكره، وبقي رجاله ثقات.

(١٠) - أخرج البخاري (١٩٦٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان.

وذكر الهيثمي في المجمع: (٥١٥٩) عن أبي أمامة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل شعبان برمضان. قال: رواه الطبراني في الكبير (٧٧٥٠) ورجالهم ثقات. قلت: فيه: سويد بن عبد العزيز: لين الحديث.

(١١) - أخرج أبو داود (٢٤٢٨) والنسائي في الكبرى (تحفة ٥٢٤٠). وابن ماجه (١٧٤١) والمزي في تهذيب الكمال (٣٠٣/٣٥) عن مجيبة الباهلية، عن أبيها أو عمها: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق فعاد إليه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته، فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: «ومن أنت؟» قال: أنا الباهلي الذي جئتكم عام أول. قال: «فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة؟» قال: ما أكلت طعاماً منذ فارقتك إلا لبيل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولم عذبت نفسك؟! صم شهر الصبر، ومن كل شهر يوماً». قال: زدني فإن بي قوة. قال: «صم من كل شهر يومين». قال: زدني فإن بي قوة. قال: «صم ثلاثة أيام من كل شهر». قال: زدني فإن بي قوة. قال: «صم من الحرم وأترك». يقولها ثلاثاً.

(١٢) - في نسخة: (ومحرم).

(١٣) - قال في مراقي العبودية (ص ٥٤): «وأفضلها الصوم بعد رمضان المحرم ثم رجب ثم الحجة ثم القعدة ثم شعبان، ونظم البحرمي ترتيب الأفضلية في الشهور فقال:

لَا يُنْبَغِي أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى صَوْمِ رَمَضَانَ فَتَتْرَكَ التَّجَارَةَ بِالنَّوَافِلِ وَكَسْبَ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْفَرَادَيْسِ^(١)، فَتَتَحَسَّرُ^(٢) إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الصَّائِمِينَ - كَمَا تَنْظُرُ إِلَى (الْكُوكَبِ الدَّرِيِّ)^(٣) - وَهُمْ فِي أَعْلَى عِلَلِينَ.

وَالْأَيَّامُ الْفَاضِلَةُ الَّتِي شَهِدَتْ الْأَخْبَارَ بِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا^(٤)، وَبِحَزَالَةِ الثَّوَابِ فِي صِيَامِهَا: يَوْمٌ عَرَفَةٌ لِغَيْرِ (الْحَاجِّ)^(٥)، وَيَوْمٌ عَاشُورَاءُ^(٦)، وَالْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ^(٧)، وَالْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ^(٨)، وَرَجَبٌ^(٩)، وَشَعْبَانُ^(١٠)، وَصَوْمُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مِنَ

(١) - جمع فردوس، وهي أعلى الجنة وأوسطها. وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. (مراقي العبودية ص ٥٤).

(٢) - أي: فتتلهف.

(٣) - في نسخة: (الكوكب الدرّي).

(٤) - في نسخة: (بفضلها وشرفها).

(٥) - في نسخة: (الحجاج). أخرج مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيام يوم عرفة أحسن على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده».

وما ذكر ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٢٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة. وقال: متفق عليه من حديث أم الفضل ومن حديث ميمونة. (٦) - أخرج مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيام يوم عاشوراء أحسن على الله أن يكفر السنة التي قبله». وانظر تلخيص الحبير (٢٢٦/٢).

(٧) - أخرج البخاري (٩٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء».

وَأَمَّا فِي الشَّهْرِ: فَأَوَّلُ الشَّهْرِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ^(١)، وَالْأَيَّامُ الْبَيْضُ، وَهِيَ: الثَّلَاثُ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ^(٢).

وَأَمَّا فِي الْأَسْبُوعِ: فَيَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ^(٣) وَالْجُمُعَةِ^(٤).

فَتُكْفَرُ ذُنُوبُ الْأَسْبُوعِ بِصَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ.

وَذُنُوبُ الشَّهْرِ تُكْفَرُ بِالْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْيَوْمِ الْأَوْسَطِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْأَيَّامِ الْبَيْضِ.

وَتُكْفَرُ ذُنُوبُ السَّنَةِ بِصِيَامِ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَالْأَشْهُرِ الْمَذْكُورَةِ.

وَلَا تَقْرَنُ إِذَا صُمْتُ أَنْ الصَّوْمَ هُوَ: تَرْكُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْوِقَاعِ فَقَطْ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»^(٥). بَلْ تَمَامُ

وأفضل الشهور بالإطلاق شهر الصيام فهو ذو السباق

فسهر ربنا هو اخرهم فرجب فالحة المعظم

فنعقدة فبعده شعبان وكل ذا جاء به البيان

(١) - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَوْصَانِي حَلِيلِي بِثَلَاثَ، صِيَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرُكْعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أَوْتَرَ قَبْلَ أَنْ أَنْامَ». أخرجه البخاري (١٩٨١).

وقال ابن حجر: ويسن صوم أيام السود خوفاً من ظلمة الذنوب وهي: الساعات أو الثامن والتاليه، فإن بدأ بالثامن ونقص الشهر صام أول تاليه وحينئذ يقع صومه عن أول الشهر أيضاً فإنه يسن صوم ثلاثة أول كل شهر.

(٢) - أخرج الترمذي بإسناد حسن (٧٦١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا صُمْتُ لِي الشَّهْرُ ثَلَاثًا، فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةٍ، وَخَمْسَ عَشْرَةٍ».

(٣) - أخرج الترمذي (٧٤٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الإثنين والخميس.

وأخرج الترمذي (٧٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

(٤) - لقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَصُومُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ» أخرجه البخاري (١٨٨٤) ومسلم (١١٤٤)

(الصَّوْمُ)^(١) بِكَفِّ الْحَوَارِحِ كُلِّهَا (مِنْ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَغَيْرِهِمَا)^(٢) عَمَّا يَكْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ:

١- الْعَيْنَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمَكَارِهِ.

٢- وَاللِّسَانَ عَنِ النَّطْقِ بِمَا لَا يَغْنِيكَ^(٣).

٣- وَالْأَذْنَ عَنِ السَّمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ (تَعَالَى)^(٤)، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ وَهُوَ أَحَدُ الْمُعْتَابِينَ.

٤- وَكَذَلِكَ تُكْفَرُ جَمِيعُ الْحَوَارِحِ كَمَا تَكْفُرُ الْبُطْنُ وَالْفَرْجُ، فَيَبِي الْخَبَرِ: «خَمْسٌ يَفْطُرْنَ الصَّائِمَ: الْكَذِبُ، وَالْغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ^(٥)، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ^(٦)، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ»^(٧).

(٥) - أخرجه أحمد (٤٤١/٢) رقم (٩٦٩١) والدارمي (٣٠١/٢) عن أبي هريرة بهذا اللفظ ولكن بدون قوله: (والعطش) وزاد: «وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

وأخرجه ابن ماجه (١٦٩٠) عن أبي هريرة أيضاً بلفظ: «رب صائم». وليس فيه: «والعطش» وبقية كما في رواية أحمد والدارمي.

(١) - في نسخة: (الصيام).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - بما لا يعينك: أي بما لا يهملك، والذي يهمل الإنسان ما يتعلق بسلامته في المعاد وبضرورة حياته في معاشه فيما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه (مراقي العبودية ص ٥٥).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (واليمين الكاذبة).

(٦) - قال في مراقي العبودية (ص ٥٥): ومذهب الشافعي وأصحابه: أن هذه تبطل ثواب الصوم لا نفس الصوم، ومعنى يفترون الصائم: أي: ينهين ثواب الصائم كما يذهب الفطر في النهار الصيام.

(٧) - أخرجه الديلمي في الفردوس (٢٩٧٩) وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٤٧/٢) وابن الجوزي في الموضوعات: (١٩٦/٢) والزيلي في نصب الراية: (٤٨٣/٢) من حديث أنس بن مالك

وَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) ^(١): «إِنَّمَا الصَّوْمُ جَنَّةٌ ^(٢)، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَفْسُقُ وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ أَمْرُؤُ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ» ^(٣).

ثُمَّ اجْتَهِدْ أَنْ تُفْطِرَ عَلَى طَعَامٍ حَلَالٍ.

وَلَا تَسْتَكْثِرْ فَتَرْيِدَ عَلَى مَا تَأْكُلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ، (فَلَا) ^(٤) فَرَقَ إِذَا اسْتَوْضِئْتَ مَا تَعَاذُ أَنْ تَأْكُلَهُ (دُعَتَيْنِ فِي دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ) ^(٥)، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ كَسْرُ شَهْوَتِكَ وَتَضْعِيفُ قُوَّتِكَ لِتَقْوَى بِهَِا عَلَى التَّقْوَى.

فَإِذَا أَكَلْتَ (عَشِيَّةً مَا) ^(٦) تَدَارَكْتَ بِهِ مَا فَاتَكَ (ضَحْوَةً) ^(٧) فَلَا فَائِدَةَ فِي صَوْمِكَ وَقَدْ ثَقُلْتَ عَلَيْكَ مِعْدَتُكَ، وَمَا (وَعَاءٌ) ^(٨) أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ (تَعَالَى) ^(٩) مِنْ بَطْنٍ مُلِئَ مِنْ حَلَالٍ فَكَيْفَ إِذَا (مُلِئَ) ^(١٠) مِنْ حَرَامٍ؟.

رضي الله عنه بلفظ: «خمس يفطر الصائم، وينقض الوضوء...». وقال: هذا حديث موضوع. وقال ابن معين: سعيد كذاب.

(١) - في نسخة: (رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٢) - أي: وقاية من المعاصي.

(٣) - لم أحده بلفظ المصنف. أخرج البخاري (١٨٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم...». وأخرج النسائي (٢٢٣٤) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصيام جنة من النار، فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ، وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه، وليقل: إني صائم...». وانظره في الجامع الصغير (٥٢٢٤) بتحقيق شيخنا وهو حديث صحيح.

(٤) - في نسخة: (لأجل صيامك، فلا).

(٥) - في نسخة: (دفعه أو دفعتين).

(٦) - في نسخة: (عيش ما فاتك فقد).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (من وعاء).

(٩) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١٠) - في نسخة: (كان).

فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الصَّوْمِ فَاسْتَكْثِرْ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْعِبَادَاتِ وَمِفْتَاحُ الْقُرْبَاتِ ^(١).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أََمْثَالِهَا إِلَيَّ سَبْعَ مِئَةٍ ضِعْفٍ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» ^(٢).

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ» ^(٣)، يَقُولُ اللَّهُ (تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ) ^(٤): إِنَّمَا يَنْدُرُ شَهْوَتُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ مِنْ أَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» ^(٥).

(١) - لقوله صلى الله عليه وسلم: «لكل شيء باب وباب العبادة الصوم». ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢٣٢/١) وإتحاف السادة المتقين: (١٩٢/٤). عن أبي الدرداء بسند ضعيف.

(٢) - أخرج ابن حبان في صحيحه (٣٤١٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: كل حسنة عملها ابن آدم جزيتها بها عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به، الصيام جنة، فمن كان صائماً، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شتمه أو آذاه، فليقل: إني صائم».

وأخرج ابن أبي شيبة (٥/٣) وأحمد (٤٤٣/٢ و ٤٧٧) ومسلم (١١٥١) وابن ماجه (١٦٣٨) وابن حبان (٣٤٢٤) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، يقول الله: إلا الصوم، فهو لي وأنا أجزي به...».

(٣) - أخرج أحمد (٢٧٣/٢) والبخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) (١٦٣) وابن حبان (٣٤٢٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لخنوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك...».

وأخرج النسائي (١٦٢/٤ - ١٦٣) وابن حبان (٣٤٢٢) عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيام لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

قال الإمام الماوردي: المعنى: أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم، أي: يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم. (مراقي العبودية ص ٥٦).

(٤) - في نسخة: (عز وجل).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِنَجَنَةِ بَابٍ يُقَالُ لَهُ الرِّبَانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»^(١).

فَهَذَا (الْقَدَرُ)^(٢) مِنْ شَرْحِ الطَّاعَاتِ (يَكْفِيكَ)^(٣) مِنْ بَدَايَةِ الْهِدَايَةِ، فَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَى الزُّكَاةِ (وَالْحَجِّ)^(٤) أَوْ إِلَى مَزِيدٍ (لِلشَّرْحِ)^(٥) الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فَاطْلُبْهُ مِنْ أَوْرَدْنَاهُ فِي (كِتَابِنَا)^(٦): إَحْيَاءِ غُلُومِ الدِّينِ.

(٥) - أخرجه البخاري (١٨٩٤) عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام حنة، فلا يرفث ولا يجهل... والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه من أجل، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها».

وفي رواية عند ابن حبان (٣٤٢٤) عن أبي هريرة: «... إلا الصوم، فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجل، والشراب من أجل، وشهوته من أجل، وأنا أجزي به...».

(١) - أورد هذه الرواية المصنف في الإحياء. انظر المغني عن حمل الأسفار (٢٣٢/١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (١٩١/٤). وأبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢٥/٢ و ٢٧٠).

وأخرجه البخاري (١٨٩٦) ومسلم (١١٥٢) عن سهل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة باباً يقال له الرِّبَان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم...».

(٢) - في نسخة: (القدر يكفيك).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (وإلى الحج).

(٥) - في نسخة: (شرح).

(٦) - في نسخة: (كتاب).

الْقِسْمُ الثَّانِي

في

اجْتِنَابِ الْمَعَاصِي^(١)

(١) - وفي ذلك أحوال للناس في فعل الطاعات واجتناب المعاصي، وقد قال الإمام الماوردي في دب الدنيا والدين (ص ١٥٦ - ١٥٩): ثم ليس يخلو حال الناس فيما أمروا به ونُهِوا عنه، من فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، من أربعة أحوال:

فمنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي، وهذا أكمل أحوال أهل الدين، وأفضل صفات المتقين، فهذا يستحق جزاء العاملين، وثواب المطيعين. روى محمد بن عبد الملك المدائني، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذنب لا يُنسى، والبر لا يلى، والديان لا يموت، فكن كما شئت، فكما تدين يدين». وقد بُدِيَ قِيلَ: كل يحصد ما يزرع، ويُحْزَى بما يصنع. بل قالوا: زرع يومك حصداً غديك.

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويُقَدِّم على ارتكاب المعاصي، وهي أخصب أحوال المكلفين، وشر صفات المتعبدین، فهذا يستحق عذاب اللاهي عن فعل ما أمر به من طاعته، وعذاب المجترى على ما أقدم عليه من معاصيه، وقد قال ابن شبرمة: عجت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار؟ فأخذ ذلك بعض الشعراء فقال:

جسمك قد أفنيت بالحمل دهرًا من البارد والحار

وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي حذر النار

وقال ابن شبرمة: إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى أحوث من الصبر على عذاب الله تعالى. وقال آخر: اصبروا عباد الله على عمل لا غنى بكم عن ثوابه، واصبروا عن عمل لا صبر لكم على عقابه. وقيل للفضيل بن عياض: رضي الله عنك. فقال: كيف يرضى عني ولم أرضه!

ومنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويُقَدِّم على ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عذاب المجترى؛ لأنه تورط بغلبة الشهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التقصير في فعل الطاعة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أقلعوا عن المعاصي قبل أن يأخذكم الله، فيدعكم هتاً بئاً». - اهت: الكسر، والب: القطع - ولذلك قال بعض العلماء: أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه، ولم تزل الشهوة يقينه.

(اعْلَمْ: أَنَّ (الَّذِينَ) ^(١) شَضَرَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَرَكُ الْمَنَاهِي.

وَالْآخَرُ: فِعْلُ الطَّاعَاتِ.

وقال حماد بن زيد: عجبت لمن يمتني من الأطعمة لمضراتها، كيف لا يمتني من الذنوب لمغراتها.
وقال بعض الصلحاء: أهل الذنوب مرضى القلوب. وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: ما أعجب الأضيء؟ فقال: قلب عرف الله عز وجل ثم عصاه. وقال بعض الألباء: يدل بالطاعة العاصي، وينسى عظم المعاصي. وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أما أحب إليك؟ رجل قليل الذنوب قليل العمل، أو رجل كثير الذنوب كثير العمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أعدل بالسلامة شيئاً.
وقيل لبعض الزهاد: ما تقول في صلاة الليل؟ فقال: خف الله بالنهار، ونم بالليل. وسمع بعض الزهاد رجلاً يقول لقوم: أهلككم النوم. فقال: بل أهلككم اليقظة. وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ فقال: أجزت في أرض فيها شوك؟ فقال: نعم. فقال: كيف كنت تصنع؟ فقال: كنت أتوقى، قال: فتوق الخطايا. وقال عبد الله بن المبارك:

أيضمن لي فتى ترك المعاصي وأرهنه الكفالة بالخلاص

أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصي

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عقاب اللاهي عن دينه، المنذر بقلة يقينه. روى أبو إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كانت ضحفت موسى عليه السلام كلها عبداً: عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يصحك، وعجبت لمن أيقن بالنقد ثم يتعب، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقبحها بأهلها، ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل».

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اجتهدوا في العمل، فإن قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي». وهذا واضح المعنى؛ لأن الكف عن المعاصي ترك، وهو أسهل، وعمل الطاعات فعل، وهو أثقل؛ ولذلك لم يبع الله تعالى ارتكاب المعصية بعذر، ولا بغير عذر؛ لأنه ترك، والترك لا يعجز المعذور عنه، وإنما أباح ترك الأعمال بالأعذار؛ لأن العمل قد يعجز المعذور عنه.

وقال بكر بن عبد الله: رحم الله امرأ كان قوياً، فأعمل قوته في طاعة الله تعالى، أو كان ضعيفاً فكف عن معصية الله تعالى....

(١) - في نسخة: (للدين).

وَتَرَكُ الْمَنَاهِي هُوَ الْأَشَدُّ، فَإِنَّ الطَّاعَاتِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ، وَتَرَكُ الشَّهَوَاتِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ، (فَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ) ^(١) صلى الله عليه وسلم: «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ» ^(٢) (٣).

وَأَعْلَمْ: أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْصِي اللَّهَ بِحَرَارِجِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَأَمَانَةٌ لَدَيْكَ، فَاسْتَعِائَتُكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ غَايَةُ الْكُفْرَانِ، وَخِيَانَتُكَ فِي أَمَانَةِ (اسْتَوْدَعَكَهَا) ^(٤) اللَّهُ غَايَةُ الظُّغْيَانِ، فَأَعْصَاؤُكَ (رَعَايَاكَ) ^(٥) فَانْظُرْ كَيْفَ تَرَعَاهَا، فَ«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ^(٦).

(١) - في نسخة: (ولذلك قال).

(٢) - أخرجه أحمد (٢١/٦) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن، من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». وصححه ابن حبان (٢٥) والحاكم (١٠/١، ١١).

وأخرج أحمد (١٥٤/٣) عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء...».

وأخرج ابن ماجه (٣٩٣٤) أن فضالة بن عبيد حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

وأخرج أحمد (٢١/٦، ٢٢) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

(٣) - ما بين: () قد أوردها الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (٣٣٨/١٩) ضمن ترجمة المصنف.

(٤) - في نسخة: (أودعها).

(٥) - في نسخة: (رعاؤك).

(٦) - أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وبقية: «الإمام راعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ

وَأَعْلَمَ: أَنَّ حَمِيعَ أَعْضَائِكَ سَتَنُتْهِدُ عَلَيْكَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ^(١) بِلِسَانٍ طَلَقَ ذَلِكَ^(٢) تَفَضُّحَكَ بِهِ عَلَى (رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ)^(٣).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]. وَقَالَ (اللَّهُ)^(٤) تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

فَاحْفَظْ (يَا مَسْكِينُ)^(٥) حَمِيعَ بَدَنِكَ (مِنَ الْمَعَاصِي)^(٦) وَخُصُوصاً أَعْضَاءَكَ السَّبْعَةَ. فَإِنَّ جَهَنَّمَ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. وَلَا تَعَيَّنْ لِيَتِلَّكَ الْأَبْوَابُ إِلَّا مَنْ عَصَى اللَّهَ (تَعَالَى)^(٨) بِهَذِهِ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ، وَهِيَ: الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَرْجُ وَالْيَدُ وَالرَّجُلُ.

أَمَّا الْغَيْبُ: فَإِنَّمَا خُلِفَتْ لَكَ لَتَهْتَدِي بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا فِي الْحَاجَاتِ، وَتَنْتَظِرُ بِهَا إِلَى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ^(٩). فَاحْفَظْهَا عَنْ (أَرْبَعِ)^(١٠):

زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته». قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته».

(١) - أي: أمانتها.

(٢) - أي: نصيح عذب المنطق.

(٣) - في نسخة: (ملاً من الخلق).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - أي: معلوم.

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٩) - أي: الدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى.

(١٠) - في نسخة: (ثلاث أو أربع). وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من الزلل لأنها تؤدي

بصاحبها إلى النار فقد أخرج أحمد (٢/٢٩١ و ٣٩٢ و ٤٤٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٩)

١- أَنْ تَنْتَظِرَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مَحْرَمٍ.

٢- أَوْ إِلَى صُورَةٍ مَيْتَحَةٍ (أَوْ لَا)^(١) بِشَهْوَةِ نَفْسٍ.

٣- أَوْ تَنْتَظِرَ بِهَا إِلَى مُسْلِمٍ بَعِيْنٍ الْاِحْتِقَارِ.

٤- أَوْ تَطْلُعَ بِهَا عَلَى عَيْبِ مُسْلِمٍ.

وَأَمَّا الْأُذُنُ: فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى الْبِدْعَةِ، أَوِ الْغَيْبَةِ، أَوِ الْفُحْشِ، أَوِ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ، أَوْ ذِكْرِ مَسَاوِي النَّاسِ، فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِكْمَةَ أَوْلِيَائِهِ، وَتَتَوَصَّلَ بِاسْتِيفَادَةِ الْعِلْمِ بِهَا إِلَى الْمُلْكِ الْمُنِيِّمِ وَالنَّبِيِّمِ الدَّائِمِ (فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٢).

فَإِذَا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَكَارِهِ صَارَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ وَانْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فُوزِكَ سَبَبَ هَلَاكِكَ، (وهذا)^(٣) غَايَةُ الْخُسْرَانِ، وَلَا تَقْنَنَنَّ أَنَّ الْإِنَّمَّ يَخْتَصُّ بِهِ الْقَائِلُ ذُوْنَ لُصْمَتَيْهِ، فَقِي الْحَبْرِ أَنَّ: «الْمُسْتَمْعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ وَهُوَ أَحَدُ الْمُتَعَاتِبِينَ»^(٤).

و (٢٩٤) وابن ماجة (٤٢٤٦) والترمذي (٢٠٠٤) عن أبي هريرة قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: التقوى وحسن الخلق. وسئل ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: الأجوفاان: الفم والفرج.

وأخرج أحمد (٣١٧/٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا أدرك لا محالة. فالعين زنيتهما النظر ويصدقها الإعراض، واللسان زنيتهما النطق والقلب التمني، والفرج يصدق ما تم ويكذب.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (فهذه).

(٤) - قال العللوني في كشف الخفاء: (٢٣٢٣) ذكره الغزالي في الإحياء، ولم يخرجوه العراقي.

لكن رواد الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة، وعن الاستماع إلى الغيبة». ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٢٢). وورد أيضاً: «من اغتیب عنه أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدله الله تعالى في الدنيا والآخرة». وفي التنزيل: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ [الحجرات: ١٢].

وَأَمَّا اللَّسَانُ: فَإِنَّمَا خُلِقَ لَكَ يُتَكَبَّرُ بِهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةُ كِتَابِهِ، وَتَرْشِيدُ بِهِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى طَرِيقِهِ، وَتُظْهِرُ بِهِ مَا فِي صَمِيمِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ.

فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ فَقَدْ كَفَرْتَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، وَهُوَ أَغْلَبُ أَعْضَائِكَ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ أَنْحُلِكَ، وَلَا يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ^(١)، فَاسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِغَايَةِ قُوَّتِكَ حَتَّى لَا يَكْبُكَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، فَنَفِي الْخَبَرِ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابَهَا، فَيَهْوِي بِهَا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٢).

(وَرَوَى أَنَّهُ^(٣)) قِيلَ شَهِيدٌ فِي الْمَعْرَكَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَائِلٌ: هَيْبًا لَهُ (الْجَنَّةُ)^(٤)، فَقَالَ (النَّبِيُّ)^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَدْرِيكَ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ، وَيَخْلُ بِمَا لَا يَغْنِيهِ»^(٦).

وانظره في المقاصد الحسنة: (١٠٣٦) وتمييز الطيب من الخبيث (١٢٩٤) ومختصر المقاصد الحسنة: (٩٥٤) وأسنى المطالب (١٥٩١)

(١) - أخرجه أحمد (٢٣٠/٥) و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٤٥ والترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٣٩٧٣). وابن حبان (٢١٤) عن معاذ بن جبل من حديث طويل. وانظره في (الأربعين النووية) حديث رقم: (٢٩).

(٢) - أخرج ابن حجر في المطالب العالية (٣٢٢٣) القطعة الأولى من الحديث عن ابن مسعود رفعه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها من حوله...». وأخرج الترمذي (٢٣١٤) وابن ماجه (٣٩٧٠) وابن حبان (٥٧٠٦) عن أبي هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً».

وأخرج أحمد (٣٧٨/٢ - ٣٧٩) والبخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) وابن حبان (٥٧٠٧) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (بالجنة).

(٥) - في نسخة: (رسول الله).

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ تَمَانِيَةٍ:
الْأَوَّلُ: الْكَذِبُ^(١).

(٦) - قال السيوطي في الدر المنثور (١٩٦/٦): أخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً توفي فقالوا: أبشر بالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولا تدرون فعله قد تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينفعه». ولفظه في الترمذي (٢٣١٦) في الزهد (عارضة الأحوذى (١٩٦/٩): «توفي رجل من أصحابه فقال -يعني رجل-: أبشر بالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولا تدري فعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينفعه». وقال: حديث غريب.

وأخرج البيهقي من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه قال: أصيب رجل يوم أحد فجاءت امرأة فقال: يا بني لتنهك الشهادة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويخل بما لا يغنيه».

وأخرج أبو يعنى (٢٦٤٦) عن أبي هريرة قال: قُتل رجلٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فبكت عليه باكياً، فقالت: واشهيداه، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يدريك أنه شهيد، ولعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويخل بما لا ينفعه». قال الهيثمي في الجمع (١٨١٨٠): رواه أبو يعنى، وفيه: عصام بن طليق، وهو ضعيف.

وأخرج أبو يعلى (٤٠١٧) عن أنس قال: استشهد رجلٌ منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك يا بني الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع مالا يضره». قال الهيثمي في الجمع (١٨١٨١): رواه أبو يعلى، وفيه: يحيى بن يعلى الأسلمي، وهو ضعيف. وقال شيخنا في تحقيقه للمجمع: وفيه أيضاً: انقطاع، سليمان الأعمش، لم يدرك أنساً.

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٤١٢ - ٤١٣): [ذم الكذب]: قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ثُمَّ نَبْهَلَ فَجَعَلَ لَعْنَةً اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال للحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يريك إلى ما لا يريك، فإن الكذب ريبة، والصدق طمأنينة». وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رحم الله امرأً أصلح من لسانه، وأقصر من عنانه، وألزم طريق الحق مقوله، ولم يعود الخطل مفصله». وروى صفوان بن سليم قال: «قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أليكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: أليكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: أليكون

كذاباً؟ قال: لا». وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ البقرة: [٤٢]: أي: لا تخلطوا الصدق بالكذب. وقيل في مثور الحكم: الكذاب لص؛ لأنَّ النفس يسرق ماله، والكذاب يسرق عقلك. وقال بعض الحكماء: الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة. وقال بعض البلغاء: الصادق مصان جليل، والكاذب مهان ذليل. وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق. وقال بعض الشعراء:

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجَمالِ
من الكذب الذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرجال

والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم، لسوء عواقبه، وحب نتاجه؛ لأنه يُنتج النسيمة، والنسيمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة، ولذلك قيل: من قلَّ صدقه قلَّ صديقه. والصدق والكذب يدخلان الماضية، كما أن الوفاء والخلف يدخلان المواعيد المستقبلة؛ فالصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، ولكل واحد منهما دواع، فدواعي الصدق لازمة، ودواعي الكذب عارضة؛ لأن الصدق يدعو إليه عقل موجب، وشرع مؤكد؛ فالكذب يمنع منه العقل، ويصد عنه الشرع؛ ولذلك جاز أن تستفيض الأخبار الصادقة؛ حتى تصير متواترة، ولم يجز أن تستفيض الأخبار الكاذبة؛ لأن اتفاق الناس في الصدق والكذب إنما هو لاتفاق الدواعي؛ فدواعي الصدق يجوز أن يتفق الجميع عليها، حتى إذا نقلوا خبراً، وكانوا عدداً ينتفي عن مثلهم المواطأة، وقع في النفس صدقه، لأن الدواعي إليه نافعة، واتفاق الناس في الدواعي النافعة ممكن، ولا يجوز أن يتفق العدد الكثير الذي لا يمكن مواطأة مثلهم على نقل خبر يكون كذباً؛ لأنَّ الدواعي إليه غير نافعة، وربما كانت ضارة، وليس في جاري العادة أن يتفق الجميع الكثير على دواع غير نافعة؛ ولذلك جاز اتفاق الناس على الصدق؛ لجواز اتفاق دواعيهم، ولم يجز أن يتفقوا على الكذب لامتناع اتفاق دواعيهم...

وقال (ص ٤١٥ - ٤١٧): [دواعي الكذب]: وأما دواعي الكذب: فمنها اجتلاب النفع، واستدفاع الضر؛ فبأن الكذب أسلم وأغنى، فيرخص لنفسه فيه اغتراراً بالخدع، واستشفافاً للطمع، وربما كان الكذب أبعد لما يؤمل، وأقرب لما يخاف، لأن التبيح لا يكون حسناً، والشر لا يصير خيراً، وليس يجنى من الشوك العنب، ولا من الكرم الحنظل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تحرروا الصدق، وإن رأيتم أنَّ فيه الهلكة، فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب، وإن رأيتم أنَّ فيه النجاة، فإن فيه الهلكة». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق - وقلما يضع - أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل. وقال بعض الحكماء: الصدق منحيك وإن خفته،

فاحفظ منه لسانك في الجد والهزل، ولا تعود نفسك الكذب هزلاً (فيُدْعوك إلى الكذب) (١) في الجد، والكذب من أمهات الكبائر.

ثم إنَّك إذا عرفت بذلك سقطت عدالتك، (والثقة بقولك) (٢)، وتزدريك الأعين وتحتقرك، وإذا أردت أن تعرف فبح الكذب من نفسك، فانظر إلى كذب غيرك وإلى نفرة نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه، واستحقابك لما جاء به، وكذلك فافعل في جميع غيرك نفسك، فإنك لا تدري فبح عيوبك من نفسك بل من غيرك، فما استقبحت من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة، فلا ترض لنفسك ذلك.

الثاني: الخلف في الوعد.

فإنَّك أن تعد بشيء ولا تقي به، بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى الناس فعلاً بلا قول. فإن اضطرت إلى الوعد فإنَّك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة، فإن ذلك من أمارات

والكذب مردك وإن أمته. وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان، والصبر والحلم توأسان، فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضادهن سبب كل فرقة، وأصل كل فساد. ومنها: أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذباً، وكلامه مستطرفاً، فلا يجد صدقاً يعذب، ولا حديثاً يستظرف، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائبه معوزة، ولا طرائفه معجزة. وهذا النوع أسوأ حالاً مما قيل؛ لأنه يصدر عن مهانة النفس، ودنائة الهمة. وقد قال الجاحظ: لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده. وقال ابن المقفع: لا تنهون بإرسال الكذبة من الهزل، فإنها تسرع إلى إبطال الحق. ومنها: أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه، فيسمه ويصمه بقبائح يخرعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه، ويرى أن معرفة الكذب غنم، وأن إرسالها في العدو سهم وسم، وهذا أسوأ حالاً من النوعين الأولين؛ لأنه قد جمع بين الكذب المعروف والشر المضر، ولذلك ورد الشرع برّد شهادة العدو على عدوه. ومنها: أن تكون دواعي الكذب قد تراءفت عليه حتى ألفها، فنصار الكذب له عادة، ونفسه إليه متقادة، حتى لو رام مجانبته الكذب عسر عليه؛ لأن العادة طبع ثان. وقد قالت الحكماء: من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه. وقيل في مثور الحكم: لا يلزم الكذب شيء إلا غلب عليه.

(١) - في نسخة: (فيتدعى إلى الجد).

(٢) - في نسخة: (وانتفى قولك).

التَّفَاقُ وَخَبَائِثُ الْأَخْلَاقِ، قَالَ (النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ^(١): «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» ^(٢).

الثَّالِثُ: (الْغِيْبَةُ، فَاحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْهَا) ^(٣)،

وَالْغِيْبَةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثَيْنِ زَنِيَةً فِي الْإِسْلَامِ ^(٤)، كَذَلِكَ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ.

(١) - في نسخة: (عليه الصلاة والسلام).

(٢) - أخرجه أحمد (٥٣٦/٢) رقم (١٠٩٢٥) عن أبي هريرة بلفظ أوله: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم...».

أخرج البخاري (٨٤/١) ومسلم (٥٨) وأبو داود (٤٦٨٨) الترمذي (٢٦٣٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وذكر الهيثمي في المجمع (٤١٨) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعلام المنافقين: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتهمته حانك».

ومن علامات المنافقين ما أخرجه أحمد (٧٩١٣) والبخاري (٨٥) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحبهم لعة، وطعامهم نبهة، وغنيمةهم غلول، لا يقربون المساجد إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا، مستكبرين إلا بالقول، لا يألفون ولا يؤلفون، حشيب بالليل، صخب بالنهار». وقال يزيد: «سحب بالنهار». قال الهيثمي (٤١١): رواه أحمد والبخاري، وفيه: عبد الملك بن قدامة الجمحي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره.

(٣) - في نسخة: (حفظ اللسان من الغيبة).

(٤) - ذكر الهيثمي في المجمع (١٣١٢٨) عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الغيبة أشد من الزنا». فقيل: وكيف؟ قال: «الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عباد بن كثير الثقفي، وهو متروك.

وانظره في علل الحديث لابن أبي حاتم (٢٤٧٤). ومشكاة المصابيح (٤٨٧٤ و ٤٨٧٥) والدر المنثور (٩٧/٦).

وَمَعْنَى الْغِيْبَةِ: أَنْ تَذْكُرَ إِنْسَانًا بِمَا يَكْرَهُهُ ^(١) لَوْ سَمِعَهُ، فَأَنْتَ مُعْتَابٌ طَائِفٌ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، وَإِيَّاكَ وَغِيْبَةُ الْقُرَاءِ الْمُرَائِيْنِ ^(٢)، وَهُوَ أَنْ تُفْهِمَ الْمَقْصُودَ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ فَتَقُولَ: أَصْلَحَهُ اللَّهُ فَقَدْ (سَاءَ نِي) ^(٣) وَغَمَنِي مَا جَرَى عَلَيْهِ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّحَنَا وَإِيَّاهُ، فَإِنْ هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ خَبِيرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْغِيْبَةُ (إِذَا حَصَلَ بِهِ) ^(٤) التَّفْهِيمُ.

وَالْآخَرُ: تَرْكِهُ النَّفْسِ وَالشَّاءَ عَلَيْهَا بِالتَّحْرُجِ وَالصَّلَاحِ.

وَلَكِنْ إِنْ كَانَ مَقْصُودُكَ مِنْ قَوْلِكَ: أَصْلَحَهُ اللَّهُ الدُّعَاءَ، فَادْعُ لَهُ فِي السِّرِّ، وَإِنْ اغْتَمَمْتَ بِسَبِّهِ، فَلَعَلَّامَتُهُ: أَنَّكَ لَا تُرِيدُ فُضِيحَتَهُ وَإِظْهَارَ عَيْبِهِ، وَفِي إِظْهَارِكَ الْغَمِّ بِعَيْبِهِ إِظْهَارُ نَعِيْبِهِ.

وَيَكُونُكَ زَاجِرًا عَنِ الْغِيْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، فَقَدْ شَبَّهَكَ اللَّهُ بِأَكْلِ لَحْمِ الْمَيْتَةِ، فَمَا أَجْدَرُكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِنْهَا.

وَيَمْنَعُكَ عَنِ غِيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ لَوْ تَفَكَّرْتَ فِيهِ، وَهُوَ: أَنْ تَنْظُرَ فِي نَفْسِكَ هَلْ فِيكَ عَيْبٌ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ، وَهَلْ أَنْتَ مُقَارِفٌ مَعْصِيَةٌ سِرًّا أَوْ جَهْرًا؟.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ عَجْزَهُ عَنِ التَّنَزُّهِ عَمَّا نَسَبَتْهُ إِلَيْهِ كَعَجْزِكَ، وَعُذْرُهُ كَعُذْرِكَ ^(٥)، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ تُفْتَضَحَ وَتُذَكَّرَ عَيْبُكَ، فَهُوَ أَيْضًا يَكْرَهُهُ، فَإِنْ سَرَتْهُ

(١) - أخرجه أبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً: «أندرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكر أحدكم أخاه بما يكره، فقال رجل: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». [والبهت: الكذب والافتراء على الإنسان].

(٢) - وهو أخص أنواع الغيبة.

(٣) - في نسخة: (سأءاني).

(٤) - في نسخة: (إذ بها حصل).

سَرَّ اللهُ عَلَيْكَ عِيُوبَكَ، وَإِنْ فَضَحْتَهُ سَلَطَ اللهُ عَلَيْكَ أَلْسِنَةً جَدَّادًا^(١) يَمَزُقُ عِرْضَكَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَفْضَحُكَ اللهُ فِي الآخِرَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَأِنْ نَظَرْتَ إِلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ فَلَمْ تَطْلُعْ (فِيهِمَا)^(٢) عَلَى عَيْبٍ (و)^(٣) نَقَصٍ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، فَاعْلَمْ: أَنَّ جَهْلَكَ بِعِيُوبِ نَفْسِكَ أَفْبَحُ أَنْوَاعِ الْحِمَاقَةِ، وَلَا عَيْبَ أَعْظَمُ مِنَ الْحُمَقِ، وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِكَ خَيْرًا لَبَصَّرَكَ بِعِيُوبِ نَفْسِكَ، فَرَوَيْتُكَ نَفْسَكَ بِعَيْنِ الرِّضَا غَايَةَ غَابَوْتِ وَجْهْلِكَ، ثُمَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي ظَنِّكَ فَاشْكُرِ اللهَ تَعَالَى عَلَيْهِ وَلَا تُفْسِدْهُ بِتَلْسِيبِ النَّاسِ وَالتَّمْضِمْضِ (بِأَعْرَاضِهِمْ)^(٤)، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْعِيُوبِ^(٥).

الرَّابِعُ: الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ وَمُنَاقَشَةُ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ.

فَذَلِكَ فِيهِ إِذْدَاءٌ لِلْمُخَاطَبِ وَتَجْهِيلٌ لَهُ وَطَعْنٌ فِيهِ، وَفِيهِ نَاءٌ عَلَى النَّفْسِ وَتَرْكِيَّةٌ لَهُمَا بِمَزِيدِ الْفُطْنَةِ وَالْعِلْمِ، ثُمَّ هُوَ مُشَوِّشٌ لِلْعَيْشِ، فَإِنَّكَ لَا تُمَارِي سَفِيهًا إِلَّا وَيُؤْذِينِكَ، وَلَا تُمَارِي حَلِيمًا إِلَّا وَيَقْلِيلُكَ وَيَحْجِدُ عَلَيْكَ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَ

(٥) - أي: كثرة عيوبك وذنوبك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

(١) - قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُحِبَ الْحُوفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

(٢) - في نسخة: (فيها).

(٣) - في نسخة: (أو).

(٤) - في نسخة: (في أعراضهم).

(٥) - قال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم والغيبة وذكر الناس فإنه داء. واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم أن تحدث غيبك بمعاوية إنسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به. قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]. (مراقي العبودية ص ٦٢).

الْمِرَاءُ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي رِضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ^(١).

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْدَعَكَ الشَّيْطَانُ وَيَقُولَ لَكَ: أَظْهَرَ الْحَقِّ وَلَا تَدَاوُ فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَبَدًا يَسْتَحِرُّ الْحَقَّ إِلَى الشَّرِّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ، فَلَا تَكُنْ ضَحْكَةً^(٢) لِلشَّيْطَانِ فَيَسْخَرُ بِكَ، فَإِظْهَارُ الْحَقِّ حَسَنٌ مَعَ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْكَ، وَذَلِكَ بِطَرِيقِ النَّصِيحَةِ فِي الْخُفْيَةِ لَا بِطَرِيقِ الْمُمَارَةِ.

وَاللَّنَّصِيحَةُ: صِفَةٌ وَحْيَةٌ، وَيُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى تَلَطُّفٍ، وَإِلَّا صَارَتْ فَضِيحَةً، (وَكَانَ)^(٣) نَسَادَهَا أَكْثَرُ مِنْ صَلَاحِهَا، وَمَنْ خَالَطَ مُتَفَقِّهَ الْعَصْرِ غَلِبَ عَلَى طَبِيعِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، وَعَسُرَ عَلَيْهِ الصَّمْتُ، إِذَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ عِلْمَاءُ السُّوءِ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمُحَاجَّةِ وَالْمُنَاقَشَةِ هُوَ الَّذِي يُتَمَدَّحُ بِهِ، فَمَرِّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ. وَاعْلَمْ: أَنَّ الْمِرَاءَ سَبَبُ الْمَقْتِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الْخَلْقِ. الْخَامِسُ: تَرْكِيَّةُ النَّفْسِ^(٤).

(فَقَدْ)^(٥) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ^(٦): مَا الصَّدَقُ الْقَبِيحُ؟ فَقَالَ: نَاءُ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ.

(١) - أخرجه الترمذي (١٩٩٤) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «من ترك الكذب وهو باطل بني له في رضى الجنة، ومن ترك المراء وهو حق، بني له في وسطها، ومن حسن خلقه، بني له في أعلاها». واللفظ القريب المذكور في جامع الأصول (١٢٥٧/٢).

وأخرجه أبو داود (٤٨٠٠) بإسناد حسن عن أبي أمامة، بلفظ: «أنا زعيم بيت في رضى الجنة لمن ترك المراء، وإن كان حقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

(٢) - قال في مراقي العبودية: أي: كثير الضحك.

(٣) - في نسخة: (وصار).

(٤) - أي: مدحها بالطهارة عن الدناءة.

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ ذَلِكَ، وَاعْلَمْ: أَنَّ ذَلِكَ يُنْقِصُ مِنْ قُدْرِكَ عِنْدَ النَّاسِ، وَيُوجِبُ مَقْتِكَ عِنْدَ اللَّهِ (تَعَالَى) ^(١)، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثَأَنَكَ عَلَى نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ فِي قُدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ فَانْظُرْ إِلَى أَفْرَانِكَ ^(٢) إِذَا أَثَرَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْفَضْلِ وَالْحَيَاءِ وَالْمَالِ، (كَيْفَ) ^(٣) يَسْتَكْرِهُ قَلْبُكَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَقْبِلُهُ طَبْعُكَ، وَكَيْفَ تَذْمُهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ؟ فَاعْلَمْ: أَنَّهُمْ أَيْضاً فِي حَالِ تَرْكِكَ لِنَفْسِكَ يَذْمُونَكَ فِي قُلُوبِهِمْ نَاجِزاً وَسَيُظْهِرُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ إِذَا فَارَقْتَهُمْ.

السَّادِسُ: اللُّغْنُ.

فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ إِنْسَانٍ بَعِيْهِ. وَلَا تَقْطَعْ بِشَهَادَتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ بِشِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ بِنَاقٍ، فَإِنَّ الْمُطْلَعِ عَلَى السِّرِّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَدْخُلَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَاعْلَمْ: أَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُقَالُ لَكَ: لِمَ لَمْ تَلْعَنْ فُلَاناً وَلِمَ سَكَتَ عَنْهُ، بَلْ لَوْ لَمْ تَلْعَنْ إِبْلِيسَ طَوَّلَ عُمْرِكَ وَلَمْ تَتَعَلَّ لِسَانُكَ بِذِكْرِهِ لَمْ تُسْأَلْ عَنْهُ وَلَمْ تُطَالَبْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا لَعَنْتَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى طَوْبُتَ (بِهِ وَسُئِلْتَ عَنْهُ) ^(٤)، وَلَا تَذْمَنْ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَذْمُ الطَّعَامَ الرَّدِيءَ قَطُّ، بَلْ كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئاً أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ.

السَّابِعُ: الدُّعَاءُ عَلَى الْخَلْقِ.

(فَاحْفَظْ) ^(١) لِسَانَكَ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَكَيْلُ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَصِيَ الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِهِ حَتَّى يُكَافِيَهُ، ثُمَّ يَنْقِي» ^(٢) لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ يُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٣).

وَصَوَّلَ بَعْضُ النَّاسِ لِسَانَهُ عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ بَعْضُ نُسَفَرٍ ^(٤): إِنَّ اللَّهَ (يَنْتَقِمُ) ^(٥) لِحَجَّاجٍ مِمَّنْ (تَعَرَّضَ) ^(٦) لَهُ بِلِسَانِهِ. كَمَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ.

الثَّامِنُ: الْمَزَاحُ وَالسُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالنَّاسِ.

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي الْحِدِّ وَالْهَزْلِ، فَإِنَّهُ يَرِيْقُ مَاءَ الْوَجْهِ وَيَسْقُطُ الْمَهَابَةُ وَيَسْتَنْجِرُ الْوُحْشَةَ وَيُوْذِي الْقَلْبَ، وَهُوَ مَبْدَأُ الْحَجَّاجِ وَالْعُصْبِ وَالْتِصَّارِ، وَيَغْرِسُ الْحِقْدَ فِي الْقُلُوبِ، فَلَا تُمَازِحْ أَحَدًا، (فَإِنَّ) ^(٧) مَا زَحَوْتَ فَلَا (تُجِبُهُمْ) ^(٨)، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ^(٩)، وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ إِذَا مَرُّوا بِاللُّغْرِ مَرُّوا كِرَامًا ^(١٠).

(١) - في نسخة: (احفظ).

(٢) - في نسخة: (يكون).

(٣) - انظره في المغني عن حمل الأسفار: (١٢٢/٣) وقال: لم أقف له على أصل. وإتحاف السادة المتقين: (٤٩٣/٧). والفوائد المجموعة: (٢١١). وتذكرة الموضوعات: (١٨٤).

وأخرج الترمذي (٣٥٥٢) عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا على من ظالمه فقد انتصر».

(٤) - الصالح وهو الإمام محمد بن سيرين إمام المعبرين نهياً عن تطويل الكلام على الحجاج. (مراقي العبودية ص ٦٤).

(٥) - في نسخة: (ينتقم).

(٦) - في نسخة: (يتعرض).

(٧) - في نسخة: (وإن).

(٨) - في نسخة: (تجبه).

(٩) - لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]. وقوله: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٦) - أي: الواضعين الشيء في محله.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - أي: الذين هم أهل زمان واحد.

(٣) - في نسخة: (وكيف).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

فَهَذِهِ مَجَامِعُ آفَاتِ اللِّسَانِ.

وَلَا يُعْنِكُ عَلَيْهِ إِلَّا الْعُزْلَةُ^(١) (أَوْ)^(٢) مُلَارَمَةُ أَنْصَمَتْ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ. فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ النَّصْدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ (تَعَالَى)^(٣) عَنْهُ يَضَعُ حَجَرًا فِي فِيهِ لِيَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْكَلَامٍ بَعِيرِ ضَرُورَةٍ، وَيُشِيرُ إِلَى لِسَانِهِ وَيَقُولُ: هَذَا الَّذِي أَوْزَدَنِي الْمَوَارِدَ كُلَّهَا^(٤)، فَاحْتَرَزَ مِنْهُ (بِخَيْرِهِ)^(٥)، فَإِنَّهُ أَقْوَى سَبَابِ هَلَاكِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَمَّا الْبَطْنُ: فَاحْفَظْهُ مِنْ تَنَاوُلِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاحْرِصْ عَلَى طَنْبِ الْحَلَالِ، فَإِذَا وَجَدْتَهُ فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ تَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى مَا دُونَ الشُّبْهِ، فَإِنَّ الشُّبْهَ يُغْسِي الْقَلْبَ وَيُفْسِدُ الذِّهْنَ، وَيُعْطِلُ الْحِفْظَ، وَيَقْلِلُ الْأَعْضَاءَ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ، وَيَقْوِي الشَّهَوَاتِ، وَيَنْصُرُ جُنُودَ الشَّيْطَانِ.

وَالشُّبْهُ مِنَ الْحَلَالِ مَبْدَأُ كُلِّ شَرٍّ^(٦)، فَكَيْفَ مِنَ الْحَرَامِ؟

(١٠) - نقولنه تعالی: ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ الفرقان: [٧٢].
ومتشألاً بقوله: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ القصص: [٥٥].

(١١) - فقد جاء في العزلة: ما أخرجه الطبراني في الصغير (٣٢١) عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مَوْنَةٍ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا». قال الميمني في مجمع الزوائد (١٨١٨٩): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل، وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يغرب ويخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) - في نسخة: (و).

(٣) - ما بين: () نقص من المطبوع.

(٤) - أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣/١).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - أخرج أحمد (١٣٢/٤) الترمذي (٢٣٨٠) والنسائي في الكبرى: (٨٨). عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتِهِ يَمْنُ شُبْهِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتَلْت لُطْعَامِهِ، وَتَلْت لَشْرَابِهِ، وَتَلْت لِنَفْسِهِ».

وَطَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَالْعِبَادَةُ وَالْعِلْمُ مَعَ أَكْلِ الْحَرَامِ كَالْبِنَاءِ عَلَى السَّرْجَنِ، فَإِذَا قَبِعَتْ فِي النَّسَقَةِ بِقَمِيصٍ خَشِنٍ، وَفِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلِ بِرَغِيْفَيْنِ مِنَ الْخُشْكَارِ^(١)، وَتَرَكْتَ التَّلَذُّدَ بِأَطْيَبِ الْأَدْمِ، لَمْ يُعَوِّزَكَ مِنَ الْحَلَالِ مَا يَكْفِيكَ وَالْحَلَالُ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بَوَاطِنَ الْأُمُورِ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَزَّ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ، أَوْ تَظُنَّ أَنَّهُ حَرَامٌ، ظَنًّا حَصَلَ مِنْ عَلَامَةٍ نَاجِزَةٍ، (مَقْرُونَةٌ بِالْمَالِ)^(٢).

أَمَّا الْمَعْلُومُ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا الْمَظْنُونُ بِعَلَامَةٍ، فَهُوَ مَالُ السُّلْطَانِ وَعَمَّالُهُ، وَمَالُ مَنْ لَا كَسْبَ لَهُ إِلَّا مِنَ التَّيَاحَةِ أَوْ بَيْعِ الْخَمْرِ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَزَامِيرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَتِّ اللَّهْوِ الْمُحَرَّمَةِ، (فَإِنَّ)^(٣) مَنْ عَلِمَتْ أَنَّ أَكْثَرَ مَالِهِ حَرَامٌ قَطْعًا فَمَا تَأْخُذْهُ مِنْ يَدِهِ، وَإِنْ أُمُكَّنَ أَنْ يَكُونَ حَلَالًا نَادِرًا فَهُوَ حَرَامٌ، لِأَنَّهُ الْغَالِبُ عَلَى الظَّنِّ^(٤).

وَمِنْ الْحَرَامِ الْمَحْضِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْأَوْقَافِ مِنْ غَيْرِ شَرْطِ الْوَأَقْفِ، فَمَنْ لَمْ يَشْتَعِلْ بِالتَّفَقُّهِ، فَمَا يَأْخُذْهُ مِنَ الْمَدَارِسِ حَرَامٌ، وَمَنْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً تَرُدُّ بِهَا شَهَادَتُهُ، فَمَا يَأْخُذْهُ بِاسْمِ الصُّوْفِيَّةِ مِنْ وَفْوٍ أَوْ غَيْرِهِ حَرَامٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَذَاحِلَ الشُّبْهَاتِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي كِتَابِ مُفْرَدٍ مِنْ كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ^(٥)، فَعَلَيْكَ بِطَلَبِهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْحَلَالِ وَطَلَبَهُ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ كَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ.

(١) - أي: الخبز الأسمر.

(٢) - في نسخة: (مقدرة بالمثال).

(٣) - في نسخة: (حتى).

(٤) - قال في مراقبي العبودية (ص ٦٧): قال الشيرعيني في الفتوحات الوهية نقلاً عن مختصر إحياء علوم الدين: ومن جملة التشابه أن يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة ولكن قضى منه من مال حرام لا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالإجماع ولا يتقلب بأداء المال في مقابلته من الحرام حراماً بل غايته أنه لا ترواً ذمته فكأنه لم يقض الثمن فلا يحرم ما أكله.

(٥) - (٨٨/٢) فراجع ههناك.

وَمَا الْفَرْجُ: فَاحْفَظْهُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَبَيْنَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٦].

وَلَا تَصِلْ إِلَى جِفْظِ الْفَرْجِ إِلَّا بِحِفْظِ الْعَيْنِ عَنِ النَّظَرِ، وَحِفْظِ الْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ، وَحِفْظِ الْبَطْنِ عَنِ الشُّبْهَةِ، وَعَنِ الشَّعْبِ، فَإِنَّ هَذِهِ مُحَرَّكَاتٌ لِلشَّهْوَةِ وَمَغَارِسُهَا.

وَأَمَّا الْيَدَيْنِ: فَاحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِهِمَا سُيْلِمَا، (أَوْ) تَتَنَاوَلَ بِهِمَا مَالًا حَرَامًا، أَوْ تُؤْذِي بِهِمَا أَحَدًا مِنْ الْخَلْقِ، أَوْ تَحُونَ بِهِمَا أَمَانَةً أَوْ وَدِيعَةً، أَوْ تَكْتُبَ بِهِمَا مَالًا يَجُوزُ النُّطْقُ بِهِ، فَإِنَّ الْقَلَمَ أَحَدُ اللَّسَانَيْنِ، فَاحْفَظْ الْقَلَمَ عَمَّا يَجِبُ حِفْظُ اللَّسَانِ عَنْهُ.

وَأَمَّا الرُّجُلَانِ: فَاحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى حَرَامٍ، أَوْ تَسْعَى بِهِمَا إِلَى بَابِ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، فَالْمَشْيُ إِلَى السَّلَاطِينِ الظُّلْمَةِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَإِرْهَاقِ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ، فَإِنَّهُ تَوَاضَعُ لَهُمْ، وَإِكْرَامُ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنِمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] الآية، (وَهُوَ تَكْثِيرٌ لِسَوَادِهِمْ) (٢).

وَأِنْ كَانَ ذَلِكَ لِسَبَبٍ طَلَبَ مَالِهِمْ فَهُوَ سَعْيٌ إِلَى (حَرَامٍ) (٣)، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِعَفِيٍّ صَالِحٍ لِعَفَاةٍ ذَهَبَ ثَلَاثًا دِينِيهِ» (٤). (وَهَذَا) (٥) فِي غِنْيٍ صَالِحٍ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْغِنْيِ الظَّالِمِ؟

(١) - فِي نَسْخَةِ: (و).

(٢) - مَا يَبِينُ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسْخَةِ.

(٣) - فِي نَسْخَةِ: (الْحَرَامِ).

(٤) - قَالَ الْعَجْلُونِي فِي كَشْفِ الْخَفَاءِ (٢٤٤٤): رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ قَوْلِهِ بِلَفْظٍ: «مَنْ خَضَعَ لِعَفِيٍّ وَرَضَعَ لَهُ نَفْسَهُ إِعْظَامًا لَهُ وَطِعْمًا فِيمَا قَبْلَهُ ذَهَبَ ثَلَاثًا مَرَّةً وَشَطْرَ دِينِهِ».

وَانْظُرِ الْحَدِيثَ فِي الْحَلِيَّةِ (٢٣/٨) وَالْمَقَاصِدَ الْحَسَنَةَ (١١٠٢) وَخُتَصِرَ الْمَقَاصِدُ الْحَسَنَةُ: (١٠١٣) وَتَمَيِّزُ الطَّيِّبِ مِنَ الْخَبِيثِ (١٣٧٠). وَأَسْنَى الْمَطَالِبِ (١٣٧٩).

(٥) - فِي نَسْخَةِ: (هَذَا).

وَعَلَى الْجُمْلَةِ: فَحَرِّكَاتُكَ وَسَكَنَاتُكَ بِأَعْضَائِكَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، فَلَا تُحَرِّكْ شَيْئًا مِنْهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَصْلًا، وَاسْتَعْمِلْهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَعْلَمُ: أَنَّكَ إِنْ قَصَّرْتَ فَعَلَيْكَ (رَبَّاهُ) (١)، وَإِنْ شَمَرْتَ فَلَيْلِكَ (تَعَوُّدُ) (٢) (تَمَرُّنُهُ) (٣).

وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ عَمَلِكَ، وَإِنَّمَا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

وَأَيُّكَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِلْعَصَاةِ، فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدُ

بِهَا بَاطِلٌ، وَصَاحِبُهَا مُلَقَّبٌ بِالْحَمَاقَةِ يَتَلَقَّبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ:

«الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى

عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي» (٤).

وَأَعْلَمُ: أَنَّ (قَوْلَكَ هَذَا يُضَاهِي قَوْلَ) (٥) مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ فَقِيهًا فِي عُلُومِ الدِّينِ (مِنْ

غَيْرِ أَنْ يَدْرُسَ عِلْمًا) (٦) وَاشْتَغَلَ بِالْبَاطِلِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُفَيِّضَ

عَلَى قَلْبِي مِنَ الْعُلُومِ مَا أَقَاضَهُ عَلَى قُلُوبِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ مِنْ غَيْرِ جُهْدٍ وَتَكَرُّارٍ

(وَتَعْلِقُ) (٧)، وَهُوَ كَقَوْلِ مَنْ يُرِيدُ مَالًا (فَيَتْرَكَ) (٨) الْجِرَانَةَ وَالتَّجَارَةَ (وَالْكَسْبَ) (٩)

(وَيَتَعَطَّلُ) (١٠) وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى

(١) - فِي نَسْخَةِ: (يُوجِعُ وَبَالَهُ).

(٢) - فِي نَسْخَةِ: (تَرْجِعُ).

(٣) - فِي نَسْخَةِ: (غَمَرَتْهُ) وَفِي نَسْخَةِ: (تَمَرَّنَتْ). وَمَعْنَاهُ: أَيُّ: فَائِدَةٌ تَشْمِيرُكَ.

(٤) - أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢٤/٤) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٥٩) وَابْنُ مَاجَةَ (٤٢٦٠) عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ

نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي».

(٥) - فِي نَسْخَةِ: (قَوْلِ).

(٦) - مَا يَبِينُ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسْخَةِ.

(٧) - فِي نَسْخَةِ: (أَوْ تَعْلِقُ).

(٨) - فِي نَسْخَةِ: (فَتْرَكَ).

(٩) - فِي نَسْخَةِ: (وَالْمَكْسَبِ).

(١٠) - فِي نَسْخَةِ: (وَتَعَطَّلُ).

أَنْ يُطْلَعَنِي عَلَى كَثْرٍ مِنَ الْكُذْرِ أَسْتَفْنِي بِهِ عَنِ الْكَسْبِ، فَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِبَعْضِ عِبَادِهِ، فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ كَلَامَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اسْتَحَقَّتْهُمَا وَسْجَرَتْ مِنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ مَا وَصَفَاهُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ صِدْقًا وَحَقًّا، فَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عَلَيْكَ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ فِي الدُّنْيَا إِذَا طُلِبَتِ الْمَغْفِرَةُ بِغَيْرِ سَعْيٍ لَهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(١)، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣ - ١٤].

فَإِذَا لَمْ تَتْرُكِ السَّعْيَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَالِ اعْتِمَادًا عَلَى كَرَمِهِ، فَكَذَلِكَ لَا تَتْرُكِ التَّزَوُّدَ لِلْآخِرَةِ، وَلَا تَفْتَرِ^(٢) فَإِنَّ رَبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحِدٌ، وَهُوَ فِيهِمَا كَرِيمٌ رَحِيمٌ، (وَلَيْسَ)^(٣) يَزِيدُ لَهُ كَرَمٌ بِطَاعَتِكَ، وَإِنَّمَا كَرَمُهُ فِي أَنْ يُيسِّرَ لَكَ طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَى الْمُلْكِ الْمُقِيمِ (وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ)^(٤) الْمُخَلَّدِ، بِالصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ أَيَّامًا فَلَآئِلَ، وَهَذَا نِهَآيَةُ الْكَرَمِ. فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِتَهْوِينِ سَاوَاتِ الْبَطَالِينِ، (وَأَقْتَصِدِ)^(٥) بِأَوْلِي الْعِزِّمِ وَالنَّهْيِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَصْلَاحِينَ، وَلَا تَطْمَعْ أَنْ تَحْصِدَ مَا لَمْ تَزْرَعْ، وَكَيْتَ مَنْ (صَلَّى وَصَامَ)^(٦) وَجَاهَدَ وَاتَّقَى غُفْرَ لَهُ.

فَهَذِهِ جُمْلُ (مِمَّا)^(٧) يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ عَنْهُ حَوَارِحَ الظَّاهِرَةِ، وَأَعْمَالَ هَذِهِ الْجَوَارِحِ إِنَّمَا تَتَرَشَّعُ مِنْ صِفَاتِ الْقَلْبِ، فَإِنْ أَرَدْتَ حِفْظَ الْجَوَارِحِ فَعَلَيْكَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ، (وَهُوَ تَقْوَى)^(٨) الْبَاطِنِ^(٩)، وَالْقَلْبُ هُوَ الْمُضْغَةُ الَّتِي إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ (بِهَا سَائِرُ)^(١٠) الْجَسَدِ

(وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ بِهَا سَائِرُ الْجَسَدِ)^(١١)، فَاسْتَعْمِلْ (بِإِصْلَاحِهِ)^(١٢) لَتُصْلِحَ بِهِ جَوَارِحَكَ. (وَصَلَاحُهُ يَكُونُ بِمِلَازِمَةِ الْمُرَاقَبَةِ)^(١٣).

الْقَوْلُ فِي مَعَاصِي الْقُلُوبِ

اعْلَمْ: أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ فِي الْقَلْبِ كَثِيرَةٌ، (وَطَرِيقُ تَطْهِيرِ)^(١٤) الْقَلْبِ مِنْ رَذَائِلِهَا (طَوِيلٌ، وَسَبِيلُ)^(١٥) الْعِلَاجِ فِيهَا غَامِضٌ، وَقَدْ أُنْذِرُ بِالْكَلْبَةِ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لِعَقْلَةِ الْخَلْقِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَاشْتَغَالِهِمْ بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا، وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِ إَحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ فِي رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ وَرُبْعِ الْمُنْجِيَاتِ، وَلَكِنَّا نَحْذَرُكَ الْآنَ تَلَاتًا مِنْ خَبَائِثِ الْقَلْبِ: هِيَ الْغَالِيَةُ عَلَى مَتَفَقَّهِ الْعَصْرِ، لِتَأْخُذَ مِنْهَا حَذْرَكَ، فَإِنَّهَا مُهْلِكَاتٌ فِي أَنْفُسِهَا، وَهِيَ أُمّهَاتٌ لِجُمْلَةِ مِنَ الْخَبَائِثِ سِوَاهَا، وَهِيَ: الْحَسَدُ، وَالرِّيَاءُ، وَالْعُجْبُ. فَاجْتَهِدْ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِكَ مِنْهَا، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهَا فَتَعَلَّمْ كَيْفِيَّةَ الْحَذَرِ مِنْ بَقِيَّتِهَا مِنْ رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ.

(٩) - قال أحمد بن حنبل: القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح. (مراقي العبودية ص ٦٩).

(١٠) - ما بين: () نقص من المطبوع.

(١١) - في نسخة: (كله). يشير المصنف إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن أحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهاة... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». أخرجه البخاري (٥٢ و ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وأبو داود (٣٣٢٩ و ٣٣٣٠). وابن ماجه (٣٩٨٤). عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(١٢) - في نسخة: (بصلاحه).

(١٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١٤) - في نسخة: (وتطهير).

(١٥) - في نسخة: (طويل، وسبب).

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - أي: لا تلن في العمل بعد شدتك.

(٣) - في نسخة: (ليس).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (واقضاء).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - في نسخة: (ما).

(٨) - في نسخة: (فهو التقوى).

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ هَذَا فَأَنْتَ عَنْ غَيْرِهِ أَعْجَزُ، وَلَا تَطْنُنْ أَنَّكَ تَسْلُمُ بِنَيْتِ صَالِحَةٍ فِي تَعَلُّمِ
الْعِلْمِ وَفِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«ثَلَاثٌ مَهْلِكَاتٌ: شَحٌّ مَطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبِعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(١).

أَمَّا الْحَسَدُ^(٢):

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٤٢٤ - ٤٣٢): في ذم الحسد، اعلم أن
الحسد خلقٌ ذميمٌ، مع إضراره بالبدن؛ وإفساده للدين؛ حتى لقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شره،
فقال تعالى: ﴿وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. وناهيك بحال ذلك شرًّا. وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال: «دب إليكم داءُ الأممِ قبلكم: البغضاء والحسد، هي الحائقة؛ حائقةُ الدين، لا
حائقةُ الشعر، والذي نفس محمد بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمرٍ إذا فعلتموه تحابتُم؟ أفشوا
السلام بينكم». فأعير صلى الله عليه وسلم بحال الحسد، وأن التحابب ينفيه، وأن السلام يبعث على
التحابب، فصار السلام إذن نافيًا للحسد، وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول. وقال الله
تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. حكى
مجاهد أنَّ معناه: ادفع بالسلام إساءةَ المُسيء... وقال بعض السلف: الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في
السماء، يعني حسد إبليس لآدم عليه السلام، وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم
لأخيه حتى قتله. وقال بعض الحكماء: من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحدٌ، ومن قنع بعبادته لم
يدخله حسد. وقال بعض البلغاء: الناس حاسدٌ ومحسودٌ، ولكل نعمة حسود. وقال بعض الأدباء: ما
رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحسود؛ نفس دائم، وهمٌ لازم، وقلب هائم... ولو لم يكن من ذم الحسد
إلا أنه خلقٌ ذميٌّ، يترجعه نحو الأكفاء والأقارب، ويختص بالمخالط والمصاحب، لكانت الزهادة عنه
كرمًا، والسلامة منه مغنمًا، فكيف وهو بالنفس مُضِرٌّ، وعلى الهم مُضِرٌّ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى
التلف، من غير نكاية في عدوٍّ، ولا إضرار بمحسود. وقد قال معاوية رضي الله عنه: ليس في حصال
الشر أعدل من الحسد، يقتلُ الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد
أنه يغنم في وقت سرورك. وقيل في مثور الحكم: عقوبة الحاسد من نفسه. وقال الأصمعي: قلت
لأعرابي: ما أطول عُمرِكَ؟ قال: تركت الحسد فبقيت. وقال رجلٌ لشريع القاضي: إني لأحسدُكَ على
ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامض الحكم. فقال: ما نفعك الله بذلك ولا ضرني.
وقال عبد الله بن المعتز:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكلُ بعضها إن لم تجد ما تأكله

وحقيقة الحسد: شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل، وهو غير المنافسة، وربما غلط قومٌ
فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما ظنوا؛ لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من
غير إدخال ضررٍ عليهم؛ والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأن غايته أن يعدم الفاضل فضله، من غير أن

(١) - ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٣) عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «ثلاثٌ مهلكات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، فأما المهلكات: فَشَحٌّ
مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبِعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في
الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ
الوضوء في السُّرَات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام،
والصلاة بالليل بالناس نيام». قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: ابن هبة ومن لا يعرف.

وذكر الهيثمي في المجمع (٣١٤) عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ثلاثٌ
كفارات، وثلاثٌ درجات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلكات، فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في
السُّرَات... وَأما المهلكات: فَشَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبِعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ». قال: رواه البزار
والطبراني في الأوسط ببعضه وقال: «إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخِيَلَاءِ»، وفيه: زائدة بن أبي الرقاد وزباد
الشميري وكلاهما مختلف في الاحتجاج به.

وذكر الهيثمي في المجمع (٣١٥) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«المهلكات ثلاث: إعجاب المرء بنفسه، وشحٌّ مطاعٌ، وهوى متبع». وانظره في الحلية (٢١٩/٣).

يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد، فالمنافسة إذن فضيلة لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل، والافتداء بالأخيار الأفاضل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن يغبض، والمنافق يحسد»....

واعلم أن دواعي الحسد ثلاثة: أحدها: بُغْضُ المحسود، فيأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير حسداً قد حاصر بغضاً، وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرها؛ لأنه ليس يغبض كل الناس. والثاني: أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد، فيكره تقدمه فيه، واحتصاصه به، فيثير ذلك حسداً تولاه لكف عنه، وهذا أوسطها، لأنه لا يحسد الأكفء ومن دنا، وإنما يختص بحسد من علا. وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة، ولكنها مع عجز، فلذلك صارت حسداً. والثالث: أن يكون في الحاسد شح بالفضائل، ويخل بالنعم، وليست إليه فيمنع منها، ولا يبيده فيدفع عنها، لأنها مواهب قد منحها الله من شاء، فيمسخط على الله عز وجل في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر، ومنه عليه أظهر. وهذا النوع من الحسد أعمها وأحبها؛ إذ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاء غاية؛ فإن اقترن بشر وقدرة، كان بوراً وانتقاماً، وإن صادف عجزاً ومهانة كان جهداً وسقاماً. وقال عبد الحميد: المحسود من الغم كساقى السم، فإذا سرى سمه، زال عنه همه.

واعلم أنه بحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه، يكون حسداً للناس له؛ فإن كثر فضله كثر حساده، وإن قل قلوا؛ لأن ظهور الفضل يثير الحسد، وحدث النعمة يضاعف الكمد، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استعينوا على قضاء الحوائج بسترها، فإن كل ذي نعمة محسود». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما كانت لله على أحد نعمة إلا وجد لها حاسداً. ولو كان الرجل أقوم من القذح لما عدم غامراً. وقد قال الشاعر:

إن يحسودني فإني غير لاهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يحسد

وربما كان الحسد منبهاً على فضل المحسود ونقص المحسود، كما قال أبو تمام الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العود

لولا التخوف للنواقب لم يزل للحاسد النعمى على المحسود

[دواء الحسد]: فأما ما يستعمله من كان غالباً عليه الحسد، وكان طبعه إليه مائلاً، ليتنفي عنه ويكفاه، ويسلم من ضرره وعدواه، فأمره في له حسم، إن صادفها عزم. منها: اتباع الدين في اجتنابه، والرجوع إلى الله عز وجل في نده وآدابه، فيقهر نفسه على مذموم خلقها، وينقلها عن لثيم طبعها.

وإن كان نقل الطباع عسيراً، لكن بالرياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب، ويحب منها ما أتعب، وإن تقدم قول القائل: من ربه خلقه كيف يخلي خلقه! غير أنه إذا عانى تهذيب نفسه، تظاهر بالتخلق دون الخلق، ثم بالعادة يصير كالخلق. قال أبو تمام الطائي:

فلم أجِدِ الأخلاق إلا تخلفاً ولم أجِدِ الإفضال إلا تفضلاً

ومنها: العقل الذي يستفح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه، ويستنكف من هجته مساويه، فيذل نفسه أنفة، ويقهرها حمية؛ فتدفع لرشدتها؛ وتغيب إلى صلاحها. وهذا إذا يصح لذوي النفس الأبية، والهمة العلية وإن كان ذو الهمة يجل عن دناءة الحسد. وقد قال الشاعر:

أبي له نفسان: نفس زكية ونفس إذا ما خافت الظلم تشمس

ومنها: أن يستدفع ضرره، ويتوقى أثره، ويعلم أن مكانته في نفسه أبلغ، ومن الحمد أبعد؛ فيستعمل الحزم في دفع ما كدّه وأكمدّه؛ ليكون أطيّب نفساً، وأهنأ عيشاً. وقد قيل: العجب لفطنة الحساد، عن سلامة الأجساد؛ وقد قال الشاعر:

بصير بأعقاب الأمور كأنما يرى بصوب الرأي ما هو واقع

ومنها: ما يرى من نفور الناس عنه، وبعدهم منه، فيخافهم؛ إما على نفسه من عداوة، أو على عرضه من ملامة، فيتألفهم بمعالجة نفسه، ويبراهم إن صلحوا أجدى نفعاً، وأخلص دواً. وقال ابن العميد:

داوي جوى بجوى وليس بخازم من يستكف النار بالخلفاء

ومنها: أن يساعد القضاء، ويستسلم للمقدور؛ ولا يرى أن يغالب قضاء الله، فيرجع مغلوباً، ولا أن يعارضه في أمره، فيرد محروماً مسلوباً ومخزواً. وقد قال أردشير بن بابك: إذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه. وقال محمود الوراق:

قدّر الله كائن حين يُقضى وروده

قد مضى فيك علمه وانتهى ما يريده

وأخو الحزم حزمه ليس مما يزيده

فأرد ما يكون إن لم يكن ما تريده

فإن أظفرت السعادة بأحد هذه الأسباب، وهدته المرائد إلى استعمال الصواب، سلم من سقامه، وخلص من غرامه، واستبدل بالنقص فضلاً، واعتاض من الذم حمداً، ولمن استنزل نفسه عن مذمة، وصرفها عن لائمة، هو أظهر حزماً، وأقوى عزماً، ممن كفته النفس جهادها، وأعطته قيادها؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حياركم كل مفتن تواب. -

فَهُوَ مُتَضَعَّبٌ مِنَ الشَّحِّ، فَإِنَّ الْبَخِيلَ هُوَ الَّذِي يَبْخُلُ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَى غَيْرِهِ.
وَالشَّحِيحُ: هُوَ الَّذِي يَبْخُلُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ (تعالى) (١) - وَهِيَ فِي خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ (تعالى) (٢) لَا
فِي خَزَائِنِهِ - عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَشَحُّهُ أَعْظَمُ.

[آفات الجسد]: وإن صدته الشقوة عن مرآسته، وأصله الحرمان عن مقاصده، فانقاد للطبع
اللئيم، وغلب عليه الخلق الذميم، حتى ظهر حسده، واشتد كرده، فقد باء بأربع مذام: إحداهن: حشرات الجسد، وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرتة انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء. وقال ابن المعتز:
الجسد داء الجسد. والثانية: اغتفاض المنزل، والخطا المرتبة؛ لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه. وقد
قيل في منثور الحكم: الجسد لا يسود. والثالثة: مَنَعَ الناس له، حتى لا يجد فيهم عيًّا، وعداوتهم له،
حتى لا يرى فيهم وليًّا، فيصير بالعداوة موتورًا، وبالقتل مزحورًا، ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم: «شر الناس من بغض الناس ويبغضونه». والرابعة: إسقاط الله تعالى في معارضته، واحتناء
الأورار في مخالفتها؛ إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً، ولا نعمة من الناس أهلاً؛ ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم: «إن الجسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال عبد الله ابن المعتز: الحاسدُ
مفتاظ على من لا ذنب له، يخيل بما لا يملكه، طالب ما لا يجده؛ وإذا بلي الإنسان من هذه حاله من
حساد النعم وأعداء الفضل، استعاض بالله من شره، وتوقى مصارع كيد، وتحرز من غوائل حسده،
وبعد عن ملاسته وإدانته؛ لعضل داته، وإعواز دوائه. فقد قيل: حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها. وقال
بعض الحكماء: من ضر بطبعه فلا تأنس بقره؛ فإن قلب الأعيان صعب المرام. وقال عبد الحميد: أسد
تقاربه خير من حسود تراقبه. وقال محمود الوراق:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا إلا الحسود فإنه أعياني
ما إن لي ذنباً إليه علمته إلا تظاهر نعمة الرحمن
وأبى فما يرضيه إلا ذلتي وذهاب أموالي وقطع لساني
فمأسستين بخالقي مولى الورى يكفينا بها من الشيطان
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث لا يعلم أحدٌ منهن: الطيرة، وسوء الظن،
والحسد؛ فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ».

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

وَالْحُسُودُ: هُوَ الَّذِي يَشْقُ عَلَيْهِ إِنْعَامُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ عِبَادِهِ
يَعْلَمُ أَوْ مَالٍ أَوْ مَحَبَّةٍ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، أَوْ حَظٌّ مِنَ الْحُطُوطِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَجِبُ زَوَالُهَا عَنْهُ،
وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ (بِذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ فَهَذَا) (١) مُنْتَهَى الْخُسْ، فَلِذَلِكَ قَالَ
(النبي) (٢) صلى الله عليه وسلم: «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» (٣).

وَالْحُسُودُ: هُوَ الْمُعَذِّبُ الَّذِي لَا يُرْحَمُ، وَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا
لَا تَحْتَوِ قَطْعًا عَنْ حَقِّ كَثِيرٍ مِنْ أَقْرَانِهِ وَمَعَارِفِهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ حَادٍ،
فَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَوْتِهِ، وَلِعَذَابٍ الْآخِرَةِ أَشَدَّ وَأَكْبَرَ، بَلْ لَا يَصِلُ الْعَبْدُ
إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ مَا لَمْ يُحِبْ لِمَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (٤)، بَلْ يُبْغِي أَنْ يُسَاهِمَ
الْمُسْلِمِينَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَالْمُسْلِمُونَ كَالْبَنِيَانِ الرَّاحِدِ يَشْدُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَكَالْجَسَدِ
الرَّاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ اشْتَكَى سَائِرُ الْجَسَدِ (٥).

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَصْدُقُ هَذَا مِنْ قَلِيلٍ، فَاشْتَغَالِكَ بِطَلَبِ التَّحَلُّصِ (عَنْ) (٦) الْهَلَاكِ أَهْمُ
مِنْ اشْتَغَالِكَ بِتَوَادُّرِ الْفُرُوعِ وَعِلْمِ الْخُصُومَاتِ.
وَأَمَّا الرِّيَاءُ:

(١) - في نسخة: (من ذلك مصلحة وهذا).

(٢) - في نسخة: (رسول الله).

(٣) - أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) وابن ماجه (٤٢١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وبقيته:
«والصدقة تطفى الخطيئة، كما يطفى الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام حنه من النار» وهو
حديث ضعيف.

(٤) - ذكر الهيثمي في الجمع (١٣٦٦٧) عن خالد بن عبد الله القسري، عن أبيه، عن جده، أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لجده يزيد بن أسد: «أحب للناس ما تحب لنفسك». أخرج أحمد
(٧٠/٤، ٧٠، ٧١) والطبراني في الكبير (٢٣٨/٢٢) وأبو يعلى (٩١١).

(٥) - عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمنين
كالبنيان يشد بعضه بعضاً». أخرجه البخاري (١٢٩/١) و١٦٩/٣ و١٤/٨ والترمذي (١٩٢٨)
والنسائي (٧٩/٥). والحميدي (٧٧٢). وانظره في الجامع الصغير (٩١٦٩) بتحقيق شيخنا.

(٦) - في نسخة: (من).

فَهُوَ الشَّرُّ الْخَفِيُّ، (وَهُوَ) ^(١) أَحَدُ الشَّرِّكَينِ، وَذَلِكَ طَلَبُكَ (الْمَنْزِلَةَ) ^(٢) فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ لِتَنَالَ بِهَا الْجَاهَ وَالْجَنَّةَ.

وَحُبُّ الْجَاهِ مِنَ الْهَوَى الْمَتَّبِعِ، وَفِيهِ هَلَكُ أَكْثَرِ النَّاسِ، فَمَا أَهْلَكَ النَّاسَ إِلَّا النَّاسُ. (وَلَوْ) ^(٣) أَنْصَفَ النَّاسَ حَقِيقَةً لَعَلِمُوا أَنَّ أَكْثَرَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ فَضْلًا عَنْ أَعْمَالِ الْعَادَاتِ، لَيْسَ يَحِبُّهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَاءَةُ النَّاسِ، وَهِيَ مُحِيطَةٌ لِلْأَعْمَالِ. كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ: «إِنَّ الشَّهِيدَ يُؤْمَرُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اسْتَشْهَدْتُ فِي سَبِيلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ: فَلَانْ شَجَاعٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَجْرُكَ» ^(٤). (وَكَذَلِكَ) ^(٥) يُقَالُ لِلْعَالِمِ وَالْحَاجِّ (وَالْقَارِيءِ) ^(٦).

(١) - في نسخة: (هو).

(٢) - في نسخة: (منزلة).

(٣) - في نسخة: (فلو).

(٤) - أخرجه مسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٣) والنسائي (٣١٣٧) عن سليمان بن يسار قال:

تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له قائل من أهل الشام: أيها الشيخ، حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أول الناس يُقَضَى لَهُمْ يوم القيامة ثلاثة: رجلٌ استشهد فأُتي به فعرفه نعمة فعرّفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال: فلان جريءٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمة فعرّفها قال: فما عملت فيها؟ قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرفه نعمة فعرّفها قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت في سبيل نَجْبٍ - قال أبو عبد الرحمن: ولم أفهم نَجْبٌ - كما أردت أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكن ليقال إنه جوادٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه فأُلقي في النار». وانظره في جامع الأصول (٢٦٤٥).

(٥) - في نسخة: (وكذا).

(٦) - في نسخة: (الغازي).

وَأَمَّا الْعُجْبُ ^(١) وَالْكَبَرُ ^(٢) وَالْفَخْرُ: فَهُوَ الدَّاءُ الْغَضَالُ، وَهُوَ نَظَرُ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ (الْعَبْرِ) ^(٣) وَالْإِسْتِعْظَامِ، (وَرَأَى) ^(٤) غَيْرَهُ بِعَيْنِ الْإِحْتِقَارِ (وَالذُّلِّ) ^(٥).

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص ٣٧٥ - ٣٧٧): وَأَمَّا الإِعْجَابُ: فيخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب. وقال بُزْرَجِيهَر: النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها: التواضع. والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه: العُجْبُ. وقال بعض الحكماء: عجب المرء بنفسه أحد خُشَادِ عقله. وليس لما يكسبه الكبر من المقت حُدٌّ، ولا لما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطغى من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر. وناهيك بسية تُحْبِطُ كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثوره من خنق، ويكسبه من حقد. حكى عمر بن حفص قال: قيل للحجاج: كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل، لو كان الله بلغني قتل أربعة، فتقرّرت إليه بدمائهم. قيل: ومن هم؟ قال: مُقاتل بن سميع، ولي سجستان، فأتاه الناس، فأعطاهم الأموال، فلما غزل دخل مسجد البصرة، فبسط الناس له أردبيهم، فمشى عليها، وقال لرجل يماشيه: لشل هذا فليعمل العالمون. وعبد الله بن زياد بن ظبيان التيمي: حزب أهل البصرة أمر، فخطب خطبة أوجز فيها، فنادى الناس من أعراس المسجد: أكثر الله فينا مثلك! فقال: لقد كلّفتم الله شططاً. ومعبد بن زُرارة: كان ذات يوم جالساً في طريق، فمرت به امرأة، فقالت له: يا عبد الله، كيف الطريق إلى موضع كذا؟ فقال: يا هناة، مثلي يكون من عبيد الله! وأبو سمّال الأسدي: أضلّ راحلته، فالتمسها الناس، فلم يجنوها، فقال: والله لئن لم يرد علي راحلتي لا صليت له صلاة أبداً، فالتمسها الناس، فوجدوها، فقالوا له: قد رد الله راحلتك فصلّ، فقال: إن يميتي يميت مُصِيرٌ. فانظر إلى هولاء، كيف أفضى بهم العُجْبُ إلى حمق، صاروا به نكالا في الأولين، ومثلاً في الآخرين. ولو تصور المعجب والتكبر ما فطر عليه من جلبة، وبلي به من مهنة، لخفض جناح نفسه، واستبدل ليناً من عتوه، وسكوناً من نفوره. وقال الأحنف بن قيس: عجب لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر؟... وأحق من كان للتكبر مجانباً، وللإعجاب مبايناً، من جل في الدنيا قدره، وعظم فيها خطره، لأنه قد يستقل بعالي همة كل كثير، ويستصغر معها كل كبير. وقال محمد بن علي: لا ينبغي للشريف أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطيراً، فيكون بها تائباً. وقال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك. وكان يقال: اسمان متضادان بمعنى واحد: التواضع والشرف. =

وقال (ص ٣٧٨ - ٣٧٩): [أسباب الإعجاب]: وللاعجاب أسباب: فمن أقوى أسبابه كثرة مديح المتقربين، وإطراء المتسلقين، الذين جعلوا النفاق عادةً ومكسباً، والتملق حديعةً وملعباً، فإذا وجدوه مقبولاً في العقول الضعيفة، أقروا أربابها باعتقاد كذبهم، وجعلوا ذلك ذريعة إلى الاستهزاء بهم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يزكي رجلاً فقال له: «قطعت مطاء، لو سمعها ما أفنح بعدها». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المدح ذبيح. وقال ابن المقفع: قابل المدح كمادح نفسه. وقال بعض الحكماء: من رضي أن يُمدح بما ليس فيه، فقد أمكن الساحر منه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والتمادح، فإنه الذبيح، إن كان أحدكم مادحاً أحياه لا عمالة، فليقل أحسب ولا أزكي على الله أحداً». وقيل فيما أنزل الله عز وجل من الكتب السالفة: عجب لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح؟ وعجب لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب؟...

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص ٣٧٣ - ٣٧٥): أما الكبر: فيكسب المقت، ويلهي عن التألف، ويوغر صدور الإخوان، وحسبك بذلك سوءاً عن استقصاء ذمه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعنه العباس: «أنهك عن الشرك بالله والكبر؛ فإن الله يمتحن بهما». وقال أردشير ابن بابك: ما الكبر إلا فضل حُمق، لم يدر صاحبه أين يذهب به، فيصرفه إلى الكبر، وما أشبه ما قال بالحق. وحكي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها، ويمشي الحلياء، فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يفيضها الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك: أولئك نطفة مذرة، وأحرك حيفة قنذرة، وحشوك فيما بين ذلك بولٌ وغذرة. فأخذ ابن عوف هذا الكلام، فنظمه شعراً فقال:

عجبت من معجب بصورته وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غم بعد حس صرورته يصير في اللحد حيفة قنذرة
وهو على تبيه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل القذرة

وقد كان المهلب أفضل من أن تُخدع نفسه بهذا الجواب، ولكنها زلة من زلات الاسترسال، وخطيئة من خطايا الإدلال. فأما الحمق الصريح، والجهل القبيح، فهو ما حُكي عن نافع بن جبر ابن مطعم، أنه جلس في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الحُرقي وهو يقرئ الناس، فلما فرغ قال: أتدرون لم جلست إليكم؟ قالوا: جلسنا لنتسمع، قال: لا، ولكن أردت أن أتواضع لله بالجلوس إليكم. فهل يُرجى من مثل هذا فضل، أو ينفع فيه عذل، وقد قال ابن المعتز: لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكبير، ليعظم صغيراً، ويرفع حقيراً، وليس بفاعل..

وَيَبْجُتُهُ عَلَى اللَّسَانِ أَنْ يَقُولَ: أَنَا وَأَنَا، كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ لِلْعَيْنِ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].
وَتَمَرُّهُ فِي الْمَجَالِسِ: التَّرُّعُ وَالتَّقَدُّمُ، وَطَلَبُ التَّصَدُّرِ (فِيهَا وَ) ^(١) فِي الْمَحَاوَةِ، وَالْأَسْتِنَاكَافِ مِنْ أَنْ يَرِدَّ كَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَالْمُتَكَبِّرُ: هُوَ الَّذِي إِذْ يُعْطَى أَيْفَ أَوْ وَعَظَ عَنَفٌ ^(٢)، (فَكُلُّ) ^(٣) مَنْ رَأَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ، بَلْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْخَيْرَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ غَيْبٌ، وَهُوَ مَوْفُوتٌ عَلَى الْحَاتِمَةِ، فَأَعْتَقَاذُكَ فِي نَفْسِكَ أَلَيْسَ

وقال (ص ٣٧٧ - ٣٧٨): وللكبر أسباب: فمن أقوى أسبابه علو اليد، ونفوذ الأمر، وقلة مخالطة الأصدقاء. وحُكي أن قوماً مشوا خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أبعدوا عني خنق نعالكم، فإنها مفسدة لقلوب توكي الرجال. ومشوا خلف ابن مسعود فقال: ارجعوا؛ فإنها زلة للتابع، وفنة للمتبع.

وروي قيس بن أبي حازم أن رجلاً أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، فأصابته رعدة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد». وإنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسماً لحواد الكبر، وقطعاً لذرائع الإعجاب، وكسر لأشر النفس، وتذليلاً لسلطنة الاستعلاء. ومثل ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه نادى: الصلاة جامعة؛ فلما اجتمع الناس صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس، لقد رأيته أرفع على حالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب، فأظل اليوم وأي يوم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين! ما زدت على أن قصرت بنفسك. فقال له عمر رضي الله عنه: ويحك يا ابن عوف! إنني خلوت، فحدثني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك، فأردت أن أعرفها نفسها.

(٣) - في نسخة: (العزة).

(٤) - في نسخة: (ونظره إلى).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في النص.

(٣) - في نسخة: (وكل).

خَيْرٌ مِنْ غَيْرِكَ جَهْلٌ مُحْضٌ، بَلْ يُبْعِي أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا وَتَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ. وَأَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ.

فَإِنْ رَأَيْتَ صَغِيرًا قُلْتَ: هَذَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ وَأَنَا عَصَيْتُهُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي.

وَإِنْ رَأَيْتَ كَبِيرًا قُلْتَ: هَذَا قَدْ عَبَدَ اللَّهَ قَبْلِي فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي.

وَإِنْ كَانَ عَالِمًا قُلْتَ: هَذَا قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ أُعْطَ وَبَلَغَ مَا لَمْ أُبْلَغْ وَعَلِمَ مَا جَهِلْتُ، فَكَيْفَ أَكُونُ مِثْلَهُ.

وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا قُلْتَ: هَذَا (قَدْ) عَصَى اللَّهَ بِجَهْلٍ وَأَنَا عَصَيْتُهُ بِعِلْمٍ، فَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ أَكْثَرُ، وَمَا أَذْرِي بِمِ يَحْتَمِلُ لِي وَيَمُوتُ لَهُ.

وَإِنْ كَانَ كَافِرًا قُلْتَ: لَا أَذْرِي عَسَى أَنْ يُسْلِمَ وَيَحْتَمِلَ لَهُ بِخَيْرِ الْعَمَلِ، وَيَنْسَلِ بِإِسْلَامِهِ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا تَنْسَلُ الشُّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.

وَأَمَّا أَنَا - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - فَعَسَى أَنْ يُضِلَّنِي اللَّهُ فَأَكْفُرَ فَيَحْتَمِلَ لِي بِشَرِّ الْعَمَلِ، فَيَكُونُ (هُوَ غَدًا) (١) مِنَ الْمُفْرَقِينَ (وَأَكُونُ أَنَا مِنَ الْمُتَبَعِينَ) (٢).

فَلَا يَخْرُجُ الْكِبَرُ مِنْ قَلْبِكَ إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْكِبَرَ مَنْ هُوَ كَبِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَاثِمَةِ وَهِيَ مَشْكُوكٌ فِيهَا، فَيَشْغَلُكَ خَوْفُ الْحَاثِمَةِ (عَنْ) (٣) أَنْ تَتَكَبَّرَ - مَعَ الشُّكِّ فِيهَا - عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقِينَكَ وَإِيمَانُكَ فِي الْحَالِ لَا يُنَاقِضُ تَجَرُّبَكَ التَّغْيِيرَ فِي الْإِسْتِقْبَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

وَالْأَخْبَارُ فِي الْحَسَنِ وَالْكَبَرِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِيكَ فِيهَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ جَامِعٌ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذٍ: يَا مُعَاذُ حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَبَكَى مُعَاذٌ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْكُتُ

ثُمَّ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: (وَأَشْرَفَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى لِقَائِهِ، ثُمَّ قَالَ) (١): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِي: «يَا مُعَاذُ إِنِّي مُحَدِّثُكَ

بِحَدِيثٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللَّهِ (تَعَالَى) (٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا مُعَاذُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاقٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعِ مَلَكًا بَوَّابًا عَلَيْهَا، فَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنَ حِينٍ يُصْبِحُ إِلَى حِينٍ يُمَسِي، لَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ، حَتَّى إِذَا (صَعِدَتْ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ) (٣) الدُّنْيَا رَكَّتْهُ (وَكَثُرَتْهُ) (٤)، فَيَقُولُ الْمَلَكُ (الْمُوكَّلُ بِهِ) (٥)

لِلْحَفَظَةِ: اضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الْغَنِيَةِ أَمْرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ مِنْ اغْتَابِ النَّاسِ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: ثُمَّ تَأْتِي الْحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ (لَهُ نُورٌ) (٦) فَتَرْكِبُهُ وَتَكْثُرُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ عَرْضَ الدُّنْيَا (أَنَا مَلَكُ الْفَخْرِ) (٧) أَمْرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي (مَجَالِسِهِمْ) (٨). قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَنْتَهَجُ نُورًا مِنْ صَدَقَةٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ قَدْ أَغْجَبَ الْحَفَظَةَ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوكَّلُ (بِهَا) (٩): قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ أَنَا مَلَكُ الْكِبَرِ أَمْرَنِي رَبِّي أَنْ

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (طعلت به إلى سماء).

(٤) - في نسخة (فكثرت).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (بمجالسهم، أنا ملك الفخر).

(٩) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (غدا هو).

(٣) - في نسخة: (وأنا أكون من المعذبين).

(٤) - في نسخة: (على).

لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ. قَالَ:
وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزْهُو كَمَا يَزْهُو الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ (وَلَهُ) (١) دَوِيٌّ مِنْ تَسْنِيحِ
وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحُجٍّ وَغُمْرَةٍ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ
بَهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ، أَنَا صَاحِبُ
الْعُجْبِ أَمْرِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا
أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيهِ. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ
الْخَامِسَةِ كَأَنَّهُ الْغُرُوسُ الْمَرْقُوفَةُ إِلَى بَعْلِهَا، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بَهَا: قِفُوا
وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَاحْمِلُوهُ (عَلَى) (٢) عَاتِقِهِ، أَنَا مَلِكُ الْحَسَدِ، إِنَّهُ كَانَ
يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِحَسْلِ عَمَلِهِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلًا (مِنْ الْعِبَادَةِ) (٣) كَانَ
يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ، أَمْرِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ
الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ (الشَّمْسِ) (٤) مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحُجٍّ وَغُمْرَةٍ
وَجِهَادٍ وَصِيَامٍ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بَهَا:
قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ مَرَضٌ، بَلْ كَانَ يَشْتُمُ بِهِمْ، أَنَا مَلِكُ الرَّحْمَةِ أَمْرِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ
عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ (صَوْمٍ وَصَلَاةٍ) (٥)
وَنَفَقَةٍ وَجِهَادٍ وَزَوْجٍ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِي النَّحْلِ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ، مَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ
مَلَكٍ فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بَهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا

(١) - في نسخة: (له).

(٢) - في نسخة: (واجعلوه على).

(٣) - في نسخة: (على العباد).

(٤) - في نسخة: (الشمس).

(٥) - في نسخة: (صلاة وصيام).

بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، (وَاضْرِبُوا) (١) جَوَارِحَهُ وَأَقْفُلُوا (بِهِ) (٢) عَلَى قَلْبِهِ، أَنَا صَاحِبُ
الذِّكْرِ (فَإِنِّي) (٣) أَحْبَبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ رَبِّي، (إِنَّهُ) (٤) إِنَّمَا أَرَادَ
بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رَفْعَةَ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ، وَذِكْرًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَصِيْبًا فِي
الْمَدَائِنِ، أَمْرِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ
(تَعَالَى) (٥) خَالِصًا فَهُوَ رِيَاءٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ الْمُرَائِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ
الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحُجٍّ وَغُمْرَةٍ وَخُلِقَ حَسَنٌ وَصَمِتَ وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى،
(فَتَشِيعُهُ) (٦) مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ حَتَّى يَقْطَعُوا (بِهِ) (٧) الْحُجْبَ كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، فَيَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ (وَيَشْهَدُونَ) (٨) لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتُمْ الْحَفْظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى (مَا فِي) (٩) قَلْبِهِ، إِنَّهُ لَمْ
يُرِدْنِي بِهَذَا الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي، فَقُولِ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا: عَلَيْهِ
لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا، (فَلَعْنَةُ) (١٠) السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيْهِنَّ، فَبِكِي مُعَاذٌ (وَانْتَحَبَ) (وَانْتَحَبَ) (وَانْتَحَبَ)
شَدِيدًا) (١١) قَالَ مُعَاذٌ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا مُعَاذٌ فَكَيْفَ لِي

(١) - في نسخة: (واضربوا به)

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (وتشيعه).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (يشهدون).

(٩) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١٠) - في نسخة: (ولعنته).

(١١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(بِالنَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ مِنْ ذَلِكَ؟) ^(١) قَالَ: اقْتَدِ بِي، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ، يَا مُعَاذُ: حَافِظٌ عَلَى لِسَانِكَ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ (خَاصَّةً) ^(٢)، وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ، وَلَا تُزَكِّ نَفْسَكَ (بِذَمِّهِمْ) ^(٣)، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنْيَا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ، (وَلَا تُرَاءِ بِعَمَلِكَ) ^(٤)، وَلَا تُتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ، وَلَا تُتَاجَ رَجُلًا وَعِنْدَكَ آخَرُ، وَلَا تَتَعَطَّمْ عَلَى النَّاسِ فَتَقْطِيعَ عَنْكَ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا تَمُرَّقِ النَّاسَ (بِلِسَانِكَ) ^(٥) فَيَمُرَّقَكَ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا﴾ [النازعات: ٢] هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ؟ قُلْتُ: (مَا هِيَ) ^(٦) بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِلَابٌ فِي النَّارِ تَنْشُطُ اللَّحْمَ مِنَ الْعَظْمِ، قُلْتُ: بِأَبِي (أَنْتَ وَأُمِّي) ^(٧) يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَطِيقُ هَذِهِ الْخِصَالَ وَمَنْ يَنْجُو مِنْهَا؟ قَالَ: يَا مُعَاذُ: إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ (تَعَالَى) ^(٨) عَلَيْهِ، (إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ وَتُكْرَهُ لَهُمْ مَا تُكْرَهُ لِنَفْسِكَ، فَإِذَا أَنْتَ يَا مُعَاذُ قَدْ سَلِمْتَ) ^(٩) «^(١٠)» . قَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ مُعَاذٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ.

- (١) - في نسخة: (بالخلاص والنجاة).
- (٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.
- (٣) - في نسخة: (وذمهم).
- (٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.
- (٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.
- (٦) - في نسخة: (ما هن).
- (٧) - في نسخة: (وأمي أنت).
- (٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.
- (٩) - ما بين: () زياد من نسخة.

(١٠) - أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات: (١٥٤/٢ - ١٦١) وقال: إنه موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد أبدع الذي وضعه واجترأ على الشريعة. والسيوطي في اللآلئ المصنوعة

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الرَّائِبُ فِي الْعِلْمِ هَذِهِ الْخِصَالَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ فِي رُسُوحِ هَذِهِ الْخَبَائِثِ فِي الْقَلْبِ طَلَبُ الْعِلْمِ لِأَحْلِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُنَافَسَةِ، فَالْعَامِيُّ بِمَعْرِفٍ عَنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الْخِصَالَ، وَالْمُتَفَقِّهُ مُسْتَهْدَفٌ لَهَا وَهُوَ (مُتَعَرِّضٌ) ^(١) لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِهَا، فَانْظُرْ أَيُّ أُمُورِكَ أَهَمُّ؟ (أَتَعْلَمُ) ^(٢) كَيْفِيَّةَ الْحَذَرِ مِنْ هَذِهِ الْمُهَيِّكَاتِ، وَتَشْتَغِلُ بِإِصْلَاحِ قَلْبِكَ وَعِمَارَةِ آخِرَتِكَ، أَمْ الْأَهَمُّ أَنَّ تَحْوِضَ مَعَ الْخَائِضِينَ فَتَطْلُبُ الْعِلْمَ مَا هُوَ سَبَبُ زِيَادَةِ الْكِبَرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْعُجْبِ حَتَّى تَهْلِكَ مَعَ أَنْهَارِكُنْ؟.

وَاعْلَمْ: أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ مِنْ أُمَهَاتِ خَبَائِثِ الْقَلْبِ، وَلَهَا مَغْرَسٌ وَاحِدٌ وَهُوَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَلِلَّذَلِكَ قَالَ (النَّبِيُّ) ^(٣) صلى الله عليه وسلم: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» ^(٤).

وَمَعَ هَذَا فَالِدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ لِلْآخِرَةِ، فَمَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا بِقَدَرِ الضَّرُورَةِ (لِيَسْتَعِينُ) ^(٥) بِهِ عَلَى الْآخِرَةِ، فَالِدُّنْيَا مَزْرَعَتُهُ، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا لِيَتَنَعَّمَ بِهَا فَالِدُّنْيَا مَهْلِكَتُهُ.

في الأحاديث الموضوعية: (٣٣٣/٢ - ٣٣٨). وابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة: (٢٨٧/٢ - ٢٨٩) رقم (٢٧) وقال: وذكره الحافظ المنذري في ترغيبه (٧٣/١) مخرجاً من الزهد لابن المبارك وأشار إلى بعض طرقه المذكورة هنا وغيرها ثم قال: وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وجميع ألفاظه والله تعالى أعلم.

(١) - في نسخة: (معروض).

(٢) - في نسخة: (أَنْ تَعْلَمَ).

(٣) - في نسخة: (رسول الله).

(٤) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٠١) عن الحسن رضي الله عنه.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٥٨) والزهد (٢٤٨) عن سفيان بن سعيد قال: كان عيسى عليه السلام يقول: «حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَالْمَالُ فِيهِ دَاءٌ كَبِيرٌ. قَالُوا: وَمَا دَاوَاهُ، قَالَ: لَا يَسْلَمُ مِنَ الْفَخْرِ وَلَا الْخِيَلَاءِ. قَالُوا: فَإِنْ سَلِمَ يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». وقال العجلوني (١٠٩٩): (ورواد... أبو نعيم).

(٥) - في نسخة: (يستعين).

فَهَذِهِ بُدَّةٌ تَسِيرَةٌ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى، وَهِيَ بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ، فَإِنْ جَرَّبْتَ (بَهَا) (١) (نَفْسَكَ) (٢) وَطَاعَتَكَ عَلَيْهَا فَعَلَيْكَ بِكَتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لِتَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ الْوُصُولِ إِلَى بَاطِنِ التَّقْوَى، فَإِذَا عَمَرْتَ بِالتَّقْوَى بَاطِنَ قَلْبِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَرْتَفِعُ الْحُجُبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ، وَتُنْكَشِفُ لَكَ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِكَ يَنَابِيعُ (الْحِكْمِ) (٣)، وَتَتَضَحَّى لَكَ سُرُورُ الْأُمْنَانِ وَالْمُنْكَوَرِ، وَيَتَسَرَّرُ لَكَ مِنَ الْعُلُومِ مَا تَسْتَحْقِرُ بِهِ هَذِهِ الْعُلُومُ الْمُحْدَثَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا ذِكْرٌ فِي زَمَنِ الْأَصْحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ.

وَأِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَالْجِدَالِ، فَمَا أَكْثَرُ مُضَيِّبَاتِكَ وَمَا أَطْوَلُ تَعَبِكَ، وَمَا أَكْثَرُ حِرْمَانِكَ وَخُسْرَانِكَ! فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا الَّتِي تَطْلُبُهَا بِالذِّينِ لَا تَسْلُمُ لَكَ، وَالْآخِرَةُ تُسَلِّبُ مِنْكَ، (فَمَنْ) (٤) طَلَبَ الدُّنْيَا بِالذِّينِ خَسِرَ هُمَا جَمِيعًا، وَمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلذِّينِ رَبِحَهُمَا جَمِيعًا.

فَهَذِهِ جُمْلُ الْهِدَايَةِ إِلَى بِدَايَةِ الطَّرِيقِ فِي مُعَامَلَتِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَدَاءِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ (نَوَاهِيهِ) (٥).

وَأَشِيرُ عَلَيْكَ الْآنَ بِجُمْلٍ مِنَ الْأَدَابِ لِتُؤَاخِذَ بِهَا نَفْسَكَ (بَهَا) (٦) فِي مُحَاوَلَتِكَ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَصَحَّتِيَّتِ مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ الْقَوْلُ فِي آدَابِ الصُّحْبَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْخَالِقِ (عَزَّ وَجَلَّ) (١) وَمَعَ الْخَلْقِ

اعْلَمْ: أَنَّ صَاحِبَكَ الَّذِي لَا يُفَارِقُكَ فِي حَضْرِكَ وَسَفَرِكَ وَنَوْمِكَ وَيَقْضِيكَ، بَلْ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ، هُوَ رَبُّكَ وَسَيِّدُكَ وَمَوْلَاكَ وَخَالِقُكَ، وَمَعَهُمَا ذِكْرُكَ فَهُوَ حَلِيسُكَ، إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِي» (٢).

وَمَعَهُمَا أَنْكَسَرَ قَلْبُكَ حَزَنًا عَلَى تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّ دِينِكَ، فَهُوَ صَاحِبُكَ وَمُلَازِمُكَ، إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ الْمُتَكَسِّرَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِي» (٣).

(١) - في نسخة: (سبحانه).

(٢) - أوردته السيوطي في الدرر المنيرة (٢٤) والسخاوي في المقاصد الحسنة (١٨٦). وانظره في تمييز الطبيب من الخبيث (٢٣٢) وأسنى المطالب (٣٨٧). وقال المحلوني في كشف الخفاء (٦١١): رواه النديمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً. قلت: لم أحده في مسند الفردوس.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٠) عن عطاء بن أبي مروان أبي مصعب الأسلمي قال: حدثني أبي، عن كعب قال: قال موسى عليه السلام: «يا رب أفرأيت أنت فأناسيأت أم بعيداً فأناديك؟ فقل لي: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. فقال: إني أكون على حال أجلك عنها. قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجناية. قال: اذكرني على كل حال».

وأخرج أيضاً (٦٨١) عن ابن عباس قال: وفد موسى إلى طور سيناء قال: «يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني».

(٣) - انظره في الأسرار المرفوعة (١١٧ و ٣٧٦) والمقاصد الحسنة (١٨٨) و تمييز الطبيب من الخبيث (٢٣٤) وأسنى المطالب (٣٨٩). وقال المحلوني في كشف الخفاء: (٦١٤) قال في المقاصد: ذكره في البداية الغزالي، وقال القاري عقبه: ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية، قلت: وتامه: «وأنا عند المدرسة قلوبهم لأجلي». ولا أصل لهما في المرفوع. انتهى.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (نفسك فيها).

(٣) - في نسخة: (الحكمة).

(٤) - في نسخة: (ومن).

(٥) - في نسخة: (مناهي).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

فَلَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَاتَّخَذْتُهُ صَاحِباً وَتَرَكْتَ النَّاسَ جَانِباً، فَإِنْ لَمْ تُقَدِّرْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ فَإِنَّكَ أَنْ تُحَلِّيَ لِبَلِّكَ وَتَهَارِكَ عَنْ رُقُوتِ تَحَلُّوْ فِيهِ لِمَوَلَاكَ، وَتَتَلَذَّذَ مَعَهُ بِمُنَاجَاتِكَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ آدَابَ الصُّحْبَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

[آدَابُ الصُّحْبَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى]: وَأَدَابُهَا:

- ١- إِطْرَاقُ الرَّأْسِ، وَعَضُّ الطَّرْفِ.
- ٢- وَجَمْعُ الْيَمِّ.
- ٣- وَقَوَامُ الصَّمْتِ^(١).
- ٤- وَسُكُوتُ الْحَوَارِجِ.
- ٥- وَمُبَادَرَةُ الْأَمْرِ.
- ٦- وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ.
- ٧- وَقِلَّةُ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدْرِ.
- ٨- وَقَوَامُ الذِّكْرِ.
- ٩- وَمَلَازِمَةُ الْفِكْرِ.
- ١٠- وَإِثَارُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ.
- ١١- وَالْإِيَّاسُ عَنِ الْخَلْقِ.
- ١٢- وَالْخُضُوعُ تَحْتَ الْهَيْبَةِ.
- ١٣- وَالْإِنْكِسَارُ تَحْتَ الْحَيَاءِ.
- ١٤- وَالسُّكُونُ عَنْ حَيْلِ الْكَسْبِ ثَقَّةً بِانْضِمَامِ^(٢)؛
- ١٥- وَالتَّوَكُّلُ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى^(٣) مَعْرِفَةً بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ.

(١) - ممثلاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلل خيراً أو ليصمت». أخرجه البخاري (٨٤/١) ومسلم (١٥٣) عن أبي شريح الخزاعي. وذكره السيوطي في حسن السميت في الصمت (٢٩).

(٢) - أي: بضمان الله تعالى لك في رزقك. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وَهَذَا كُلُّهُ يُبْنِي أَنْ يَكُونَ شِعَارُكَ فِي جَمِيعِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، (فَإِنَّهَا)^(١) آدَابُ الصُّحْبَةِ مَعَ صَاحِبٍ لَا يُفَارِقُكَ، وَالْخَلْقُ يُفَارِقُونَكَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِكَ^(٢).

[آدَابُ الْعَالِمِ]:

وَأِنْ كُنْتَ عَالِماً فَأَدَابُ^(٣) (الْعَالِمِ)^(٤):

- ١- الْإِحْتِمَالُ.
- ٢- وَلُزُومُ الْحِلْمِ.
- ٣- وَالْجُلُوسُ بِالْهَيْبَةِ عَلَى سَمْتِ الْوَقَارِ مَعَ إِطْرَاقِ الرَّأْسِ.
- ٤- وَتَرْكُ (التَّكْبَرِ)^(٥) عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ إِلَّا عَلَى الظُّلْمَةِ زَجْراً لِيُحْمَ عَنْ الظُّلْمِ.
- ٥- وَإِثَارُ التَّوَضُّعِ فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَجَالِسِ.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١) - في النسخ: (مائه)، خطأ والله أعلم. والأصح: (فإنها) لتمام عبارة السياق.

(٢) - قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

(٣) - ومن آدابه أيضاً: (تعليم العلم بلا أجر). فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٣٤): ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله تعالى بتعليم من علموا، ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا، من غير أن يعتاضوا عليه عوضاً، ولا يلتمسوا عليه رزقاً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً﴾ [البقرة: ٤١]. قال أبو العالية: لا تأخذوا عليه أجراً، وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن آدم علم مجاناً، كما عُلمت مجاناً. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أجر المعلم كأجر الصائم القائم». وحسب من هذا أجره أن يلتزم أجراً.

وأيضاً من آدابهم: (تنزه العلماء عن شبه المكاسب) فقد قال (ص ١٣٢): ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب، والقناعة بالميسور عن كد المطالب، فإن شبه المكسب إنهم، وكند الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعز أبقى به من الذل...

(٤) - في نسخة: (العالم سبعة عشر).

(٥) - في نسخة: (الكبر).

١٧- وَمُواخَذَةُ نَفْسِهِ أَوَّلًا بِالتَّقْوَى لِيَقْتَدِيَ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلًا بِأَعْمَالِهِ،
وَيَسْتَفِيدَ تَأْنِيًا مِنْ أَقْوَالِهِ.

[آدابُ الْمُتَعَلِّمِ^(١)]:

وَأِنْ كُنْتَ مُتَعَلِّمًا فَأَدِّبْ الْمُتَعَلِّمَ مَعَ الْعَالِمِ^(٢):

(٤) - والنصح لهم. فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٣٤): ومن آدابهم نصيح من علموه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل الجهد في ردهم ومعاونتهم، فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنَى لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لعلومهم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي، لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً مما طلعت عليه الشمس».

(١) - الشروط التي يتوفر بها علم الطالب: قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٠٤) - (١٠٥): وأما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب، وينتهي معها كمال الراغب، مع ما يلاحظ به من التوفيق، وعمد به من المعونة، فتسعة شروط: أحدها: العقل الذي به تدرك حقائق الأمور. والثاني: الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم. والثالث: الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره، وفهم ما علمه. والرابع: الشهوة التي يلوم بها الطلب، ولا يسرع إليها الملل. والخامس: الاكتفاء بمادة تعنيه عن كلف الطلب. والسادس: الفراغ الذي يكون معه التوفر، يحصل به الاستكثار. والسابع: عدم القواطع المذهلة، من هموم، وأشغال، وأمراض. والثامن: طول العمر، واتساع المدة؛ لينتهي بالاستكثار، إلى مراتب الكمال. والتاسع: الظفر بعالم سمح بعلمه، متأن في تعليمه. فإذا استكمل هذا الشروط التسعة، فهو أوسع طالب، وأجرح متعلم. وقد قال الإسكندر: يحتاج طالب العلم إلى أربع: مدوّ، وجدّة، وقريحة، وشهوة، وعامها في الخامسة: معلم ناصح.

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٠٥ - ١١٣): وسأذكر طرفاً مما يتأدب به المتعلم، ويكون عليه العالم: اعلم أن المتعلم في بيان تعلمه تلقاً وتذليلاً، إن استعملهما غيماً، وإن تركهما ندم وحُرم؛ لأن التملق للعالم يُظهرُ مكنون علمه، والتذلل له سببٌ لإدامة صبره؛ وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار. وقد روي: «ليس من أخلاق المؤمنين التلُّ إلا في طلب العلم». وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ذللت طالباً، فعزّزتُ مطلوباً. وقال بعض الحكماء: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبداً. وقال بعض حكماء الفرس: إذا قدمت وأنت صغير حيث تُحبُّ، قدت وأنت كبير حيث لا تحبُّ.

٦- وَتَرَكُ الْهَزْلَ وَالِدُعَايَةَ.

٧- وَارْتُقُ بِالْمُتَعَلِّمِ^(١)، وَالتَّائِي بِالْمُتَعَجِّزِ.

٨- وَإِصْلَاحُ الْبَلَدِ بِحُسْنِ الْإِرْشَادِ.

٩- وَتَرَكُ الْحَرَدِ عَلَيْهِ.

١٠- وَتَرَكُ الْأَنْفَةَ مِنْ قَوْلٍ: لَا أَذْرِي.

١١- وَصَرَفُ النِّهَمَةِ إِلَى السَّائِلِ، وَتَفْهَمُ سُؤَالَ^(٢).

١٢- وَقُبُولُ الْحُجَّةِ.

١٣- وَالْإِنْقِيَادُ لِنَحْوٍ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي الْهَفْوَةِ.

١٤- وَمَنْعُ الْمُتَعَلِّمِ عَنْ كُلِّ عِلْمٍ يَضُرُّهُ.

١٥- وَزَجْرُهُ عَنْ أَنْ يُرِيدَ بِالْعِلْمِ النَّافِعَ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

١٦- وَصَدُّ الْمُتَعَلِّمِ عَنْ أَنْ (يَشْتَغَلَ)^(٣) بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْ فَرْضِ الْعَيْنِ، وَفَرْضُ عَيْنِهِ: إِصْلَاحُ^(٤) ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِالتَّقْوَى.

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين: (ص ١٣٤ - ١٣٥): ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعلماً، ولا يُحَقِّروا ناشئاً، ولا يستصغروا مبتدئاً، فإن ذلك أذى إليهم، وأعطف عليهم، وأحثُّ على انغبة فيما لديهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «علموا ولا تعنفوا؛ فإن المعلم خير من المعنف». وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وقروا من تعلمون منه، ووقروا من تعلمونه».

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٣٥): ومن آدابهم ألا ينعنوا طالباً، ولا ينفروا رغباً، ولا يؤيسوا متعلماً، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهدي فيما لديهم؛ واستمرار ذلك مُفَضِّ إلى انقراض العلم بانقراضهم. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا أتنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لم يُقَيِّطْ الناس من رحمة الله تعالى، ولا يؤيسهم من روح الله، ولا يدع القرآن، رغبة إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، وعلم ليس فيه تفهم، وقراءة ليس فيها تدبر».

(٣) - في نسخة: (يشغل نفسه).

ثم ليُعرف له فضل علمه، وليُشكر له جميل فعله. فقد روي: «من وُقرَ عالماً فقد وُقرَ ربه». وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يعرف فضل أهل العلم، إلا أهل الفضل. وقال بعض الشعراء:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لذلك إن أهدت طبيبه واصبر لجهلك إن حضرت معلما

ولا يمنعه من ذلك علو منزله إن كانت له، وإن كان العالم عاملاً، فإن العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم. لا بالقدرة والمال. وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي بكر بن دُرَيْد:

لا تحقرن عالماً وإن خلقت أثوابه في عيون راميهِ
وانظر إليه بعين ذي أربٍ مهذب الرأي في طرائقه
فالمسكُ بينا نتراه ممتهاً بفهر عطاره وساحته
حتى تراه في عارضي مَلِكٍ أو موضع التاج من مفارقه

وليكن مقتدياً بهم في رضي أخلاقهم متشبهاً بهم في جميع أفعالهم، ليصير لهم ألفاً، ولما خالفها مجانباً. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير شَبَابِكُمُ الْمُتَشَبِّهُونَ بِشَيْخُوكُم وَشَرُّهُمُ الشَّيْخُوكُمُ الْمُتَشَبِّهُونَ بِشَبَابِكُم». وروى ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تشبه بقوم فهو منهم». وأنشدني بعض أهل الأدب، لأبي بكر بن دُرَيْد:

العالمُ العاقلُ ابنُ نفسه أغناه جنسُ علمه عن جنسه
كن ابن من شئت وكن مؤدباً فأغنا المرء بفضله كَيْسَه
وليس من تَكْرُمِهِ لغيره مثل الذي تَكْرُمه لنفسه

وليحذر المتعلم التَّبَسُّطَ على من يعلمه وإن آنسه، والإدلال عليه، وإن تقدمت صحبته؛ فقد قيل لبعض الحكماء: من أذل الناس؟ فقال: عالمٌ يجري عليه حكم جاهل. وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من النسبي، فقال لها: «من أنت؟». فقالت: بنت الرجل الجواد حاتم، فقال صلى الله عليه وسلم: «ارحموا عزيز قوم ذل، ارحموا غنياً افتقر، ارحموا عالماً ضاع بين الجهال». ولا يُظهر له الاستكفاء منه، والاستغناء عنه؛ فإن في ذلك كُفراً لنعمته، واستخفافاً بحقه، وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه؛ لجودة ذكائه، وحدة خاطره، فقصده من يعلمه بالإعانة له، والاعتراض عليه، ازدراءً به، وتبكيئاً له؛ فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لأبي البطحاء:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

وهذه من مصائب العلماء، وانعكاس حظوظهم، أن يصيروا عند من علموه مستجهلين، وعند من قدموه مستذلين. وقال صالح بن عبد القدوس:

وإن عناءً أن تُعلم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم
متى يبلغ الثبيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟
متى ينتهي عن سبيء من أتي به إذا لم يَكُنْ منه عليه تندم؟
وقد رجح كثير من الحكماء حق العالم، على حق الوالد، حتى قال بعض الشعراء:
يا فاعراً لنسفة بالسلف وتاركاً للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هم سبب لأن جعلنا عوارض التلّف
من علم الناس كان خير أنبى ذاك أبو الروح لا أبو النطف

ولا ينبغي أن يبعثه معرفة الحق له، على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الإعانة له؛ على التقليد فيما أخذ عنه فإنه ربما غلبا بعض الأتباع في عالمهم، حتى يروا أن قوله دليلٌ وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة وإن لم يحتج، فيفرضي بهم الأمر إلى التسليم له فيما أخذوا عنه، ويؤول بهم ذلك إلى التقصير فيما يصدر منه؛ لأنه يُجتهد بحسب اجتهاد من يأخذ عنه، فلا يبعد أن تبطل تلك المقالة إن انفردت، أو يخرج أهلها من عداد العلماء فيما شاركت؛ لأنه قد لا يرى لهم من يأخذ عنهم، ما كانوا يرونه لمن أخذوا عنه، فيطالبهم بما قصروا فيه، فيضعفوا عن إباتته، ويعجزوا عن نصرته، فيذهبوا ضائعين، ويصيروا عجزة مضعوفين.

ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس حفل، وقد استدل الخصم عليه بدلالة صحيحة، فكان جوابه عنها أن قال: إن هذه دلالة فاسدة، ووجه فسادها أن شيخني لم يذكرها، وما لم يذكره الشيخ فلا خير فيه؛ فأمسك عنه المستدل تعجباً، ولأن شيخه كان محتشماً؛ وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل رأي هذا الجاهل، ثم أقبل المستدل عليّ وقال لي: والله لقد أفحمني بجهله، وصار سائر الناس المرئيين من هذه الجهالة، من بين مستهزيء أو متعجب، أو مستعيز بالله من جهل مغرب، فهل رأيت كذلك عالماً أو غل في الجهل، وأدلى على قلة العقل. وإذا كان المتعلم معتدلاً الرأي فيمن يأخذ عنه، متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه، حتى لا يحمله الإعانة على اعتراض المبكئين، ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين، برى المتعلم من المذمتين، وسلم العالم من الجهتين، وليس كثرة السؤال فيما التبس إعانتاً، ولا قبول ما صح في النفس تقليداً. وقد روي: «العلم خزان، ومفتاحه المسألة، فاسألوا رحمكم الله، فإنما يؤجر في العلم ثلاثة: القائل، والمستمع، والأخذ». وقال عليه الصلاة والسلام: «هلا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال»؛ فأمر بالسؤال وحث عليه. ونهى آخرين عن السؤال، وزجر عنه، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم وكثرة السؤال، فإنما هلك من قبلكم بكثرة السؤال». وليس هذا مخالفاً

١- أَنْ يُبْدَأَهُ بِالنَّجِيَّةِ وَالسَّلَامِ.

لأول، وإنما أمر بالسؤال من قصد به علم ما جهل، ونهى عنه من قصد به إعانات ما سمع، وإذا كان السؤال في موضعه، أزال الشكوك، ونفى التنبهية، وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم نست هذا العلم؟ قال: بلسان سؤال، وقب عقول، وروي: «حسن السؤال نصف العلم». وأنشد المبرد عن أبي سليمان الغنوي:

فصل الفقيه تكن فقيها مثله لا خير في علم بغير تدبر

وإذا تعمست الأمور فأرجها وعليك بالأمر الذي لم يعسر

وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طئته عنده، من نبيه وحامل، ولا يطلب الصبابة بعد الذكر، باتباع أهل المنازل من العلماء، إذا كان البغ بغيرهم أعم، إلا أن يستوي الشغل، فيكون لأحد عن الشهر ذكره، وارتفع قدره أولى؛ لأن الانتساب إليه أجمل، والأخذ عنه أشهر، وقد قال الشاعر:

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله

وإن صانك العلم الذي قد حملته أتاك له من يجتنبه ويحمله

وإذا قرب منك العلم، فلا تطلب ما بعد، وإذا سهل عليك من وجه، فلا تطلب ما صعب، وإذا حمدت من خبرته، فلا تطلب من لم تختبر؛ فإن العدول عن القريب إلى البعيد عناء، وترك الأسهل بالأصعب بلاء، والانتقال من المخبور إلى غيره خطر، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: غشني الأخرق مضرة، والمتعسف لا تدوم له مسرة. وقال بعض الحكماء: القصد أسهل من التعسف، والكف أودع من التكلف، وربما تبعث نفس الإنسان من بعد عنه، استهانة بمن قرب منه، وطلب ما صعب، احتقاراً لما سهل عليه، وانتقل إلى من لم يخبره، مللاً لمن خبره، فلا يدرك محبوباً، ولا يظفر بظاني. وقد قالت العرب في أمثالها: **العلم كالكمبة يأتينا البعداء، ويزهدها فيها القرباء.** وأنشدني بعض شيوخنا لمسيح بن حاتم:

لا ترى عالماً يحل يقوم فيحلوه غير دار الهوان

قلما توجد السلامة والنصح لجموعتين في إنسان

فإذا حلنا مكاناً سحيقاً فهما في النفوس معشوقتان

هذه مكة المنية بيت الله يسعى لحجها الثقلان

وترى أزهده البرية في الحج لها أهلها لقرب المكان

٢- وَأَنْ يُقْلَلَ^(١) بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلَامَ.

٣- وَلَا يَتَكَلَّمْ مَا لَمْ يَسْأَلْهُ أَسْأَدُهُ.

٤- وَلَا يَسْأَلْ (مَا لَمْ يَسْأَلْهُ أَوَّلًا)^(٢).

٥- وَلَا يَقُولَ فِي مُعَارَضَةِ قَوْلِهِ: قَالَ فُلَانٌ بِخِلَافِ مَا قُلْتُ.

٦- وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِ بِخِلَافِ رَأْيِهِ، فَيَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ مِنْ أَسْأَدِهِ.

٧- وَلَا (يَسْأَلْ)^(٣) جَلِيسَهُ فِي مَجْلِسِهِ.

٨- وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْجَوَانِبِ بَلْ يَجْلِسُ مُطَرِّقاً سَاجِداً مُتَذَبِّحاً كَأَنَّهُ فِي الصَّلَاةِ.

٩- وَلَا يُكْثِرُ عَلَيْهِ (السُّؤَالُ)^(٤) عِنْدَ مَلِيهِ.

١٠- وَإِذَا قَامَ قَامَ لَهُ.

١١- وَلَا يَتَّبِعُهُ بِكَلَامِهِ وَسْؤَالِهِ.

١٢- وَلَا يَسْأَلُهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

١٣- وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِهِ فِي أَفْعَالٍ ظَاهِرَهَا مُنْكَرَةٌ عِنْدَهُ،

فَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِ، وَلْيَذْكُرْ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْلَ مُوسَى

لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿أَخْرَجْتُهَا لِنَعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ

جِئْتُ شَيْئاً إِمْرَأَةً﴾ [الكهف: ٧١].

وَكُونَهُ مُخْطِئاً فِي إِنْكَارِهِ اعْتِمَاداً عَلَى (النَّظَاهِرِ)^(٥).

[آدَابُ الْوَلَدِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ]:

وَإِنْ كَانَ لَكَ وَالِدَانِ، (فَآدَابُ)^(٦) الْوَلَدِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ^(٧) :

(١) - في نسخة: (يُقْلَلُ). ومعنى قوله: (يقلل بين يديه الكلام) أي: بين يدي معلمه.

(٢) - في نسخة: (أولاً ما لم يستأذن).

(٣) - في نسخة: (يُسْأَلُ).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (ظاهرة).

(٦) - في نسخة: (فأدب).

(٧) - قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص ٣٦٧ - ٣٧٢): والتأديب يلزم من وجهين: أحدهما: ما يلزم النوالد لولده في صغره. والثاني: ما يلزم الإنسان في نفسه عند نشوئه وكبره.

فأما التأديب اللازم للأب: فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأسس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر؛ لأن نشوء الصغير على الشيء يجعله متطبعا به، ومن أغفل في الصغر. كان تأديبه في الكبر عسيراً. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما مثل واثق ولده غلة أفضل من أدب حسن يفيد إياه، أو جهل قبيح يكف عنه، ويمتعه منه». وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال، وتفرق البال. وقال بعض الشعراء:

أدب بنبك صغاراً قبل كبرتهم فليس ينفع بعد الكثرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا تلين إذا قومتها الخشب
العم في صغر كالنقش في حجر ما إن تغيره الأزمان والحقب
قد ينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وقال آخر:

ينشو الصغير على ما كان والده إن الأصول عليها يثبت الشجر

وأما الأدب اللازم للإنسان عند نشوئه وكبره: فأدبان: أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح.

فأما أدب المواضعة والاصطلاح: فيؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء، وتفق عليه استحسان الأدباء، وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستبطن، ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب، واتفاقهم على هيئات اللباس، حتى إن الإنسان الآن إذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار مجانباً للأدب، مستوجباً للذم؛ لأن فراق المألوف في العادة، ومجانبة ما صار متفقاً عليه بالمواضعة، مفضي إلى استحقاق الذم بالعقل، ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة، ومعنى حادث، وقد كان جائزاً في العقل أن يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه، فيرويه حسناً، ويرون ما سواه قبيحاً، فصار هذا مشاركاً لما وجب بالعقل، من حيث توجه الذم على تاركه، ومخالفاً له من حيث إنه كان جائزاً في العقل أن يوضع على خلافه.

وأما أدب الرياضة والاستصلاح: فهو ما كان محمولاً على حال لا يجوز في العقل أن يكون بخلافها، ولا أن تختلف العقلاء في صاحبها وفسادها؛ وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستبطن، ووضوح صحته بالدليل مرتبط، وللنفس على ما يأتي من ذلك شاهد، ألهمها الله تعالى إرشاداً لها. قال الله

تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [النجم: ٨]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بين لها ما تأتي من الخير، وتذر من الشر. وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه؛ فإنه أولى به وأحق. فأول مقدمات أدب الرياضة والاستصلاح: أن لا يسبق إلى حسن الظن بنفسه، فيخفى عنه مذموم شميم، ومساوئ أخلاقه؛ لأن النفس بالشهوات أمرقة، وعن الرشيد زاجرة. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]. وروي: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك. ثم أهلك، ثم عيانك». ودعت أعرابية لرجل فقالت: كبت الله كل عدو لك إلا نفسك، فأخذ بعض الشعراء فقال:

قلي إلى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عنوي بين أضلاعي

فإذا كانت النفس كذلك، فحسن الظن بها ذريعة إلى تحكيمها، وتحكيمها داع إلى سلاطنتها، وفساد الأخلاق بها؛ فإذا صرف حسن الظن عنها، وتوسمها بما هي عليه من التسويف والمكر، فاز نطاعتها، وانحاز عن معصيتها. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: العاجز من عجز عن سياسة نفسه. وقال بعض الحكماء: من ساس نفسه ساد ناسه.

فأما سوء الظن بها، فقد اختلف الناس فيه؛ فمنهم من كرهه؛ لما فيه من اتهام طاعتها، ورد مناصحتها، فإن النفس وإن كان لها مكر يودي، فلها نصح يهدي، فلما كان حسن الظن بها يعمي عن مساوئها، كان سوء الظن بها يعمي عن محاسنها؛ ومن عمي عن محاسن نفسه، كان كمن عمي عن مساوئها، فلم ينفع عنها قبيحاً، ولم يهد إليها حسناً. وقد قال الجاحظ في كتاب البيان: يجب أن يكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصد؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها، فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظن أودعها تهاون الأمنين، ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل.

وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه كان لغيره أظلم؛ ومن هدم دينه كان لمجده أهدم. وذهب قوم إلى أن سوء الظن بها أبلغ في صلاحها، وأوفر في اجتهداها؛ لأن للنفس جوراً لا ينفك إلا بالسخط عنها، وغروراً لا ينكشف إلا بالنهمة لها؛ لأنها محبوبة تجور إذلالاً، وتغر مكرراً، فإن لم يسئ الظن بها، غلب عليه جورها، وتموه عليه غرورها، فصار بمسورها قانعاً، وبالشبهة من أفعافها راضياً. وقد قالت الحكماء: من رضي عن نفسه، أسخط عليه الناس. وقال كشافهم:

لم أرض عن نفسي مخافة سُخطها ورضا الفتى عن نفسه إغضابها
ولو أني عنها رضيت لقصرت عما تزيد بسملة آدابها
وتبينت آثار ذاك فأكثررت عدلي عليه فطال فيه عتابها

١- أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمَا.

٢- وَيَقْرَأَ لِقِيَامِهِمَا.

٣- وَيَمْتَثِلَ (لَأَمْرِهِمَا) ^(١).

٤- وَلَا يَمْشِي أَمَامَهُمَا.

٥- وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ (أَصْوَاتِهِمَا) ^(٢).

٦- وَيَلْبِي دَعْوَتَهُمَا.

٧- وَيَحْرُصُ عَلَى (مَرْضَاتِهِمَا) ^(٣).

٨- وَيَخْفِضُ نَهْمًا (جَنَاحَ الذَّلِّ) ^(٤).

وقد استحس قول أبي تمام الطائي:

ويسىء بالإحسان ظناً لا كمن هو بانبه وبشعره مفتون

فلم يروا إساءة ظنه بالإحسان ذمًا، ولا استقلال عمله نوماً، بل رأوا ذلك أبلغ في الفضل وأبعث على الازدياد. فإذا عرف من نفسه ما تُجنّ، وتصور منها ما تُكنن، ولم يُطارِعها فيما تحبُّ إذا كان غيًّا، ولا صرفَ عنها ما تكره إذا كان رُشدًا، فقد ملكها بعد أن كان في ملكها، وغلِبها بعد أن كان في غلبتها.

وقد روى أبو حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشديد من غلب نفسه». وقال عون بن عبد الله: إذا غصبتك نفسك فيما كرهت، فلا تطعمها فيما أحببت، ولا يغرنك نداء من جهل أمرك. وقال بعض البلغاء: من قوّى على نفسه، تنهى في القوة، ومن صبر عن شهوته، بالغ في المروءة، فيحتشد يأخذ نفسه عند معرفة ما أكتسب، وخبرة ما أجنبت، بتقويم عوجها، وإصلاح فاسدها. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، متى يعرف الإنسان ربه؟ قال: «إذا عرف نفسه». ثم يُراعى منها ما صلح واستقام؛ من زيغ يحدث عن إغفال، أو ميل يكون عن إهمال؛ لئتم له الصلاح، وتستديم له السعادة فإن المغفل بعد المعاناة ضائع، والمهمّل بعد المراجعة ذائع.

(١) - في نسخة: (أمرهما).

(٢) - في نسخة: (صوتهما).

(٣) - في نسخة: (طلب مرضاتهما).

٩- وَلَا يَمُرُّ عَلَيْهِمَا بِالْبَرِّ لَهُمَا وَلَا بِالْقِيَامِ لَأَمْرِهِمَا.

١٠- وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا شَرْراً ^(١).

١١- وَلَا يَقْطُبُ وَجْهَهُ فِي (وَجْهِهِمَا) ^(٢).

١٢- وَلَا يُسَافِرُ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا.

[أَصْنَافُ النَّاسِ وَأَذَابُ مُجَالَسَتِهِمْ]:

وَأَعْلَمَ: أَنَّ النَّاسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ فِي حَقِّكَ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

١- إِمَّا أَصْدِقَاءُ.

٢- وَإِمَّا (مَعَارِفُ) ^(٣).

٣- وَإِمَّا مَجَاهِلُ.

□ فَإِنْ مُلِيتَ بِالْعَرَامِ الْمَجْهُورِينَ، (فَأَذَابُ مُجَالَسَتِهِمْ) ^(٤):

١- تَرْكُ الْخَوْضِ فِي حَدِيثِهِمْ.

٢- وَقِلَّةُ الإِصْغَاءِ إِلَى أَرْجَائِهِمْ.

٣- وَالتَّغَالُّلُ عَمَّا يَجْرِي مِنْ سُوءِ أَلْفَاظِهِمْ.

٤- وَالِاخْتِرَازُ عَنْ كَثْرَةِ لِقَائِهِمْ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ.

٥- وَالتَّنْبِيهُ عَلَى مُتَكَرَّرَتِهِمْ بِاللُّطْفِ وَالنَّصِيحَةِ عِنْدَ رَجَاءِ الْقَبُولِ مِنْهُمْ.

□ وَأَمَّا (الْإِخْوَانُ) ^(٥) وَالْأَصْدِقَاءُ ^(٦) فَعَلَيْكَ فِيهِمْ وَطِيفَتَانِ:

(٤) - في نسخة: (الجناس). يتمثل قول الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنْ

الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

(١) - وهو نظر الفضبان، مؤخر العين أو هو النظر عن يمين وشمال أو هو نظر فيه إعراض كما في

القاموس.

(٢) - في نسخة: (وجهيهما).

(٣) - في نسخة: (معارف).

(٤) - في نسخة: (فأدب بمجالسة العامة).

(٥) - في نسخة: (الإخوة).

إِحْدَاهُمَا: أَنْ تَطُوبَ رُؤَا شُرُوطَ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ، فَلَا تُوَارِخَ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ
لِلْأُخُوَّةِ وَالصَّدَاقَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ،
فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ»^(١).

فَإِذَا طَلَبْتَ رَافِقًا لِيَكُونَ شَرِيكَكَ فِي التَّعَلُّمِ وَصَاحِبَكَ فِي أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ فَارَاعِ فِيهِ
حَسَنَ حِصَالٍ:

الْأَوَّلَى: الْعَقْلُ، فَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ الْأَحْمَقِ، فَإِنِّي الْوَحْشَةُ وَالْقَطِيعَةُ يَرْجِعُ
آخِرُهُمَا، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَضُرَّكَ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ، وَالْعَدُوُّ الْعَاقِلُ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ
الْأَحْمَقِ.

قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَأَيُّكُمْ وَإِيَّاهُ	(فَلَا) تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ
حَلِيمًا حِينَ وَأَخَاهُ	فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرَدَى
إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءَ	يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ
إِذَا مَا الْفِعْلُ حَاذَاهُ ^(٢)	(كَحَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ
مَقَامَيْنِ وَأَشْأَبَاهُ	وَلِلشَّيْءِ مِنْ الشَّيْءِ
ذِيْلٌ حِينَ يَلْقَاهُ	وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ

(١) - أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٩).

وأخرجه الحاكم (١٧١/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد (٣٠٣/٢) عن عبد الرحمن، وموئل، قالوا: حدثنا زهير بن غمد - قال مؤمل:
الخراساني - حدثنا موسى بن وردان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء
على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط». وقال مؤمل: «من يخالل».

(٢) - في نسخة: (ولا).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - وعلى الإنسان أن يُحسن اختيار الإخوان قبل اصطفتهم فقد قال الإمام الماوردي في أدب
الدنيا والدين (ص ٢٦٦ - ٢٦٧): فإذا عزم على اصطفاء الإخوان سَرَّ أحوالهم قبل إصابتهم، وكشف
عن أخلاقهم قبل اصطفتهم؛ لما تقدم من قول الحكماء: اسير تحيّر. ولا تبعه الوحدة على الإقدام قبل
الخبرة، ولا حُسْن الظنِّ على الاغترار بالتصنع؛ فإنَّ المَلَقَّ - أي: القول الحسن مع حيث القلب -
مصائد العقول، والنفاق تدليس الفطن، وهما سحابة المتصنع، وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض
سجايها خير يُرجى، ولا صلاح يؤمل. ولأجل ذلك قالت الحكماء: اعرف الرجل من فعله، لا من
كلامه، واعرف محبته من عينه، لا من لسانه. وقال خالد بن صقوان: إنما نفقتُ عند إخواني؛ لأنِّي لم
أستعمل معهم النفاق؛ ولا قصرت بهم عن الاستحقاق...

ونذكر هنا اختلاف مذاهب الناس في كثرة الإخوان، فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا
والدين (ص ٢٧٥ - ٢٧٦): وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الإخوان؛ فمنهم من يرى أن
الاستكثار منهم أولى، ليكونوا أقوى منعةً ويدا، وأوفر تحبباً وتودداً، وأكثر تعاوناً وتفقداً. وقيل لبعض
الحكماء: ما العيش؟ قال: إقبال الزمان، وعزُّ السلطان، وكثرة الإخوان. وقد قيل: حلية المرء كثرة
إخوانه.

ومنهم من يرى أن الإقلال منهم أولى؛ لأنه أخفُّ اتِّعَالاً وكُفْلاً، وأقلُّ تنازعاً وخُلُقاً. وقد قال
الإسكندر: المستكثر من الإخوان من غير اختيار، كالمستوفر من الحجارة. والمقلُّ من الإخوان المتخير
لهم، كالذي يتخير الجوهر. وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غمهاؤه. وقال إبراهيم بن
العباس: مثل الإخوان كالنار؛ قليلها متاع، وكثيرها بوار. وقال بعض البلغاء: ليكن غرضك في اتخاذ
الإخوان، واصطناع النصحاء تكثير المدة، لا تكثير العدة، وتحصيل النفع، لا تحصيل الجمع، فواحدٌ
يحصلُ به المراد، خيرٌ من ألف يُكثَرُ الأعداد.

أما مذهب العقلاء وأهل الفضل في اتخاذ الإخوان فقد قال: وإذا كان التجانس والتشاكل من
قواعد الأخوة وأسباب المودة، كان وفور العقل، وظهور الفضل، يقتضي من حال صاحبه قلة إخوانه؛
لأنه يروم مثله، ويطلب شكله، وأمثاله من ذوي العقل والفضل، أقل من أضداده من ذوي الحمق
والنقص؛ لأن الخيار في كل جنس هو الأقل، فلذلك قل وفور العقل والفضل. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، قبل بهذا التعليل إخوان أهل
الفضل لقتلهم، وكثر إخوان ذوي النقص والجهل لكثرتهم...

الثَّانِيَةُ: حُسْنُ الْخُلُقِ، فَلَا تَصْحَبْ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالْمُتَهَرَّةِ، وَقَدْ جَمَعَهُ عَلَقَمَةُ الْعُطَارِدِيِّ رَجَمَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) ^(١) فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الرِّقَاةُ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِذَا أَرَدْتَ صُحْبَةَ إِنْسَانٍ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ، وَ(إِنْ) ^(٢) قَعَدْتَ بِكَ مُؤْنَةً مَانَكَ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ (بِخَيْرٍ) ^(٣) مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا، اصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَقَ قَوْلُكَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ أَمْرًا (أَمَرَكَ) ^(٤)، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي شَيْءٍ أَتَرَكَ.

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَزًا:

إِنِّ أَحَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبَ الزَّمَانِ صَدَّعَكَ شَسْتَتْ فِيكَ شَمْلُهُ لِيَجْمَعَكَ

الثَّالِثَةُ: الصَّلَاحُ، فَلَا تَصْحَبْ فَاسِقًا مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ، لِأَنَّ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ لَا يُصِرُّ عَلَى (كَبِيرَةٍ) ^(٥)، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ لَا تُؤْمِنُ غَوَايِلُهُ، بَلْ يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ (الْأَحْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ) ^(٦). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)﴾ ^(٧) [الكهف: ٢٨].
فَاحْذَرْ صُحْبَةَ الْفَاسِقِ، فَإِنَّ مُشَاهَدَةَ الْفَسْقِ وَالْمَعْصِيَةِ عَلَى الدَّوَامِ تُزِيلُ عَنْ قَلْبِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَعْصِيَةِ، وَيَهْوِي عَنْكَ أَمْرُهَا، وَلِذَلِكَ هَانَ عَلَى الْقُلُوبِ مَعْصِيَةُ الْغَيْبَةِ لِإِلْفِهِمْ لَهَا، وَلَوْ رَأَوْا خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مَلْبُوسًا مِنْ حَرِيرٍ عَلَى فِقِيهِ لَاشْتَدَّ انْكَارُهُمْ عَلَيْهِ، وَالْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (إذا).

(٣) - في نسخة: (للخير).

(٤) - في نسخة: (أعانك ونصرك).

(٥) - في نسخة: (معصية كبيرة).

(٦) - في نسخة: (الأعراض والأحوال).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

الرَّابِعَةُ: (لَا تَصْحَبْ) ^(١) حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا ^(٢)، فَصَحْبَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٍ، لِأَنَّ الطَّيَاعَ مَجْبُورَةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالْإِقْدَاءِ، بَلِ الطَّيْعُ يُسْرِقُ مِنَ الطَّيْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي؛ فَحَالَسَةُ الْحَرِيصِ تَزِيدُ فِي حِرْصِكَ، وَمَجَالَسَةُ الزَّاهِدِينَ تَزِيدُ فِي زُهْدِكَ.
الخَامِسَةُ: الصَّدَقُ، فَلَا تَصْحَبْ كَذَّابًا فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى غُرُورٍ، فَإِنَّهُ مِثْلُ السَّرَابِ، يُقَرِّبُ مِنْكَ الْبُعِيدَ وَيُبْعِدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ، وَلَعَلَّكَ تَعْدُمُ (اجْتِمَاعَ) ^(٣) هَذِهِ الْخِصَالِ فِي سُكَّانِ الْمَدَارِسِ وَالْمَسَاجِدِ.

■ فَعَلَيْكَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:

١- إِمَّا الْغُرْلَةَ وَالْإِنْفِرَادَ (فَقِيْهَا) ^(٤) سَلَامَتِكَ.

(١) - في نسخة: (أن لا يكون)

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٣٥٦ - ٣٥٨): وأما الحرص: فيسلب فضائل النفس، لاستيلائه عليها، وينع من التوفر على العبادة، لتشاغله عنها، ويعث على التورط في الشبهات؛ لقلة تحززه منها... وأن الحرص لا يستزيد بجرصه زيادةً على رزقه، سوى إذلال نفسه، وإسقاط خالقه. وروي: «الحرص الجاهد، والقنوع الزاهد، يستوفيان أكلهما غير منتقصٍ منه شيئاً، فعلام التهافت في النار». وقال بعض الحكماء: الحرصُ مفسدة للدين والمروءة، والله ما عرف من وجه رجلٍ حرصاً فرأيت أن فيه مصطنعاً. وقال آخر: الحرصُ أسير مهانة لا يفك أسره. وقال بعض البلغاء: المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمكابلة، فذلّل للمقادير نفسك، واعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك. وقال بعض الأدباء: رب حظ أدركه غير طالبيه، ودرّ أحرزه غير حالبه.... وليس للحرص غاية مقصودة يقف عندها، ولا نهاية محدودة يقتنع بها؛ لأنه إذا وصل بالحرص إلى ما أمل، أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل، وإذا لم يصل رأى إضاعة العناء لوماً، والصبر عليه حزمًا، وصار بما سلف من عنايه به أقوى رجاءً، وأبسط أملًا. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يشبُّ ابن آدم ويقي معه حصلتان: الحرص وطول الأمل». وقيل للمسيح عليه السلام: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب؟ قال: لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب. ولو صدق الحرص نفسه، واستنصح عقله، لعلم أن من تمام السعادة، وحسن التوفيق، الرضا بالقضاء، والقناعة بالقسم.

(٣) - في نسخة: (احتمال).

٢- وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُحَاطَتَكَ مَعَ شُرَكَائِكَ بِقَدَرِ حِصَّائِهِمْ،
بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْإِخْوَةَ ثَلَاثَةٌ^(١) :

(٢) - في نسخة: (فلان فيها).

(١) - ومن أقسام الداخلين في عدد الإخوان ما قاله الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٧ - ٢٧٩): وإذا كان الأمر على ما وصفنا، فقد تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من لا يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأما المعين والمستعين، فهو معاوض منصف، يؤدي ما عليه، ويستوفي ماله، فهو كالقرض: يُسعف عند الحاجة، ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعدور في استعانته؛ وهذه أعدل أحوال الإخوان.

وأما من لا يعين ولا يستعين، فهو متارك، قد منع خير، وقمع شره، فلا هو صديق يرجى، ولا هو عدو يُخشى. وقد قال المغيرة بن شعبه: التارك للإخوان متروك. ومن كان كذلك فهو كالنصورة المملثة؛ يروك حسنهما، ويخونك نفعهما؛ فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لنع خير، وإن كان باللوم أجدر. وقد قال الشاعر:

وأسوأ أيام الفتى يوم لا يرى له أحد يُزري عليه وينكر

غير أن فساد الوقت وتغير أهله، يوجب شكر من كان شره مقطوعاً، وإن كان خيرُه ممنوعاً، كما قال المختلي:

إنما لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً

وأما من يستعين ولا يعين، فهو لئيم كل، ومهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة، وبسط فيه الرهبة، فلا خير يُرجى، ولا شر يؤمن، وحسبك مهانة، من رجل يستقل عند إقلاقه، ويستقل عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب، وهو ممن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم، ومن سمهم لا من غذائهم. وقال بعض الحكماء: شر ما في الكريم أن يمنع خير، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره. وقال ابن الرومي:

عذرنا النحل في إبداء شوك يرد به الأنامل عن جناه

فما للعوسج الملعون أبدى لنا شوكاً بلا ثمير تراه؟

□ أخ لاخبرتك فلا تراخ فيه إلا الدين.
□□ وأخ لذنبك فلا تراخ فيه إلا الخلق الحسن.
□□□ وأخ (لئيم) به فلا تراخ فيه إلا السلامة من شره
وفتنه وخبيته.

والناس ثلاثة:

أحدهم: مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه.

والآخر: مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دونه وقت.

و(الثالث)^(٢): مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يبتلى به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع، فتجرب مداراته إلى الخلاص منه، وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها، وهو أن تشهد من خباثت أحواله وأفعاله ما تستقيحه فتجنيه.
فالسعيد من وعظ بغيره، والمؤمن مرآة المؤمن، وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟
(فقال)^(٣): ما أدبني أحد لكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته^(٤)، ولقد صلق (على نبينا وعليه الصلاة والسلام)^(٥)، فلما اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لکملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين.

وأما من يعين ولا يستعين، فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، قد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقیلاً في نأية، ولا يفعد عن بهية في معونة؛ فهذا أنشرف الإخوان نفساً، وأكرمهم طبعاً؛ فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله - وقل أن يكون له مثل؛ لأنه البر الكريم، والدر اليتيم - أن يشفي عنيه خصره، ويعض عليه بناجذه، ويكون به أشد ضماً منه بنفائس أمواله، وسبي ذخائره، لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، وما كان أعم نفعاً، فهو بالأدخار أحق....

(١) - في نسخة: (تستأنس).

(٢) - في نسخة: (الأخر).

(٣) - في نسخة: (قال).

(٤) - أورده الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٣٦٥).

(٥) - في نسخة: (صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم).

الوظيفة الثانية: مُرَاعَاةُ حُقُوقِ الصُّحْبَةِ، فَمَهْمَا انْعَقَدَتِ الشَّرَكَةُ، وَانْتَهَضَتِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَرِيكَكَ الصُّحْبَةُ، فَعَلَيْكَ حُقُوقُ يُوجِبُهَا عَقْدُ الصُّحْبَةِ، وَفِي الْقِيَامِ بِهَا آدَابٌ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ، مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى»^(١).

وَدَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْمَةً فَاجْتَنَى مِنْهَا سِوَاكَيْنِ، أَحَدُهُمَا مِعْوُجٌ، وَالْآخَرُ مُسْتَقِيمٌ، وَكَانَ مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَأَعْطَاهُ الْمُسْتَقِيمَ وَأَمْسَكَ لِنَفْسِهِ الْمِعْوُجَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، (أَنْتَ)^(٢) أَحَقُّ مِنِّي بِالْمُسْتَقِيمِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا (وَيُسْأَلُ)^(٣) عَنْ صُحْبَتِهِ، هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ»^(٤).

وَأَدَابُ الصُّحْبَةِ:

- ١- الإِثَارُ بِالْمَالِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا، فَذَلُّ الْفَضْلِ مِنَ الْمَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ.
- ٢- وَالْإِعَانَةُ بِالنَّفْسِ فِي الْحَاجَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَادَرَةِ مِنْ غَيْرِ إِحْوَاجٍ إِلَى التَّمَاسِ.
- ٣- وَكِتْمَانُ السَّرِّ، وَسِتْرُ الْغُيُوبِ، وَالسُّكُوتُ عَنْ تَبْلِيغِ مَا (يُسَوُّهُ)^(٥) مِنْ مَذْمُومٍ النَّاسِ إِثْبَاتًا.

(١) - قال العراقي في المغني عن جمل الأسفار (١٥٨/٢): رواه السُّلَمِيُّ في آداب الصُّحْبَةِ، وأبو منصور الدِّينِيُّ في مسند الفردوس من حديث أنس. بزيادة: (إذا التقيا)، وفيه: أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب. قلت: لم أجده في مسند الفردوس للدِّينِيِّ. وانظره في إتحاف السادة المتقين (٢٠٤/٦).

(٢) - في نسخة: (إنك).

(٣) - في نسخة: (مُثَل).

(٤) - لم أجده بهذا اللفظ. ولكن أخرج الطيالسي (٢٠٥٣) والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٤) والبيهقي في شرح السنة (٣٤٦٦) وابن حبان (٥٦٦) عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما تحابَّ اثنان في الله، إلا كان أحدهما أخداهما حياً لصاحبه». وذكر هذا الحديث المصنف في الإحياء.

(٥) - في نسخة: (يسوته).

٤- وَإِبْلَاحُ مَا يَسْرُهُ مِنْ نَسَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَحُسْنُ الْإِصْغَاءِ عِنْدَ الْحَدِيثِ، وَتَرْكُ الْمُمَارَاةِ فِيهِ.

٥- وَأَنْ يَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُنَبِّئَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ مَحَاسِنِهِ، وَأَنْ يَشْكُرَهُ عَلَى صَنِيعِهِ فِي (حَقِّهِ)^(١)، وَأَنْ يَذُبَّ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ إِذَا تَعَرَّضَ لِعَرَضِهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَنْصَحَهُ بِاللُّطْفِ وَالتَّعْرِيفِ إِذَا احتَاجَ إِلَيْهِ.

٦- وَأَنْ يَعْفُرَ عَنْ زَلَّتِهِ وَهَفْوَتِهِ، (وَلَا)^(٢) يَتَعَبَّ عَلَيْهِ.

٧- وَأَنْ يَدْعُوهُ لَهْ فِي خَلْوَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.

٨- وَأَنْ يُحْسِنَ الْوَفَاءَ مَعَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

٩- وَأَنْ يُؤَيِّرَ التَّخْفِيفَ عَنْهُ فَلَا يَكْلِفُهُ شَيْئاً مِنْ (حَاجَاتِهِ، فَيُرَوِّحُ سِرَّهُ)^(٣) مِنْ مُهِمَّاتِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْفَرَحَ بِجَمْعٍ مَا (يَرْتَاحُ)^(٤) لَهُ مِنْ مَسَارَةٍ، وَالْحُزْنَ (بِمَا)^(٥) يَنَالُهُ مِنْ مَكَارِهِ، وَأَنْ يُضْمِرَ (فِي قَلْبِهِ)^(٦) مِثْلَ مَا يُظْهِرُهُ فَيَكُونُ صَادِقاً فِي رَدِّهِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً.

١٠- وَأَنْ يُبْدَاهُ بِالسَّلَامِ عِنْدَ إِقْبَالِهِ، وَأَنْ يُوسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ.

١١- وَيُخْرِجَ لَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَأَنْ يُشِيعَهُ عِنْدَ قِيَامِهِ.

١٢- وَأَنْ يَصْمُتَ عِنْدَ كَلَامِهِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ (كَلَامِهِ، وَيَتَرَكُ)^(٧) الْمُدَاحَّةَ فِي كَلَامِهِ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فِعَالُهُ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ، فَمَنْ لَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَأُخْرَتُهُ زِنَاقٌ، وَهِيَ عَلَيْهِ (وَبَالٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)^(٨).

(١) - في نسخة: (وجهه).

(٢) - في نسخة: (فلا).

(٣) - في نسخة: (حاحته، ويروح قلبه).

(٤) - في نسخة: (يتاح).

(٥) - في نسخة: (على).

(٦) - ما بين: () بزيادة من نسخة.

(٧) - في نسخة: (خطاه، وترك).

(٨) - في نسخة: (في الدنيا والآخرة وبال).

فَهَذَا أَذِنَكَ فِي حَقِّ النُّعَامِ الْمَجْهُولِينَ، وَفِي حَقِّ الْأَصْدِقَاءِ الْمُوَاجِبِينَ.

□ وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّالثُ: وَهُمْ (الْمَعَارِفُ) ^(١):

فاحذر منهم، فَإِنَّكَ لَا تَرَى الشَّرَّ إِلَّا بِمَنْ تَعْرِفُهُ، مِمَّا الصَّدِيقُ يُبَيِّنُكَ، وَأَمَّا الْمَجْهُولُ: فَلَا يَتَعَرَّضُ لَكَ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ كُلُّهُ مِنْ (الْمَعَارِفِ) ^(٢) الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الصَّدَاقَةَ بِالسُّبُوتِ.

فَأَقْلَلْ مِنَ الْمَعَارِفِ مَا قَدِرْتَ، فَإِذَا بَلَّيْتَ بِهِمْ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ (مَسْجِدٍ أَوْ جَامِعٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ بَلَدٍ) ^(٣)، فَيَحِبُّ أَنْ لَا (تَسْتَصْغِرَ) ^(٤) مِنْهُمْ أَحَدًا، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعْنَهُ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَلَا تَنْظُرْ إِلَيْهِمْ بَعْنَ التَّعْظِيمِ لَهُمْ فِي خَالَ دُنْيَاهُمْ فَتَهْلِكَ، لِأَنَّ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ (تَعَالَى) ^(٥) صَغِيرٌ مَا فِيهَا، وَمَهْمَا عَظُمَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِكَ فَقَدْ سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِيَّاكَ أَنْ تُبَدِّلَ لَهُمْ دِينَكَ لِتَنَالَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، (فَلَا) ^(٦) يَفْعَلْ ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا صَغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ، ثُمَّ حُرِمَ مَا عِنْدَهُمْ.

وَإِنْ عَادَوْكَ فَلَا تُقَابِلَهُمْ بِالْعِدَاوَةِ، فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ فَيَذْهَبُ دِينُكَ فِي عِدَاوَتِهِمْ، (وَيَطُولُ) ^(٧) عَنَّاؤُكَ مَعَهُمْ.

وَلَا تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ فِي خَالَ إِكْرَامِهِمْ إِلَيْكَ، وَتَسَاتِيهِمْ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ، وَإِظْهَارِهِمْ الْمَوَدَّةَ لَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ لَمْ تَجِدْ فِي الْجَنَّةِ وَاحِدًا، وَلَا تَطْمَعُ أَنْ يَكُونَ لَكَ فِي (السَّرِّ وَالْعَلَنِ وَاحِدًا) ^(٨).

وَلَا تَتَعَجَّبْ إِنْ تَلَبَّرَكَ فِي غَيْبَتِكَ، وَلَا تَغْضَبْ مِنْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ أَنْصَفْتَ وَجَدْتَ (مِنْ) ^(١) نَفْسِكَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى فِي أَصْدِقَائِكَ وَأَقَارِبِكَ، بَلْ فِي أَسْتَاذِكَ وَالِدَيْكَ، فَإِنَّكَ تَذْكُرُهُمْ فِي الْغَيْبَةِ بِمَا لَا تَشَافَهُهُمْ بِهِ فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْ مَالِهِمْ وَجَاهِهِمْ وَمَعُونَتِهِمْ، فَإِنَّ الطَّمَعَ فِي الْأَكْثَرِ خَائِبٌ فِي الْمَالِ، وَهُوَ ذَلِيلٌ لَا مَحَالَةَ فِي الْحَالِ، (وَإِذَا) ^(٢) سَأَلْتَ وَاحِدًا حَاجَةً فَقَضَاهَا، فَاشْكُرْ اللَّهَ تَعَالَى وَاشْكُرْهُ، وَإِنْ قَصَرَ فَلَا تُعَاتِبْهُ، وَلَا تُشَكِّهِ فَتَصِيرَ عِدَاوَةً، وَكُنْ كَالْمُؤْمِنِ يَطْلُبُ الْمَعَافِيرَ، وَلَا تَكُنْ كَالْمُنَافِقِ يَطْلُبُ الْغُيُوبَ، وَقُلْ لَعْنَهُ قَصَرَ يُعْذِرُ لَهُ لَمْ أَطْلِعْ عَلَيْهِ.

وَلَا تَعْظَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ مَا لَمْ تَتَوَسَّمْ فِيهِ أَوَّلًا مَخَالِلَ الْقَبُولِ وَإِلَّا لَمْ يَسْتَمِعْ (مِنْكَ) ^(٣)، وَصَارَ حُصْمًا عَلَيْكَ، فَإِذَا أَخْطَاؤُكَ فِي مَسْأَلَةٍ، وَكَانُوا يَأْتِفُونَ مِنْ (التَّعْلِيمِ) ^(٤) مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَلَا تَعْلَمُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْكَ عِلْمًا، وَيَصْبِحُونَ لَكَ أَعْدَاءً، إِلَّا إِذَا تَعَلَّقَ ذَلِكَ بِمَعْصِيَةٍ يُقَارِفُوتُهَا عَنْ جَهْلِ مِنْهُمْ، فَادْكُرِ الْحَقَّ بِالطُّفْرِ مِنْ غَيْرِ غُفْرِ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ كَرَامَةً وَخَيْرًا، فَاشْكُرِ اللَّهَ الَّذِي حَبَّبَكَ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ شَرًّا فَكِلْهُمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ، وَلَا تُعَاتِبُهُمْ، وَلَا تَقُلْ لَهُمْ: لِمَ لَمْ تَعْرِفُوا حَقِّي وَأَنَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ، وَأَنَا الْفَاضِلُ فِي الْعُلُومِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْحَمَقِيِّ، وَأَشَدُّ النَّاسِ حِمَاةً مَنْ يُرَكِّي نَفْسَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهَا.

وَأَعْلَمْ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُسَلِّطُهُمْ عَلَيْكَ إِلَّا لِدَنْسِ سَبَقِ مِنْكَ، فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِكَ.

وَأَعْلَمْ: أَنَّ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ مِنَ اللَّهِ (تَعَالَى) ^(٥).

وَكُنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ سَمِيعًا لِحَقِّهِمْ، أَصَمَّ عَنْ بَاطِلِهِمْ، نَطُوفًا بِمَحَاسِنِهِمْ، صُمُوتًا عَنْ مَسَاوِيهِمْ، وَاحْذَرِ مُخَالَطَةَ مُتَفَقِّهِمُ الزَّمَانِ، لَا سِيمَا الْمُشْتَغِلِينَ بِالْجِلَافِ وَالْجِدَالِ،

(١) - في نسخة: (في).

(٢) - في نسخة: (فإذات).

(٣) - في نسخة: (لك).

(٤) - في نسخة: (التعليم).

(٥) - في نسخة: (تعالى لك).

(١) - في نسخة: (المعارف).

(٢) - في نسخة: (المعارف).

(٣) - في نسخة: (جامع أو مسجد أو بلد أو سوق).

(٤) - في نسخة: (تستحقق).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (فلم).

(٧) - في نسخة: (فيطول).

(٨) - في نسخة: (العلن والسر واحد).

وَاحْذَرُ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَرْتَبِضُونَ بِكَ (لِحَسَدِهِمْ) ^(١) رَبِّ الْمُنُونِ، وَيَقْطَعُونَ عَلَيْكَ بِالْفَنُونِ، وَيَتَغَامَزُونَ وَرَاءَكَ (بِالْيُونِ) ^(٢)، يُحْضِرُونَ عَلَيْكَ عَثْرَاتِكَ فِي عَشْرَتِهِمْ حَتَّى يُجْهِوْكَ بِهَا فِي (حَالِ) ^(٣) غَيْظِهِمْ وَمُنَاطَرَتِهِمْ، لَا يَقِيلُونَ لَكَ عَثْرَةً، وَلَا يَغْفِرُونَ لَكَ زَلَّةً؛ وَلَا يَسْتَرُونَ عَلَيْكَ عَوْرَةً، يُحَاسِبُونَكَ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ، وَيَحْسُدُونَكَ عَلَى الْقَيْلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَيَحْرَضُونَ عَلَيْكَ الْإِخْوَانَ بِالنِّمِصَةِ، وَالْبَلَاغَاتِ وَالْبَهْتَانِ؛ إِنْ (رَضُوا) ^(٤) فَظَاهَرَهُمُ الْمَلِكُ، وَإِنْ سَخَطُوا فَبَاطَنَهُمْ (الْحَقُّ) ^(٥)، ظَاهَرَهُمْ يُبَابٌ، وَبَاطَنَهُمْ ذُنَابٌ. هَذَا حُكْمٌ مَا قَطَعْتَ بِهِ الْمَشَاهِدَةَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ إِلَّا مِنْ عِصْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَصَبِحَهُمْ حُسْرَانٌ وَمُعَاشَرَتُهُمْ خَذْلَانٌ.

هَذَا حُكْمٌ مَنْ يُظْهِرُ لَكَ الصَّدَاقَةَ، فَكَيْفَ مَنْ يُجَاهِرُكَ بِالْعَدَاوَةِ؟

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ مَعْرُوفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فَاحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةً
فَلَرَبَّنَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ فَكَأَنَّ أَغْرَفَ بِالْمَضْرُوءِ
وَكَذَلِكَ (قَالَ ابْنُ تَمَامٍ) ^(١):

عَدُوَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٍ فَلَا تَسْتَكْبِرُونَ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
وَكَفَى كَمَا قَالَ هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الرُّقْمِيُّ:
لَمَّا عَوَرْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

(١) - في نسخة: (بحسبهم).

(٢) - في نسخة: (بالعيوب).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (رفضوا).

(٥) - في نسخة: (الحق). والحق: الغيظ.

(٦) - في نسخة: (قيل في المعنى).

إِنِّي أَحْيَى عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَاهُ لَأُدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّجِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَيْعُضُهُ كَأَنَّهُ قَدْ مَلَأَ قَلْبِي مَسَرَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنَ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ (دَوَاءٌ) ^(١) الْمَحْضُ تَرَكُّهُمْ وَفِي الْحَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ الْأَحْوَاتِ
فَسَالِمِ النَّاسِ تَسْلَمُ مِنْ عَوَائِلِهِمْ وَكُنْ حَرِيصاً عَلَى كَسْبِ (التَّقِيَّاتِ) ^(٢)
وَخَالِقِ النَّاسِ وَأَصْبِرْ مَا بُلِيتَ بِهِمْ أَصَمَّ أَبْكَمَ أَغْمَى ذَا تَقِيَّاتِ
وَكَفَى أَيْضاً كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْقَ صَدِيقُكَ وَعَدُوُّكَ بَوَاحٍ الرِّضَا، مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ (لَهُمَا) ^(٣)، وَلَا هَيْبَةٍ مِنْهُمَا، وَتَوَقَّرْ مِنْ غَيْرِ كَبِيرٍ، وَتَوَاضَعْ مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ، وَكُنْ فِي حَيِّصٍ أُمُورِكَ فِي (أَوْسَطِهَا) ^(٤)، فَكَيْلًا طَرَفِي الْأُمُورِ، كَمَا قِيلَ:

عَلَيْكَ بِأَرْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصَّرَاطِ قَوِيْمُ
وَلَا تَكْ فِيهَا مُفْطِئاً أَوْ مُفْطِئاً فَإِنَّ كَيْلَ حَالِ الْأُمُورِ ذَمِيْمُ
وَلَا تَنْظُرْ فِي عِطْفَيْكَ، وَلَا تُكْثِرِ الْإِلْتِفَاتِ (إِلَى وَرَائِكَ) ^(٥)، وَلَا تَقِفْ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِذَا جَلَسْتَ فَلَا تَسْتَوْفِرْ، وَحَفِظْ مِنْ تَشْيِيكِ أَصَابِعِكَ، وَالْعَبَثِ بِلِحْيَتِكَ وَخَاتَمِكَ، وَتَحْيِيلِ أَسْنَانِكَ، وَإِذْخَالِ أُصْبُعِكَ فِي أَنْفِكَ، وَكَثْرَةِ بَصَاقِكَ وَتَنَحُّمِكَ، وَطَرْدِ الذُّبَابِ عَنْ وَجْهِكَ، وَكَثْرَةِ التَّمْطِيِ وَالتَّشَاوُبِ فِي وَجْهِ النَّاسِ، وَفِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.

وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ هَادِئاً، وَحَدِيثُكَ مَنْظُوماً، وَأَصْغِ إِلَى الْكَلَامِ الْحَسَنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ تَعْجَبٍ مُفْطِئٍ، وَلَا تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ، وَاسْكُتْ عَنِ الْمَصَاحِلِ وَالْعِيَايَاتِ، وَلَا تُحَدِّثْ عَنْ إِعْجَابِكَ بِوَلَدِكَ وَشِعْرِكَ وَكَلَامِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يَخْصُصُكَ، وَلَا تَصْنَعْ

(١) - في نسخة: (دواء).

(٢) - في نسخة: (المودات).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (أوساطها).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

تَصْنَعُ الْمَرْأَةُ فِي التَّزْيِينِ وَلَا تَبْدُلُ كِبْدُلَ الْعَبْدِ، وَتَوَقُّ كَثْرَةَ الْكَيْخَلِ وَالْإِسْرَافِ فِي الدُّهْنِ، وَلَا تُلِجَ فِي الْحَاجَاتِ، وَلَا تُشَجِّعْ أَحَدًا عَلَى (الظُّلْمِ) ^(١).

وَلَا تُعَلِّمْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ - فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ - مِقْدَارَ مَالِكَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قَلِيلًا هِنَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ رَأَوْهُ كَثِيرًا لَمْ يَبْلُغْ (قَطْرَ رِضَاهُمْ) ^(٢)، وَاجْفَهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، وَلَكِنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، وَلَا تُهَازِنِ أَمْتَكَ وَلَا عَبْدَكَ فَيَسْقُطَ وَقَارُكَ (مِنْ قُنُوبِهِمْ) ^(٣).

وَإِذَا خَاصَمْتَ فَتَوَقَّرْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ وَعَجَلِكَ، وَتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ، وَلَا تُكْثِرِ الْإِشَارَةَ يَدَيْكَ، وَلَا تُكْثِرِ الْإِلْفَاتِ إِلَى وَرَائِكَ، وَلَا تَحُثْ عَلَى رُكْبَتَيْكَ، وَإِذَا هَذَا غَضَبُكَ فَتَكَلَّمْ، وَإِذَا قَرَّبَكَ السُّلْطَانُ فَكُنْ (مِنْهُ) ^(٤) عَلَى حَدِّ السَّنَانِ.

وَرِيَاكَ وَصَدِيقَ الْعَافِيَةِ، فَإِنَّهُ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ، وَلَا تَجْعَلْ مَالَكَ أَكْرَمَ مِنْ عِرْضِكَ.

(فَهَذَا) ^(٥) الْقَدْرُ يَا فَتَى يَكْفِيكَ مِنْ بَدَايَةِ الْهَدَايَةِ، فَحَرِّبْ بِهَا نَفْسَكَ فَإِنَّهَا ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

□ قِسْمٌ فِي آذَابِ الطَّاعَاتِ.

□ وَقِسْمٌ فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي.

□ وَقِسْمٌ فِي مُخَالَطَةِ الْخَلْقِ.

وَهِيَ حَامِيَةٌ لِحِمْلِ مُعَامَلَةِ الْعَبْدِ مَعَ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ، فَإِنْ رَأَيْتَهَا مُنَاسِبَةً لِنَفْسِكَ وَرَأَيْتَ قَلْبَكَ مَائِلًا إِلَيْهَا رَاجِعًا فِي الْعَمَلِ بِهَا.

فَاعْلَمْ: أَنَّكَ عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ (تَعَالَى) ^(٦) (بِالْإِيمَانِ قَلْبَكَ) ^(٧) وَشَرَحَ بِهِ صَدْرَكَ، وَتَحَقَّقْ أَنَّ لِهَذِهِ الْبَدَايَةَ نِهَائَةً، وَوَرَاءَهَا أَسْرَارًا وَأَعْوَارًا وَعُلُومًا وَمُكَاشَفَاتٍ ^(٨)، وَقَدْ أَوْدَعْنَاهَا فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ، فَاشْتَغَلْ بِتَحْصِيلِهِ.

(١) - فِي نَسَخَةِ: (ظُلْم).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (رِضَاهُمْ قَطْرَ).

(٣) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةِ.

(٤) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةِ.

(٥) - فِي نَسَخَةِ: (وَهَذَا).

(وَإِنْ) ^(١) رَأَيْتَ نَفْسَكَ (تَسْتَقِيلُ) ^(٢) الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْوُطَائِفِ، وَتَتْرِكْ هَذَا الْفَنَّ مِنَ الْعِلْمِ، وَتَقُولَ لَكَ نَفْسُكَ: أَنَّى يَنْفَعُكَ هَذَا الْفَنُّ فِي مَحَافِلِ الْعُلَمَاءِ؟ وَمَتَى يُعْذِمُكَ هَذَا عَلَى الْأَقْرَانِ وَالنَّظَرَاءِ؟ وَكَيْفَ يُرْفَعُ مَنْصِبُكَ فِي مَحَالِسِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ، (وَكَيْفَ يُوَصِّلُكَ) ^(٣) إِلَى الصَّلَةِ وَالْأَرْزَاقِ وَوَلَايَةِ الْأَوْقَافِ وَالْقَضَاءِ؟.

فَاعْلَمْ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَغْوَاكَ وَأَنَسَاكَ مُتَقَلِّبَكَ وَمَثْوَاكَ، فَاطْلُبْ لَكَ شَيْطَانًا مِثْلَكَ! يُعَلِّمُكَ مَا تَنْظُرُ أَنَّهُ يَنْفَعُكَ وَيُوَصِّلُكَ إِلَى بُعَيْتِكَ.

ثُمَّ اْعْلَمْ: أَنَّهُ قَطْرٌ لَا يَصْفُو لَكَ الْمُلْكَ فِي مَحَلَّتِكَ فَضْلًا عَنْ قَرْنَتِكَ وَبَلَدِكَ، ثُمَّ يَقْوُتْكَ الْمُلْكُ الْمُقِيمُ وَالتَّعْيِيمُ الدَّائِمُ فِي جَوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ.

(٦) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةِ.

(٧) - فِي نَسَخَةِ: (قَلْبِكَ بِالْإِيمَانِ).

(٨) - وَهِيَ غَايَةُ الْعُلُومِ: وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ نُورٍ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَ تَطْهِيرِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْمَذْمُومَةِ وَيُنْكَشِفُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أُمُورَ كَثِيرَةٍ حَتَّى تَحْصُلَ الْمَعْرِفَةُ الْحَقِيقِيَّةُ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِصِفَاتِهِ الْبَاقِيَاتِ التَّامَاتِ وَبِأَعْمَالِهِ وَبِحُكْمِهِ فِي حُكْمِ خَلْقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَوَجْهَ تَرْبِيَةِ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا. (مِرَاقِي الْعِبْرَةِ ص ٩١).

(١) - فِي نَسَخَةِ: (فَإِذَا).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (تَسْتَقِيلُ).

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (لِيُوصِّلَكَ).

فهرس الآيات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم..... ٣٥	سورة يس ﴿٦٥﴾..... ١٠٨
سورة البقرة ﴿٤١﴾..... ١١٢	سورة ص ﴿٨٢ - ٨٥﴾..... ٧٧
﴿٢٨٥﴾..... ٧٦	سورة غافر ﴿١٩﴾..... ٢٧
سورة آل عمران ﴿٦١﴾..... ١١١	سورة فصلت ﴿٣٤﴾..... ١٢٧
سورة النساء ﴿١٠﴾..... ١١٩	سورة الحجرات ﴿٤١﴾..... ١١٦ و ١١٥ و ١٢٢
سورة المائدة ﴿٦﴾..... ٤٥ و ٤٤	سورة الطور ﴿١٦﴾..... ١٢٤
سورة الأنعام ﴿٦٨﴾..... ١١٩	سورة النجم ﴿٣٢﴾..... ١١٧ و ٣٩ ﴿٣٩﴾..... ١٢٤
سورة الأعراف ﴿١٢﴾..... ١٣٥	سورة الواقعة ﴿٢٧ - ٤٠﴾..... ٦٥
سورة هود ﴿٦﴾..... ١٢٢	سورة الحديد ﴿٤﴾..... ١٤٥
سورة يوسف ﴿٥٣﴾..... ١٥٣ و ١٨	سورة الصف ﴿٢﴾..... ٢٣
سورة الحجر ﴿٤٤﴾..... ١٠٨	سورة الملك ﴿١﴾..... ٧٦
سورة النحل ﴿٩٤﴾..... ١١١	سورة المزمل ﴿٦﴾..... ٧١
سورة الإسراء ﴿٢٤﴾..... ٥٣	سورة المائدة ﴿٣٨﴾..... ١٢٣
سورة الكهف ﴿٢٨﴾..... ١٥١	سورة النازعات ﴿٢﴾..... ١٤٠
﴿١٠٣ - ١٠٤﴾..... ١٨	سورة عبس ﴿١٥ - ١٦﴾..... ٦٦
سورة طه ﴿٧﴾..... ٧٠	سورة الإنشطار ﴿١٣ - ١٤﴾..... ١٢٤
سورة المؤمنون ﴿٥ - ٦﴾..... ١٢٢	سورة النور ﴿١﴾..... ٨١
﴿٩٨﴾..... ٣٥	سورة الأعلى ﴿١﴾..... ٧٣
سورة النور ﴿٢٤﴾..... ١٠٨	سورة الشمس ﴿١﴾..... ١٥٣
سورة الفرقان ﴿٢٢﴾..... ١٢٠	سورة الليل ﴿١﴾..... ٧٠
سورة القصص ﴿٥٥﴾..... ١٢٠	سورة الكافرون ﴿١﴾..... ٨١ و ٧٣
سورة السجدة ﴿١﴾..... ٧٦ و ٧٣ و ٢٢..... ٧٦	سورة الإخلاص ﴿١﴾..... ٩٤ و ٨١ و ٧٦
﴿١٦﴾..... ٧٢	سورة الفلق ﴿١﴾..... ١٢٧ و ٩٤ و ٧٦
سورة الأحزاب ﴿١٩﴾..... ١١٦	سورة الناس ﴿١﴾..... ٩٤ و ٧٨ و ٧٦
سورة فاطر ﴿٣٢﴾..... ٦٦	

فهرس الأحاديث والآثار

اللهم حرم شعري وبشري على النار..... ٣٧	الآيات من آخر سورة البقرة..... ٧٦
اللهم ذا الحبل الشديدي..... ٥٠	اتقوا اللاجئين..... ٣١
اللهم رب هذه الدعوة التامة..... ٧١	اتقوا الملاعن، وأعدوا الليل..... ٣٠
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي..... ٨٧	اجتنبوا في العمل..... ١٠٦
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..... ٨٧ و ٥٩ و ٥٣	اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً..... ٧٣
اللهم طهر قلبي من النفاق..... ٣٣	ارحموا عزيز قوم ذل..... ١٤٨
اللهم غشني برحمتك..... ٣٧	استعينوا بطعام النحر..... ٦٨
اللهم فاطر السموات والأرض..... ٢٨	استعينوا على قضاء الحوائج..... ١٢٨
اللهم فك رقبي من النار..... ٣٨	استشهد رجل منا يوم أحد..... ١١١
اللهم لا مانع لما أعطيت..... ٥٩	البسوا من ثيابكم اللبى..... ٩١
اللهم هذا الدعاء عليك والإجابة..... ٥٠	الله أكبر كبيراً..... ٨٠
اللهم يا غني يا حميد..... ٩٤	اللهم اجعل لي نوراً في قلبي..... ٥١
أتدرون ما الغيبة؟..... ١١٥	اللهم اجعلي من التوابين..... ٤٠
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فضليت معه المغرب..... ٧١	اللهم اجعلي من الذين يستمعون القول..... ٣٨ - ٣٧
أحب للناس ما تحب لنفسك..... ١٣١	اللهم اكفني خيالاتك عن حرامك..... ٩٥
إذا أتى أحدكم الغائط..... ٣٠	اللهم اغفر لي وافتح لي..... ٤٨
إذا أتيت الغائط فلا تسبقوا القبلة..... ٣١	اللهم اهدنا..... ٨٨
إذا آمن الإمام فأنشأ..... ٨١	اللهم اهدني فيمن هديت..... ٨٩ و ٨٣
إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح بوله..... ٣٢	اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت..... ٥٦
إذا بال أحدكم فليترد لبوله..... ٣٢	اللهم أنت السلام ومنك السلام..... ٥٤
إذا توضأتم فلا تنفضوا أيديكم..... ٤١	اللهم أرحمني رائحة الجنة..... ٣٦
إذا جاء أحدكم والإمام يخطب..... ٩٣	اللهم أعطني كتابي يميني..... ٣٧
إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب..... ٩٣	اللهم أعني على ثلاثة كتابك..... ٣٦
إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين..... ٩٠	اللهم إنا نسألك أن تجتنب في هذا اليوم إلى كل خير..... ٢٨
إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم..... ٤٨	اللهم إني أسألك إيماناً خالصاً..... ٤٩
إذا رأيت من يبيع أو يبتاع في المسجد..... ٤٨	اللهم إني أسألك إيماناً صادقاً..... ٥٠
إذا سجد أحدكم..... ٨٣	اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك..... ٤٧
إذا سمعتم النداء..... ٥٢	اللهم إني أسألك رحمة من عندك..... ٥١ و ٤٩
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً..... ٩٦	اللهم إني أسألك علماً نافعاً..... ٩٦
إذا صمت في الشهر ثلاثاً..... ١٠٠	اللهم إني أسألك عند إقبال إليك..... ٧٠
إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير..... ٨٨	اللهم إني أسألك عند حضور صلاتك..... ٥٣
إذا قال أحدكم: سبحان ربي العظيم ثلاثاً..... ٨٢	اللهم إني أسألك الغوز عند اللقاء..... ٥٠
إذا قام أحدكم عن فراشه..... ٧٦	اللهم إني أسألك من الخير كله..... ٥٤
إذا قلت لصاحبك..... ٩٤	اللهم إني أسألك اليمين والبركة..... ٣٥
أربع من كن فيه كان منافقاً..... ١١٤	اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره..... ٥٥
أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم..... ٣١	اللهم إني أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط..... ٣٩
أستغفر الله العظيم..... ٥٩	اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي..... ٣٧
أسلم المسلمين إسلاماً..... ٦٥	اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..... ٩٦ و ١٩
أشهد أن لا إله إلا الله وحده..... ٤٠	اللهم إني أنزل بك حاجتي..... ٥٠
أصبحنا على فطرة الإسلام..... ٢٨	اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا..... ٢٨
أصبحنا وأصبح الملك لله..... ٢٧	اللهم بيض وجهي بنورك..... ٣٦
	اللهم ثبت قدمي على الصراط..... ٣٩

أصيب رجل يوم أحد..... ١١١
أعدى أعدائك نفسك..... ١٥٣
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..... ٨١
أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله أغرم..... ٩٩
أقامها الله وأدامها..... ٥٣
أقنعوا عن المعاصي..... ١٠٥
أكثرُوا الصلاة علي في الليلة الزهراء..... ٩٣
أكثرُوا من ذكر هادم اللذات..... ٥٧
ألا أخبركم بالمؤمن؟..... ١٠٧
ألا أنبئكم بالفتية كل الفتية؟..... ١٤٦
الإمام راع ومسؤول عن رعيته..... ١٠٧
أمرت بالنسوة..... ٣٥
أمسيتها وأمسى لذلك فة..... ٢٨
أنا جالس من ذكرتي..... ١٤٣
أنا زعيم بيت في ربض الجنة..... ١١٧
أنا عند المنكسرة قلوبهم..... ١٤٣
أنا من غير الدجال أخوف عليكم..... ٢٣
أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة..... ١٣٢
أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث..... ١٠٥ و ١٠٠
أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع..... ٨٥
أولا تدري فقله تكلم فيما لا يعنيه..... ١١١
إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم يتبعه الله بعلمه..... ١٩
إن الحمد يأكل الحسنات..... ١٣٠
إن الحلال بين..... ١٢٥
أن رجلاً توفي فقالوا: أنبش بالجنة..... ١١١
إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها..... ١١٠
إن الرجل يتكلم بالكلمة ما يرى بها بأساً..... ١١٠
إن الرجل ليصلي الصلاة..... ٨٥
إن الرج ليصلي، ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عشرين..... ٨٥
إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته..... ٨٥
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معتزلاً..... ٤٤
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيده..... ٣٧
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح في وضوءه رأسه..... ٣٨
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسأل في الماء الراكد..... ٣١
إن الشهيد يؤمر به يوم القيامة..... ١٣٢
إن عامة عذاب القبر منه..... ٣٢
إن العبد إذا صلى في العارية فأحسن..... ٨٦
إن العبد ليتكلم بالكلمة يتزل بها في النار..... ١١٠
إن العبد ليصلي الصلاة..... ٨٥

إن العجب ليأكل الحسنات..... ١٣٣
إن في الجنة باباً يقال له الريان..... ١٠٤
إن للمتقين علامات..... ١١٤
إن المظلوم ليدعوا على ظالمه..... ١١٩
إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيته يوم فتح مكة..... ٦١
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة..... ٤٣
أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة..... ١٠٩
إنك تقضي ولا تقضى عليك..... ٨٨
إنما الأعمال بالخواتيم..... ٧٣
إنما الأعمال بخواتيمها..... ٧٣
إنما الصوم جنة..... ١٠٢
أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مسح رأسه..... ٣٨
أنه صلى الله عليه وسلم كان يستتره من البول..... ٣٢
أنه كان إذا اغتسل فتح عينيه..... ٤٣
أنه كان يصلي قبل الجمعة ركعتين..... ٩٥
أنه كان عن الشرك..... ١٣٤
أنه كان عن قيل وقال..... ١٤٩
إياكم والتماذج..... ١٣٤
إياكم وكثرة السؤال..... ١٤٩
أياكم المؤمن حياً؟..... ١١١
(ب)
باحتكم ربي وضعت جنبي..... ٧٥
بسم الله، آميت بالله..... ٤٧
بسم الله، أعوذ بالله..... ٢٩
بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء..... ٥٩
البقيات الصالحات..... ٤٨
البقيات الصالحات هي ذكر الله..... ٤٩
(ت)
التائب من الذنب..... ٢٣
تحت كل شعرة جناة..... ٤٤
تغروا الصدق..... ١١٢
تعرض الأعمال يوم الإثنين..... ١٠٠
تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين..... ٤٧
التقوى وحسن الخلق..... ١٠٩
تنزهوا من البول..... ٣٢
الجمعة ضربتان..... ٤٦
(ث)
ثلاث لا يجل لأحد أن يفعلهن..... ٨٩
ثلاث لا يسلم أحد منهن..... ١٣٠
ثلاث كفارات وثلاث درجات..... ١٢٦
ثلاث من كن فيه فهو منافق..... ١١٤
ثلاث مهلكات..... ١٢٦

(ح)
حب الدنيا رأس كل خطيئة..... ١٤١
حدثني أبطن الناس بعد الله بن مسعود..... ٦٩
الحريص الجاهد..... ١٥٩
الحمد يأكل الحسنات..... ١٣١
حسن السؤال نصف العلم..... ١٥٠
الحمد لله الذي أحياناً بعدما أمانات وإليه النشور..... ٢٧
الحمد لله الذي أذهب عني الأذى..... ٣٠
الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذني..... ٢٩
الحمد لله الذي وهب لنا هذا..... ٩٧
(خ)
خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلاء..... ٣١
حس يفترون الصائم..... ١٠٢ و ١٠١
خير شياكنم للتشبهون بشيوخكم..... ١٤٨
(د)
دب إليكم داء الأمم..... ١٢٧
دخل رجل المسجد..... ٩٣
دع ما يريك إلى ما لا يريك..... ١١١
دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه..... ٨٩
الدعاء بين الأذان والإقامة..... ٢٢
دعاني أبي علي بوضوء..... ٣٩
(ذ)
الذنب لا ينسى والبر لا يلى..... ١٠٥
(ر)
رأيت رسول الله توضعاً..... ٣٧
رأيت عمر يضرب أكف الرجال..... ٩٩
رب اغفر لي وارحمني..... ٨٣
ربنا لك الحمد ملء السموات..... ٨٢
رحم الله امرأً أصلح من لسانه..... ١١١
رحم الله امرأً صلى أربعاً..... ٦٩
ركعتان يسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك..... ٣٤
(س)
سبحان الله وبحمده، عدد خلقه..... ٥٦
سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم..... ٨١ و ٥٨
سبحان الله وأحمد له ولا إله إلا الله..... ٥٧
سبحانك اللهم وبحميدك..... ٤٠
سبحان ربى الأعلى..... ٨٣
سبحان ربى العظيم ثلاثاً..... ٨٢
سبح قدوس..... ٥٨
سلوا الله العافية..... ٧٢
السلام عليكم ورحمة الله..... ٨٤
سم الله لمن حمده..... ٨٢
السواك مطهرة للقم..... ٣٤

(ش)
الشديد من غلب نفسه..... ١٥٤
شر الناس من بغض الناس..... ١٣٠
(ص)
صليت وبررت..... ٥٢
صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يسلم عن يمينه..... ٨٤
صلاة الأوابين حين ترمض الفصال..... ٧١
صلاة يسواك..... ٣٤
صلاة الجماعة..... ٤٧
الصلاة خير من النوم..... ٥٢
الصلاة خير موضوع..... ٦١
صلاة على أثر سواك..... ٣٤
صم ثلاثة أيام من كل شهر..... ٩٩
صم من الحرم واترك..... ٩٩
صم من كل شهر يومين..... ٩٩
صيام يوم عاشوراء..... ٩٨
صيام يوم عرفة..... ٩٨
الصيام جنة..... ١٠٤ و ١٠٢
الصيام جنة من النار..... ١٠٢
(ع)
علماء السوء..... ٢٣
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم..... ٣٢
علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب..... ٢٠
علموا ولا تعفوا..... ١٤٦
العلم خزان ومفتاح السؤال..... ١٤٩
عليكم بذكر الله..... ١١٦
(غ)
غسل الجمعة على كل محتلم..... ٩١
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم..... ٩٠
غفرانك..... ٢٩
الغيبة أشد من الزنا..... ١١٤
فإنك تقضي ولا يقضى عليك..... ٨٩
فضل الصلاة بسواك..... ٣٤
فضل الصلاة التي يستاك بها..... ٣٤
فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم..... ٩٠
(ق)
قال الله تبارك وتعالى: كل حسنة عملها ابن آدم..... ١٠٣
قال الله تعالى: كل حسنة عشر أمثالها..... ١٠٣
قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم..... ١١١
قتله قتلهم الله..... ٤٥
قطعت مطاء..... ١٣٤

قل: لا إله إلا الله وحده..... ٥٨.
قبولاً فإن الشيطان لا يقبل..... ٦٨.
(ك)

كان ابن عمر يغفل الصلاة..... ٩٥.
كان أحب ما استتر به..... ٣١.
كان إذا دعا فرغ يديه..... ٨٩.
كان إذا كان بمكة فضلى الجمعة..... ٩٥.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل
الملاء..... ٢٩.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سكنت
المؤذن..... ٧٤.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى
يقراً..... ٧٦.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم
الإثنين والخميس..... ١٠٠.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى
يقول لا يفطر..... ٩٩.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره البول في
أفراء..... ٣٤.
كانت صحف مرسى عليه السلام كلها غير..... ١٠٦.
كان عبد الله إذا صلى كأنه ثوب ملقى..... ٨٥.
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن
يفرغ من صلاة العشاء..... ٤٦.
كان يحب الثيامن ما استطاع..... ٨٨.
كان يصل شعبان برمضان..... ٩٩.
كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس..... ٦٨.
كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا..... ١٠٩.
كل حنة يعملها ابن آدم..... ١٠٣.
كل عمل ابن آدم له إلا الصيام..... ١٠٣.
كل عمل ابن آدم له إلا الصيام..... ١٠٣.
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..... ١٠٧.
كلمتان خفيفتان على اللسان..... ٥٨.
كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
الضحى؟..... ٦١.
كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش..... ١٠٠.
كتب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر..... ٣٠.
الكيس من دان نفسه..... ١٢٣.

(ل)

لا أريج الله تجارتك..... ٤٨.
لا إله إلا الله الواحد القهار..... ٥٧.
لا غله إلا الله وحده لا شريك له..... ٥٤ و ٥٧.
لا إله إلا الله الملك الحق المبين..... ٥٧.
لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بفاعلة الكتاب..... ٨١.
لا تختلف صفوفكم..... ٩٢.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..... ٥٢.
لا رد الله عليك صلاتك..... ٤٨.
لا تقعلي يا عائشة فإنه يورث البرص..... ٤٢.
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله..... ٣٥.
لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول..... ٩٢.
لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله..... ١٠٠.
لا يصومن أحدكم يوم الجمعة..... ٩٠.
لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر..... ٩١.
لأن أحلس مع قوم يذكرون الله عز وجل..... ٦٠.
لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى..... ٦٠.
لست أخاف على أمي جوعاً يقتلهم..... ٢٤.
لغير الدجال أخوفي على أمي..... ٢٣.
لقد أمرت بالسواك..... ٣٥.
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صلى
الغداة..... ٨٩.
لكل شيء باب..... ١٠٣.
للجنة ناب يقال له الريان..... ١٠٤.
لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتيهما..... ٤٦.
لو يعلم المار بين يدي المصلي..... ٩٢.
لولا أن أشق على أمتي..... ٣٤.
ليس من أخلاق المؤمن الملقى..... ١٤٧.

(م)

المؤمن للمؤمن كالبنيان..... ١٣١.
المؤمن من أمته الناس..... ١٠٧.
المؤمن يغطي والتأقي يحسد..... ١٢٨.
ما بلك قائماً منذ أسلمت..... ٣٣.
ما تحاب اثنا في الله..... ١٦٢.
ما حق امرئ مسلم بيت ليلتين..... ٧٤.
ما صليت خلف أحد صلاة أخف..... ٨٦.
ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر..... ٩٨.
ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن..... ١٢٠.
ما من صاحب يصحب صاحباً وكو ساعة من نهار..... ١٦٢.
ما نحل ولده ولده غلة أفضل من أدب حسن..... ١٥٢.
ما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه..... ١١٠.
ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به..... ٥٥.
مثل الأخوين مثل الدين..... ١٦٢.
مثل الذي يتعلم في صغره..... ٢١.
المحروم من حرم وصيته..... ٧٤.
المراء على دين خليله..... ١٥٧.
مررت ليلة أسري بي بأقوام ترض شفاهم..... ١٩.
المستمتع شريك القتال..... ١٠٩.
مسح برأسه وأذنيه باطنهما..... ٣٨.
مسح الرقية أماناً من الغل..... ٣٨.
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده..... ٦٤ و ٦٥ و ١٠٧.

من ازداد علماً ولم يزد في الدنيا زهداً..... ١٨.
من ازداد علماً ولم يزد هدى..... ١٨.
من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة..... ٩٢.
من اغتسل عنده أخوه المسلم..... ١٠٩.
من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة..... ١٢٠.
من أعان على قتل مؤمن ينظر كلمة..... ١٦.
من أعان على معصية ولو ينظر كلمة..... ١٦.
من أعلام المنافقين..... ١١٤.
من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة..... ٩٢.
من تشبه بقوم فهو منهم..... ١٤٨.
من ترك الكذب وهو باطل..... ١١٧.
من ترك المرأة وهو مطلق..... ١١٦ - ١١٧.
من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب..... ٩٤.
من تواضع لغني صالح لغناه ذهب ثلثا دينه..... ١٢٢.
من توشأ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله..... ٤٠.
من توشأ ومسح بيديه على عنقه..... ٣٩.
من توشأ ومسح عنقه..... ٣٩.
من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر..... ١٢٢.
من حضض لغني ووضع له نفسه..... ١٢٢.
من دعا علي ظالمه فقد انتصر..... ١١٩.
من ذكر الله عند وضوئه..... ٤٢.
من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى..... ٩١.
من سلك طريقاً يتغي فيه علماً..... ١٧.
من صلاه فاحسن ركوعهن وسجودهن..... ٦٩.
من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة..... ٩٣.
من قال حين يأوي إلى فراشه..... ٧٤.
من قال: سبحان الله وبحمده..... ٥٨.
من قال صبيحة يوم الجمعة..... ٥٩.
من قال في دير صلاة الصبح وهو ثاب رحليه..... ٥٧.
من قال لصاحبه والإمام يخطب..... ٩٤.
من قال: لا إله إلا الله وحده..... ٦٠ و ٦١.
من قال يوم الجمعة لصاحبه أنصت..... ٩٤.
من قال يوم الجمعة والإمام يخطب..... ٩٤.
من قالها في يوم مرة كان له أمان..... ٥٧.
من قرأ بعد صلاة الجمعة..... ٩٤.
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر..... ١٤٤.

من مات على وصية..... ٧٤.
من مسح قفاه مع رأسه..... ٣٩.
المهاجر من هجر السوء..... ١٠٧.
المهلكات ثلاث..... ١٢٦.

(ن)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبول قائماً..... ٣٢.
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلى
الرجل تحت شجرة..... ٣١.
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس في
المسجد..... ٩٦.
نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة..... ٩٨.

(هـ)

هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء..... ٦٨.
هذا يوم حرام وبلك حرام..... ٦٥.
هلا سألوا إذا لم يعلموا..... ١٤٩.
هون عليك، فإننا أنا ابن امرأة..... ١٣٥.
هي الصلاة ما بين العشاءين..... ٧٢.
وأما الغسل من الجنابة فتفرغ..... ٤٢.
وجهي وجهي للذي فطر السماوات والأرض
حنيفاً..... ٨٠ و ٨٦.

(و)

والذي نفسي بيده خلوف فم الصائم أطيب عند
الله..... ١٠٣.
وقروا من تتعلمون منه..... ١٤٦.
وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر..... ١٠١.

(ي)

يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام..... ٥٥.
يا رب اقرب أنت فأناحيك..... ١٤٣.
يا رب أي عبادك أحب إليك..... ١٤٣.
يا رسول الله، متى يعرف الإنسان ربه..... ١٥٤.
يا علي، لأن يهدي الله بك رجلاً..... ١٤٧.
يا معاذ إني عندك بخير إن أنت حفظته..... ١٣٧.
يشيب ابن آدم ويقي معه حصتان..... ١٥٩.
يقول الله تبارك وتعالى: ما تقرب إلي المقربون عجل
أداء ما افترض عليهم..... ٢٦.

فهرس الكتاب

٩٨..... آداب الصيام.....	٥..... مقدمة الحق.....
١٠٥..... القسم الثاني: في اجتناب المعاصي.....	٩..... التعريف بكتاب بداية الهداية.....
١١١..... الكذب.....	١٠..... أهمية الكتاب.....
١١٣..... الخلف في الوعد.....	١١..... عملي في الرسالة.....
١١٤..... الغيبة.....	١٢..... الإمام الغزالي في سطور.....
١١٦..... المراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام.....	١٢..... العلوم التي برع فيها.....
١١٧..... تركية النفس.....	١٣..... تلامذته.....
١١٨..... اللعن.....	١٣..... زهده ومنهجه.....
١١٨..... الدعاء على الخلق.....	١٣..... المناصب التي وليها.....
١١٩..... المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس.....	١٤..... شهادة العلماء له.....
١٢٥..... القول في معاصي القلوب.....	١٤..... الاعتراضات التي عارض بها.....
١٢٧..... الحسد.....	١٤..... مصنفاته.....
١٣٠..... الشحيح.....	١٦..... مقدمة المؤلف.....
١٣١..... الرياء.....	٢٦..... القسم الأول: في الطاعات.....
١٣٣..... العجب والكبر والفخر.....	٢٧..... فصل في آداب الاستيقاظ من النوم.....
القسم الثالث: القول في آداب الصحة والمعاشرة	٢٩..... آداب اللباس.....
مع الخالق عز وجل ومع الخلق..... ١٤٣.....	٢٩..... آداب دخول الخلاء.....
آداب الصحة مع الله تعالى..... ١٤٤.....	باب: آداب الوضوء..... ٣٤.....
آداب العالم..... ١٤٥.....	آداب الغسل..... ٤٢.....
آداب التعلم..... ١٤٧.....	آداب التيمم..... ٤٤.....
آداب الولد مع الوالدين..... ١٥١.....	آداب الخروج إلى المسجد..... ٤٦.....
أصناف الناس وآداب محالستهم..... ١٥٥.....	آداب دخول المسجد..... ٤٨.....
آداب الصحة..... ١٦٢.....	آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال..... ٦١.....
فهرس الآيات القرآنية..... ١٧٠.....	آداب الاستعداد لسائر الصلوات..... ٦٨.....
فهرس الأحاديث والآثار..... ١٧١.....	آداب النوم..... ٧٤.....
فهرس الكتاب..... ١٧٦.....	آداب الصلاة..... ٧٨.....
	آداب الإمامة والقدوة..... ٨٦.....
	آداب الجمعة..... ٩٠.....

تم بحمد الله وتوفيقه